المركز القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة

رشيد الدين الوطواط

ميراث الترجمة

حدائق السحر فى دقائق الشعر

إبراهيم أمين الشواربى

تقديم: أحمد الخولى

الطبعة الثانية

حدائق السحر فى دقائق الشعر

المركز القومى للترجمة
إشراف: جابر عصفور

سلسلة ميراث الترجمة

المشرف على السلسلة: طلعت الشايب

- العدد: ٩٣٢/ ٢
- حدائق السحر فى دقائق الشعر
- رشيد الدين محمد العمرى
- إبراهيم أمين الشواربى
- أحمد الخولى
- ٢٠٠٩

هذه ترجمة:
حدايق السحر فى دقايق الشعر.
تأليف:
رشيد الدين محمد عمرى
(وطواط)

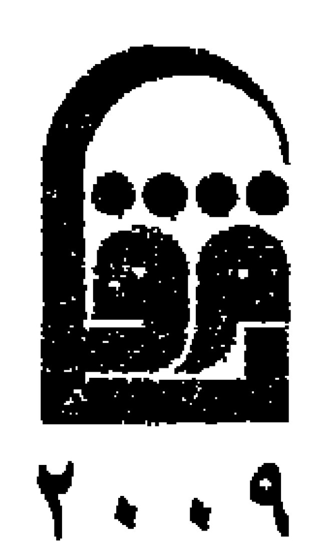
شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة . ت· ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo
e.Mail.egyptcouncil@yahoo.com **Tel.:** 27354524 - 27354526 **Fax:** 27354554

حدائق السحر
فى دقائق الشعر

تأليف: رشيد الدين محمد العمرى

ترجمة: إبراهيم أمين الشواربى

تقديم: أحمد الخولى



٢٠٠٩

رقم الإيداع: ١١٥٢٢ / ٢٠٠٩
الترقيم الدولى: 5 - 375 - 479 - 977 - 978
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المشروع القومى للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

تقديـــم

بقلم : أ .د . أحمد الخولي

كان رشيد الدين الوطواط - من حفدة عمر بن الخطاب - أديبًا متعدد الزوايا وعالمًا بالغ الرؤى العلمية فى زمانه ، ويكفى أن الألسن قد تناقلت منشآته وأشعاره وأعماله العلمية إلى حد أنه احتفظ ببعضها فى خزانة الكتب الملكية فى بلاط ملك خوارزم كيما يرج إليها الراغبون فى مطالعة غرائب النظم وبدائع النثر ، وتتلمذ عليه الأفاضل والدارسون والأدباء الناشئون فى حياته ، وأشاد العارفون بأعماله ومكانته بعد مماته . فأن يقع نظر أستاذنا المرحوم الدكتور الشواربى على واحد من أعمال هذا الأديب المتعددة وهو « حدائق السحر فى دقائق الشعر » لنقله إلى العربية ؛ فإنما جاء ذلك منه صك اعتراف على أن علم هذا الأديب يمتد من القديم إلى الحديث .

والكتاب الذى نحن بصدده هو أكثر تصانيف رشيد الدين الوطواط ذيوعًا ، بل إنه لا يجانبنا الصواب إذا قلنا إنه قد ساهم فى شهرة رشيد بين المتحدثين باللغة الفارسية ، وانعكست على ترجمته بأسلوب رصين إلى العربية ، اكتسبت شهرتها من صنيع صاحبها إبراهيم الشواربى رائد الدراسات الفارسية فى مصر والعالم العربى .

والكتاب باحتوائه الثمانين نوعًا أو ما يزيد من الصناعات البديعية المقرونة بروائع الشواهد العربية والفارسية قد حدا بستة من البلاغيين المعروفين على الأقل إلى التأثر به عبر القرون التالية ، بل إن هناك مَن قلدوا هذا الأثر .

وإذا كان رشيد قد صرح فى مقدمته للكتاب بأنه فى محاسن النظم والنثر فى اللغتين الفارسية والعربية ، فإنه جعل القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف تتويجًا

لشواهده ، ولعل في قولة عميد الأدب العربي طه حسين مايؤيد رؤية رشيد : « القرآن ليس هو بشعر ولا هو بنثر وإنما هو قرآن » ، إذن فالدكتور / طه حسين واسطة عقد بين رؤيتين الأولى قديمة لرشيد في تأليفه للكتاب ، والأخرى حديثة لتلميذه إبراهيم الشواربي في نقله الكتاب إلى العربية إلى حد امتدت معه قناعة عميد الأدب العربي إلى ضرورة الالتفات إلى الآداب الشرقية – ودرتها الفارسية – توسيعاً لرقعة العربية ، وما ذلك إلا ثقة في أعمال الشواربي ، فقدم له بعضها إلى القارئ العربي مثنياً على صاحبها مدركاً قيمته العلمية كما جاء في أغاني شيراز للشاعر المعروف حافظ الشيرازي :

والمتصفح لكتاب « حدائق السحر » بدقة يتضح له أن هذا الكتاب قد جاء شاملاً لعلوم البلاغة بعامة دون أن يختص بعلم البديع وحده ، وإن كان هذا العلم قد سرى في الأغلب بين مطالب « حدائق السحر » التي تقوم على المزايا اللفظية ، وهي التي ذهب المتأخرون إلى تسميتها اصطلاحاً بالصناعات البديعية .

لم يحدد رشيد الدين في مقدمة كتاب « حدائق السحر » نوع « المحاسن » التي جعلها قوام بحثه في هذا الكتاب ، ولم يذكر الغاية التي تهدف إليها هذه المحاسن : الفصاحة أو البلاغة أو مجرد الزينة اللفظية أو المحسنات البديعية أو البيانية أو ما عدا ذلك . وإنما ذكر رشيد الدين أقسام الفصاحة وأساليب البلاغة بما يتضح لنا معه ذلك الإبهام الذي كان سمة عصره في علوم البلاغة والاتجاه إلى الشمول والتعميم دون التفريق أو التحديد .

وهكذا اشتمل كتاب « حدائق السحر » فضلاً عن المزايا اللفظية أو الصناعات البديعية التي هي من مباحث علم البديع على التشبيه والاستعارة . وقد صارت المباحث المناظرة لها موضوع علم البيان ، كما اشتمل أيضاً على الالتفات والتعجب ونظائرهما مما يدخل في علم المعاني ، كذلك احتوى على التجنيس والقلب والمطابقة وأقرانها من الصناعات التي ترمي إلى مجرد تزيين الكلام ، وتُلحق بعلوم البلاغة . ومن الصناعات التي احتفل بها رشيد الدين في كتابه صنعة التجريد التي يتعمد فيها الأديب أن يخرج

حرفًا من حروف الكلام من معجم ألفاظه . وهذه الصنعة ، إن لم تؤد بالأديب إلى مهاوٍ هو فى غنى عنها ، فإنها لن تؤدى إلى الكمال والبلاغة ، وما كان رشيد فى ذلك إلا معبرًا عما ساد عصره من مفاهيم عن البلاغة العربية والفارسية خاصة ، وأن علوم البلاغة كانت متداخلة فى هذا الوقت ، ولم تتبلور إلا من خلال محاولات تلت عصره بعد ما يزيد على قرن من الزمان ، وقام بها رواد البلاغة الإسلامية أمثال السكاكى والرازى والقزوينى والتفتازانى وأقرانهم .

قلة هؤلاء الذين يعملون فى ميدان الصناعات البديعية ، إلا أن ثقافات أستاذنا الدكتور التى تعددت وتنوعت جعلته لا يسأم ولا يمل من اختيار الأعمال الصعبة مستعينًا بامتلاك ناصيتى اللغتين العربية والفارسية وغيرها من اللغات الأخرى ؛ فجاءت ترجمته لهذا الكتاب مشفوعة بما يلزم من تعريف وتوضيح وتفسير للمطالب الواردة فى أغلب صفحات الكتاب . فهو على سبيل المثال يُعرِّف بـ « رشيد » تعريفًا كاملاً فى ثمانين صفحة : ولادته ، نشأته ، رحلة حياته ، منزلته فى الشعر العربى والفارسى ، صلته بمعاصريه من الفضلاء والشعراء ، نثره الفارسى ، تأليفاته ، كتابه ، ويوضح فى ص ٨٩ اسم الملك الذى أهدى إليه الكتاب ، أسماء الزحافات المختلفة ، الرودكى فى ص ٩٢ ، ١٠٠ ، ١٠١ مؤملى الكاتب فى ص ٩٣ ، ويفسر فضًا للاشتباك بين الدارسين غوامض الإشارات ، ويضيف رؤيته إلى ما يذهب إليه كما فى ص ١٨٤ ، ١٨٥ . ولا يكتفى بكل هذا فيورد ثبتًا بالأعلام ، الأماكن والكتب فى نهايات الكتاب .

ولم يكن المؤلف – من محاسن الصدف – مجرد لغوى أو أديب أو رئيس لكُتَّاب أو ديوان الإنشاء والرسائل (وزارة الخارجية فى الوقت الحالى) للخوارزمشاه(*) أبى المظفر علاء الدولة اتسز بن قطب الدين محمد ، وظل إلى آخر عمره فى خدمة ملوك خوارزم إلى أن أدركته الوفاة . بقدر ما كان له دوره فى مهام بلاده القومية ، فقد

(*) الخوارزمشاه : هو لقب لأمير خوارزم مثل بخارى خدا بمعنى أمير بخارى .

كان للمترجم أيضًا دوره فى مهام وطنه القومية فى أوائل النصف الثانى من القرن العشرين ، وبذلك انعقدت الصلة بين الرجلين فى القديم والحديث . والاثنان أدبيان ، مؤرخان ، لغويان ، شاعران ، مفكران ، مساهمان فى المصالح القومية لبلديهما ، مثقفان بارزان ، وهذا يحقق المثل السائر الطيور على أشكالها تقع .

وكتاب « حدائق السحر » ، وإن كان صغير الحجم ، إلا أنه يشتمل على بعض الخصائص اللغوية والصرفية والنحوية وعلى طائفة من المصطلحات كانت تستخدم فى لغة العصر ، ولكنها أصبحت الآن مهملة ومتروكة ، وأيضًا على بعض قواعد الإملاء والكتابة التى تعد متداولة فى أيامنا هذه .

ويرى المترجم أن خصائص اللغة الموجودة فى « حدائق السحر » ليست بالكثيرة ، ويجيب على هذه النقطة بأن حجم الكتاب صغير ، ثم يقول إن كتاب « حدائق السحر » يشتمل على بعض الاصطلاحات الفارسية التى استبدلت فيما بعد بعبارات عربية ، وأن هذه المصطلحات من أفصح الأقوال الفارسية القديمة ، وأنها قد نُسيت الآن ، واستخدموا مكانها كلمات أخرى من العربية أو خلافها .

هذه الرؤى التى أبداها المترجم إنما تفيد حقًا فى الدراسات اللغوية فى الحقل الفارسى ، وكأن صاحبها يعيش بين ظهرانينا نستثيره فيما يعن للدارسين ، وهذا هو العلم النافع .

وقد أشرفت على رسالتين للحصول على الدكتوراه وبفارق زمنى يصل إلى عشرين عامًا وبعد وفاة مترجم الكتاب بسنوات : الأولى تحت عنوان « رشيد الدين الوطواط وإنتاجه الأدبى » للكتورة حكمت محمد على إمبابى عام ١٩٧٩ م ، وحصلت بها على مرتبة الشرف الأولى مع التوصية بطبعها على نفقة الجامعة وتبادلها مع الجامعات الأخرى ، وقد وصل صداها إلى الغرب خاصة الجامعات الألمانية المهتمة بالدراسات اللغوية ، فجاءت منها طالبة تدرس رسالة الدكتوراه تحت عنوان « الصناعات البديعية عند رشيد الدين الوطواط » فأحالهما إلى وكيل الكلية للدراسات

العليا والبحوث ، ويومها كان أ. د . سمير نعيم ، فأدخلتها محاضرة للفرقة الثالثة في مرحلة الليسانس ، وإذ بها تكتب هذا الشعر بالفارسية إشارة إلى الصناعات البديعية عند رشيد :

ذو القافيتين :

وتكون هذه الصنعة بأن يقول الشاعر قصيدة أو مقطوعة ، ويجعل لها قافيتين متجاورتين ، ومثالها قول « مسعود بن سعد » :

يا ليلة أظلمت علينا ... ليلاء قاريَّة الدُّجُنَّهْ

قد ركضتْ في الدُّجى علينا ... دُهمــا خُداريّه الأعنَّهْ

فبتُّ أقتاسُها فكانت ... حُبلى نهاريَّةَ الأجَنَّهْ

ففى هذه القطعة نجد أن القافية الأولى عبارة عن الكلمات « قارية » و« خدارية » و«نهارية » أما القافية الثانية فهى الكلمات « دجنة » و« أعنة » و« أجنة » ، ومثاله من الشعر الفارسى قول رشيد :

اى ازمكارم تو شذه در جهان خبر ... افكنده از سياست تو آسمان سپر

صاحبقران ملكى وبر تخت خسروى ... هر كز نبوذه مثل تو صاحبقران دكر

با راى پير وبخت جوانى كرده اند ... اندر بناء جاه توپير وجوان مقر

كيتى زبان كشاذه بمدح تور وفلك ... بسته زبهر خدمت تو بر ميان كمر

باموكب سيادت تو هم كتف شرف ... باموكب سعادت توهم عنان ظفر

ومعنى هذه الآيات :

- يامن علمت الدنيا بمكارمك ، وأذعنت لسماء لأحكامك .

- إنك الملك صاحب القران ، الجالس على عرش الأكاسرة ، ولم يعرف الزمان مثيلاً لك .

- وبرأيك الكبير ، وحظك النضير ، قد استقر تحت رعايتك الكبير والصغير .

- وقد لهجت ألسنة العالم بمدحك ، كما عقدت الأفلاك العزم على خدمتك .

- والشرف مزامل لموكب سيادتك ، والظفر مقارن لمركب سعادتك .

ولى جملة من القصائد التزمت فيها الصنعة ، ولكن هذا القدر يكفى للتمثيل فى هذا الوضع .

وقرأت هذا البيت بالفارسية مع ترجمته بالعربية ، وقالت إنها تدرس هذه الموضوعات الصعبة باختيارها ، وليس لديها أى مقصد فى الالتحاق بالجامعة ، وإذا بها تعمل ممرضة فى مستشفى مشهور بمدينة آخن .

والدراسة الثانية عن كتاب فى البلاغة وهو « مدارج البلاغة در علم بديع » تأليف رضا قلى خان هدايت للدكتورة رئيفة فؤاد على رشاد . وقد حصلت بها على الدكتوراه من آداب عين شمس عام ١٩٩٩ م بمرتبة الشرف الأولى . وقد أثبتت فيها تأثر هدايت برشيد وكون كتابه من مصادره الأولى .

هذان المثالان أردت بهما العلم النافع الذى خلفه أستاذنا ؛ فقد اعتمدت الاثنتان على ترجمة أستاذنا اعتماداً كليًا دون الرجوع إلى الأصل الفارسى ، ولكنه لماذا ؟ كثيراً ما تكون الترجمة إبداعاً فى لغتها لا تقل عن إبداع التأليف فى لغته .

وهكذا جاءت أعمال المرحوم إبراهيم الشواربى فى الترجمة ، بما أثرى المكتبة العربية بكنوز من التراث الفارسى . هذا بالإضافة إلى حواشى الكتاب العديدة والغنية بتعريفاته الزائدة .

وقد حفزنى هذا إلى الاشتراك ببحث مقارن عنوانه « بين البلاغتين العربية والفارسية » فى مؤتمر للعلاقات الأدبية بجامعة دمشق ، إلا أن المرض المفاجئ أواخر عام ١٩٩٩ م حال دون إلقائه .

بقيت نقطة أعتبرها جوهرية ، وهى أنه لم يفت أستاذنا أن يهدى ترجمته الثقة إلى أستاذه الإنجليزى سير « دينسون رس » فى الصفحة الأولى من الترجمة اعترافًا بالوفاء وإثباتًا أن العلم لا بلد له ، وتدعيمًا لقيم الإخاء المذهبى ؛ فترك لنا أمثلة فى العلم والخلق . أما الولد الصالح فهم أولاده الذين يحرصون على إعادة نشر أعمال أبيهم أثرًا بعد أثر ، ويقوم المجلس الأعلى للثقافة على نشرها ؛ فتحيةً لهم وله على هذا الجهد .

والله الموفق ،،،

إلى روح أستاذى الـكبير

السير دينيسون رُس

مدير معهد الدراسات الشرقية بجامعة لندن

اعترافاً بسوابق أياديه فى تمكينى من اللغة الفارسية الجميلة . وتعريفى بما فى آدابها الرفيعة من درر نوادر وفرائد زواهر ؟

ابراهيم أمين

To The Memory of My Late Professor,

Sir Denison Ross,

Director of the School of Oriental Studies, London University.

I respectfully dedicate this book in gratitude for his valuable encouragement and right guidance which enabled me to appreciate the Persian language and literature.

Cairo 1945 *I. Amin*

كتب أخرى للمؤلف

كتب مطبوعة :

١ — القواعد الأساسية لدراسة الفارسية :

وهو أول كتاب وضع بأسلوب علمى حديث لتعليم اللغة الفارسية لأبناء العربية ، وهو مطبوع بلجنة التأليف والترجمة والنشر .

٢ — أغانى شيراز أو غزليات حافظ الشيرازى :

وهو عبارة عن أول ترجمة عربية لديوان حافظ الشيرازى ، وقد صدر منه الجزء الأول مطبوعاً بلجنة التأليف والترجمة والنشر .

٣ — حافظ الشيرازى :

وهو عبارة عن ترجمة واسعة مفصلة لأحوال الشاعر الإيرانى الكبير تضمنت وصفاً مسهباً لوطنه وعصره وظروف حياته ومواضيع فلسفته ومحتويات ديوانه ، وقد طبع هذا الكتاب بمطبعة المعارف بالقاهرة .

أبحاث علمية :

٤ — بحث فيما نقله الجاحظ من أخبار الفرس :

منشور فى مجلة كلية الآداب ، بالجزء الثانى من المجلد الرابع سنة ١٩٣٩ .

٥ — مصادر فارسية فى التاريخ الإسلامى :

بحث علمى منشور فى مجلة كلية الآداب ، بالمجلد السابع سنة ١٩٤٤ .

٦ — رحلة فى إيران :

مقالتان بالعدد الرابع والخامس من السنة الثامنة من مجلة الراوى الجديد سنة ١٩٤٣ .

مخطوطات معدة للطبع :

٧ — جماعة الصوليين أو « أسرة الصولى » :

رسالة علمية فى أسرة اشتغلت بالأدب فنبه ذكرها أيام الدولة العباسية ، قدمت للجامعة المصرية فى سنة ١٩٣٠ ، وأحرزت مرتبة الشرف الممتازة .

٨ — الجزء الثانى من أغانى شيراز :

ويتضمن الترجمة العربية لبقية ديوان حافظ .

٩ — الألفاظ الفارسية المعربة :

رسالة علمية كتبت أصلا باللغة الانجليزية بجامعة لندن

١٠— الشاعر خاقانى :

ترجمة واسعة لأحوال الشاعر الإيرانى « أفضل الدين خاقانى الشيروانى » الشاعر الذى اشتهر بين الفرس باسم « حسان العجم » .

. . . . الخ الخ

محتويات الكتاب

صفحة

القسم الثالث

ملاحق الكتاب

كلمة المترجم

لو طلب إلىّ أحد أن أتخير له مجموعة من الكتب الفارسية تكون صالحة للترجمة إلى العربية ، لما ترددت فى أن أجعل فى رأس هذه المجموعة كتاب « حدائق السحر فى دقائق الشعر » تأليف « رشيد الدين محمد العمرى » الكاتب البلخى المعروف بالوطواط المتوفى سنة ٥٧٣ هـ

فهذا الكتاب على صغر حجمه ، يمتاز بطرافة التأليف ووضوح النهج واستقامة الجادة ، وهى جميعها ميزات قلما نصادفها فيما وصلنا من كتب مبكرة فى علوم البلاغة أو غيرها من العلوم .

وهو بالإضافة إلى ذلك ، دراسة مقارنة للبلاغتين العربية والفارسية ، نستطيع أن نعلم بواسطتها إلى أى مدى تأثر علم البديع الفارسى زميله العربى ، فكان حاله فى ذلك حال طائفة أخرى كبيرة من شعب العلوم الفارسية التى نشأت أولاً على غرار العلوم العربية ، ثم أخذت بعد ذلك تنمو وتتطور وتكمل حتى استطاعت فى النهاية أن تتميز بصبغتها الخاصة وأن تنفرد بطابعها الخاص ، فلم تقتصر على مرحلة المحاكاة والتقليد وإنما خطت متعجلة إلى مرحلة الخلق والإبداع والتجديد .

وكتاب « حدائق السحر » له من المنزلة الكبيرة لدى الفرس ما لـ « كتاب البديع » الذى وضعه « ابن المعتز » للعرب فى أواخر القرن الثالث الهجرى . فهو أول كتاب وصل إليهم بلغتهم فى هذا الفن ، لم يسبقه إلاّ كتاب واحد مفقود لا نعرف عنه إلا إسمه وهو كتاب « ترجمان البلاغة » من تأليف الشاعر الكبير « أبى الحسن على السجستانى » المتخلص بالفرُّخى .

ولست أحاول فى هذه العجالة تعريفك بالكتاب أكثر من هذا القدر ، فستقرأ فى الصفحات التالية الشىء الكثير عن الكتاب وعن مؤلفه . . فى هذه المقدمات والحواشى المفصلة التى دبجتها براعة أستاذ إيرانى جليل هو الأستاذ « عباس إقبال » أستاذ الأدب بجامعة طهران .

وستعلم من هذه المقدمات التى ترجمتها لك مع ما ترجمت من « حدائق السحر » قيمةَ الكتاب وأثره وأنه أصبح المورد القريب الذى يقبل عليه أدباء الفرس فيحاولون تفسيره وتقليده ومحاكاة أبوابه وبيان موضوعاته .

وستعلم منها أيضاً ، أن مؤلف هذا الكتاب ليس عربياً على قرّاء العربية فهو واحد من أدبائهم ، استطاع أن يخلف لهم ثروة أدبية ممتازة فى رسائله العربيـة التى عنى بنشرها منذ خمسين سنة تقريبا المرحوم محمد أفندى فهمى فطبعها بمطبعة المعارف فى سنة ١٣١٥ هـ تحت عنوان « مجموعة رسائل رشيد الدين الوطواط » .

وستعلم بعد ذلك كله ، أننـا نشارك الفرس فخراً بـ « رشيد الدين » وبما كتبه فى العربية والفارسية ، وبهذه المنزلة العالية التى بلغها بين « أصحاب اللسانين » الذين يفخر بهم العرب والفرس على السواء ، والذين يرجع إليهم الفضل الأكبر فى توثيق عرى المحبة بين هذين الشعبين الكريمين ، وفيما حدث بينهما من تآلف فى الروح وامتزاج فى العقلية والتفكير . . . .

القاهرة سنة { ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٥ م

ابراهيم أمين الشواربى

الكتب الفارسيّة المعرّبة

القسم الأول

مقدمات الكتاب

نشرها أصلا باللغة الفارسية

عباس اقبال

الأستاذ بجامعة طهران

الفصل الأول — رشـــيد الدين الوطواط : ترجمة حياته

الفصل الثانى — منزلة الوطواط فى الشعر العربى والفارسى

الفصل الثالث — صلة الوطواط بمعاصريه من الفضلاء والشعراء

الفصل الرابع — نثر الوطواط فى اللغة الفارسية

الفصل الخامس — تأليفات الوطواط

الفصل السادس — كتاب حدائق السحر فى دقائق الشعر

الفصل الأول

رشيد الدين الوطواط

هو الأمير الإمام رشيد الدين سعد الملك محمد بن محمد بن عبد الجليل العمرى الكاتب المعروف بـ « خواجه رشيد الدين الوطواط » . وهو من أحفاد عبد الله بن عمر بن الخطاب ، ويتصل نسبه بالخليفة الثانى عمر بإحدى عشرة واسطة[1] .

كان مولده في مدينة بلخ ، وكانت بلخ فى تلك الأيام من أعظم مدن خراسان ، تعتبر مساوية فى مكانتها لنيسابور وهراة ومرو ، وتمتاز بكثرة من المدارس والجوامع والمكتبات التى كان يقضى فيها الفضلاء والعلماء أيامهم ناشرين نور العلم والفضل ، مقيمين أسواق الإفادة والاستفادة .

وكانت المدرسة النظامية واحدة من مدارس بلخ الكثيرة ، التحق بها رشيد الدين وحصّل فيها قدرا من تحصيلاته ، وكان أستاذه بها الإمام « أبو سعد الهروى » ، وقد بالغ رشيد الدين فى ذكره فى رسائله ، حتى لقد ورد الخبر عنه أنه عندما أقبل أخوه « نجيب الدين عمر بن محمد » من خراسان إلى خوارزم ، وأخبر رشيد الدين بأن الإمام أبا سعد يشيد بذكره فى المجالس والمحافل ، ويفرط من تقريظ كلامه بين أيدى الأكابر والأماثل ، كتب إليه رشيد الدين رسالة ذكر فيها سوابق أياديه وجعل فيها نفسه رهناً لحقوق أستاذه ومربيه[2]

وتاريخ ولادته لا يمكن تحديده على وجه الدقة ، ولكن تعيينه على وجه التقريب ممكن من القرائن التى نوردها فيما يلى :

كتب « عطا ملك الجوينى » مؤلف « تاريخ جهانكشاى » عند ذكره لأحوال السلطان « تكش بن ايل أرسلان خوارزمشاه » ٥٦٨ — ٥٨٩ هـ أن « تكش ذهب إلى خوارزم فى يوم الاثنين الثانى والعشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وستين وخمسمائة ، فجلس على سرير الملك ، فأقبل الشعراء والبلغاء على تهنئته وأنشدوه خطبهم وأشعارهم ، وكان من

---

(١) اسمه الكامل كما ذكره بمعجم الأدباء لياقوت (ج ٧ ص ٩١) هو : محمد بن محمد بن عبد الجليل ابن عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن يحيى بن مردويه بن سالم بن عبد الله ابن عمر بن الخطاب رشيد الدين المعروف بالوطواط الأديب الكاتب الشاعر .

(٢) انظر مجموعة الرسائل العربية للوطواط طبع مصر سنة ١٣١٥ هـ ، ج ٢ ص ٢٩ — ٣٠

بينهم رشيد الدين الوطواط الذى كان فى خدمة آبائه ، جلبوه محمولا فى محفة لأنه كان قد جاوز الثمانين من عمره . . . الخ »[1] .

ويستفاد من هذا البيان أن سن رشيد الدين فى سنة ٥٦٨ ﻫ قد أربى على الثمانين ، وعلى هذا يكون تاريخ ولادته سابقاً على سنة ٤٨٧ ﻫ ، ولما كنا نعرف أن عمره لم يصل قطعاً إلى التسعين فى هذه السنة فما لا شك فيه أنه لم يولد قبل سنة ٤٨٠ ﻫ ، ويكون مولده بناء على ذلك محصوراً بين سنتى ٤٨٠ ، ٤٨٧ ﻫ .

وذكر بعض كُتاب التذاكر مثل « دولتشاه » و « أمين أحمد رازى » أن رشيد الدين وصل إلى السابعة والتسعين من عمره ، وأنه مات فى سنة ٥٧٨ ﻫ ، فإذا صح هذا القول وجب أن يكون مولده فى سنة ٤٨١ . ولكن سنة الوفاة التى ذكرها هذان الكاتبان ظاهرة الخطأ بحيث لا يمكننا أن نخرج منها بفائدة يعتمد عليها .

وأقرب الأشخاص عهداً بزمان رشيد الدين ممن كتبوا عنه ولا زالت كتابتهم بين أيدينا ، هو « شهاب الدين ياقوت الحموى » الذى كتب مؤلفاته بعد موت رشيد الدين بما يقرب من خمسين سنة ، وقد ذكر فى « معجم الأدباء » أن وفاة رشيد الدين كانت فى سنة ٥٧٣ ﻫ ، ونقل عنه هذا القول جملة من الكتاب الذين أتوا بعده مثل « جلال الدين السيوطى » فى كتابه « بغية الوعاة » و « الخونساوى » فى « روضات الجنات » و « حاجى خليفة » فى « كشف الظنون » . وقد أخذنا نحن بقول ياقوت نظراً لقدم عهده والثقة فى نقله وروايته .

ويستفاد من كثير من القرائن أن رشيد الدين بعد ما فرغ من تحصيل العلم وامتاز بقوة الإنشاء فى اللغتين الفارسية والعربية ، التحق فى خوارزم بخدمة ملكها « أبو المظفر علاء الدولة أتسز بن قطب الدين محمد خوارزمشاه » ، وظل إلى آخر عمره فى خدمة ملوك خوارزم إلى أن أدركته الوفاة .

وتاريخ وصوله إلى خدمة « اتسز » مقارن للسنة التى تولى فيها هذا الأخير أريكة الملك مكان أبيه « قطب الدين محمد » أى فى سنة ٥٢٢ ﻫ ؛ ذلك لأن رشيد الدين نفسه أشار فى بعض قصائده عند ما أقصى عن خدمة «أتسز» فى سنة ٥٤٨ ﻫ أنه أمضى ثلاثين سنة فى خدمة هذا الملك[2] :

سى وسال شد كه بنده بصف نعال در	بودست مدح خوان وتو برتخت مدح خواه
داند خداى عرش كه هرگز نايستاد	چون بنده مدح خوانى در هيچ بارگاه
اكنون دلت ز بندۀ سى ساله شد ملول	در دل بطول مدت يابد ملال راه
ليكن مثل زنند چو مخدوم شد ملول	جويد گناه وبندۀ بيچاره بى گناه

(١) انظر تاريخ جهانكشاى طبع سلسلة جب التذكارية بمدينة ليدن سنة ١٩١١ م ، ج ٢ ص ١٢ — ١٨

(٢) انظر تاريخ جهانكشاى ج ٢ ص ١١ .

ومعنى هذه الأبيات :

— لقد مضت ثلاثون سنة منذ وقفت بالباب في صَفّ النعال ، وكنت مداحا للملك ، وكان الملك على عرشه راغبا في مدحي

— والله العرش يعلم ، أن أحداً مثلي لم يقف مادحا في قصر من القصور

— ولكن قلبك الآن أصبح متعبا من خادمك الذي أمضى في خدمتك ثلاثين سنة ، والملل يتطرق إلى القلوب بطول المدة والملازمة

— وقد ضربوا الأمثال فقالوا : « عند ما يملّ المخدوم يبحث لخادمه عن ذنب ، ويكون الخادم المسكين لا ذنب له ... »

وله أيضاً :

خدايگانا سي ساله مدح خوان تو ام ز مدحت تو شدم در همه جهان مذكور

گر آسياى بلا بر سرم بگردانند ز بندگيت نگردم بغيبت وبحضور

خدايگانا گفتند حاسدان بغرض كه شد ألوف دل من ز خدمت تو نفور[1]

ومعناه :

— لقد وقفتُ نفسي على مدحك يا مولاي ثلاثين عاما حتى أصبحتُ مشهوراً في جميع أنحاء العالم

— فإذا أدار الحاسدون طاحون البلاء فوق رأسي فإنني لن أتحول عن خدمتك في الغيبة أو الحضور

— ولقد قال الحسّادَ يا مولاي مغرضين : إن قلبي الألوف قد نفر من خدمتك ...!!

وثلاثون سنة قبل سنة ٥٤٨ معناها سنة ٥١٨ ... ولكننا نعرف من ناحية أخرى أن « أتسز » قد نصب من قبل « سنجر السلجوقي » على مُلك خوارزم في سنة ٥٢٢ هـ ، فلا بد أن تكون المدة التي انقضت على تولي « أتسز » ، وقول هذه الأشعار هي ستا وعشرين سنة ، ووجب أن نقول إما ان رشيد الدين كان في خدمة « أتسز » قبل توليه العرش ، أو أن رشيد الدين لم يرد أن يذكر سنوات خدمته « لأتسز » على وجه الدقة بقربها إلى الثلاثين بدل تحديدها بست وعشرين .

والفترة الأساسية في ارتقاء حال رشيد الدين الوطواط هي الفترة التي قضاها مع مولاه « أتسز » ، فقد كان يتولى له رئاسة دار الإنشاء أو وزارة الرسائل ، طوال مده حكمه على خوارزم في السنين الثلاثين الواقعة بين سنة ٥٢٢ وسنة ٥٥١ هـ ، وكان في نفس الوقت يعتبر كاتبه الخاص وأكبر كتاب الدولة . وقد صاحبه في أغلب الأوقات في سفره وحضره ، وكانت المودة والألفة مؤكدة وثيقة محكمة الأساس بينه وبين مولاه . وكان « أتسز » يحس بكثير من المتعة في محاوراته لكاتبه ويسر بحسن مجالسته وظرف كلامه ومحادثته ، ولم يكن يبتعد عنه ساعة من الساعات[2] . حتى لقد ذكروا أنه أمر أن يبنى له قصر مجاور لقصره

(١) انظر « تذكرة تقي الدين » في شرح حال الوطواط .

(٢) لباب الألباب طبع ليدن سنة ١٩٠٣ ج ١ ص ٣٦ ، وكذلك آثار البلاد للقزويني ص ٢٢٣

فكان يتحدث معه من خلال النوافذ . وكان رشيد فى يوم من الأيام يطل برأسه من إحدى النوافذ فرآه الملك وقال له : إنى أرى رأس ذئب قد أطلت من النافذة . فأجاب رشيد الدين : عفواً يا مولاى إن التى تراها ليست رأس ذئب ، بل هى مرآة أخرجتها من النافذة .! فتعجب الملك من سرعة إجابته وأغرق فى الضحك[1] .

ويقول محمد عوفى صاحب اللباب[2] أنه سمع من عماد الدين الكاتب فى خوارزم أن السلطان « أتسز » أمر فى ليلة من ليالى الشتاء القاسية ، وقد تجمع الثلج وأغارت جيوش البرد الزمهرير ، واتشحت الأعواد بأردية فضية من الثلج ، وابيضت خدود الثمار بعد حمرتها ، أن رتبوا له مجلساً من مجالس اللهو والعشرة ، ينظم حفلا بهيجاً يقضى به أيام الشتاء فى منادمة أصحاب الخدود البيضاء والطرر العنبرية السوداء والوجنات المجلوة الحمراء ، ثم أمر بإحضار رشيد الدين فأقبل على مجلسه ، وكانت النار تشتعل فى الموقد ، وهم يديرون عليها فراخا مسمنة ، وفى صحن المجلس أطباق مشحونة بالعنب والكمثرى وأنواع الثمار ، وكان السقاة من أصحاب السيقان البضة كأنهم اللؤلؤ المكنون ، فلما اكتمل عقد هذا المجلس الشبيه بمجالس الخلد ، سأل السلطان رشيدَ الدين : هل تأكل فراخاً (مرغ) أو تشرب عصير العنب (آبى) . . . فأجاب رشيد الدين « مرغابى » ، (وهى كلمة فارسية بمعنى البط جمع فيها بين الكلمتين مرغ ، آبى اللتين نطق بهما السلطان) ، ثم أخذوا فى احتساء الشراب فظلوا يشربون إلى أن غربت حمرة الشفق ، وهم خلال ذلك يتمتعون بمشاهدة أصحاب الخدود الحمراء والجدائل المقوصة السوداء . وخلا المجلس قليلا قليلا وبدأت حرارة الخمر تعمل فى الرؤوس والعروق والأقدام ، وحانت ساعة « داعبة السكارى للغيد الحسان ، فعلم رشيد الدين أن الأوان قد آن لانصرافه حتى يتمتع السلطان بمن فى حضرته من أصحاب الروح الخفيفة والدعابة الظريفة ، فقام ليذهب إلى حال سبيله ، ولكن السلطان استوقفه وسأله إلى أين هو ذاهب ، فأجابه بأنه ذاهب إلى حيث يتناول الزهر والخمر (ميروم تاگل وساغر آرم) ، فقال له السلطان : « اجلس فى مكانك فأنت لنا زهر وخمر مع تصحيف الكلمتين الفارسيتين » (تو مارا هم گل وهم ساغرى بتصحيف . . .[3]) . . . ومقصود « أتسز » من هذه العبارة

---

(١) انظر « آثار البلاد » للقزوينى ص ٢٢٣ — ٢٢٥ طبع جوتنجن سنة ١٨٤٩ م . وعبارة القزوينى نصها كالآتى : « والسلطان يحبه ولا يفارقه ساعة لظرافته وحسن مجالسه ، فأمر أن يبنى له قصر بحذاء قصر السلطان حتى يحادثه من الروشن ، فأخرج الرشيد رأسه مرة من الروشنة فقال السلطان : يا رشيد ، أرى رأس ذئب خارجا من روشنك ..!! فقال : أيها الملك ، ما هو رأس الذئب ، ذاك سجنجل أنا أخرجته ...!! فضحك السلطان من عجيب جوابه .

(٢) انظر « لباب الألباب » ج ١ ص ٣٦ .

(٣) لباب الألباب ج ١ ص ٣٧ .

الفارسية بعد تصحيف الـكلمتين أنه شاعر أصلع (لأن تصحيف « ساغر » تصبح « شاغر » وتصحيف « گل » تصبح « كل » ، وهذه الـكلمة الأخيرة بمعنى أصلع أو أقرع . . .)

وقد قال « أتسز » نفسه ، فى مناسبة أخرى ، الرباعى التالى يذكر فيه نفس المعنى الذى ورد فى القصة السابقة .

از فضل سرت بر آسمان مى سايد ز آن بر سر تو موى همى بر نايد
ما را سر تو چو ديده در مى بايد بر ديده اگر موى نباشد شايد[1]

ومعناه :

— لـكثرة فضلك أخذت رأسك تمسح السماء (تعلو إليها فخراً) ، ومن أجل ذلك لا تنبت شعرة واحدة عليها

— ورأسك واجبة لنا كالعين ، ومن الجائز ألا يكون على العين شعرات . . . ! !

* * *

ويروون بهذه المناسبة أن شاعراً من الشعراء تقدم إلى رشيد الدين فى يوم من الأيام ليمدحه بقصيدة عربية صنعها فيه ، فلما أخذ فى إنشاد المصراع الأول من مطلعها وهو :

« سرت كالحورى فى قلبنا اشتياقـكا »

بدت الحيرة على رشيد الدين وتغير على الشاعر ولم يعجب بشـعره لأنه أدرك أن القسم الأول من هذا المصراع تعريض بقراع رأسه لأنه بالفارسية « سرت كل » ومعناها بالعربية رأسك أقرع . . .

وكان رشـيد الدين صغير الجثة ضعيف البنيان ، وربما أسماه معاصروه بالـ « وطواط » من أجل ذلك . ويقول « دولتشاه »[2] : « إنه كان حقير الجثة حاد اللسان ، ولذلك أسموه بالوطواط وهو طائر معروف فى الفارسـية باسم « فرستوك » .- ويروون إن العلماء اجتمعوا يوما للمناظرة والبحث فى مجلس ملك خوارزم « أتسز » ، وكان رشيد الدين حاضراً فأخذ يفيض فى البحث والمناظرة ، ورأى الملك أنه شخص ضئيل ولـكنه فياض البحث إلى غير نهاية ، وكانوا قد وضعوا أمامه محبرة ليستعملها فى الـكتابة إذا شاء ، فالتفت إليه الملك وأمره فى دعابة أن يرفع الدواة من أمامه حتى يستطيع أن يتبين من الذى يتحدث من ورائها ... !!

وأدرك رشيد الدين ما يرمى إليـه الملك ، فوقف وقال له : المرء بأصغريه قلبه ولسانه . . . فـكان فى إجابته ما أخبر الملك بكياسته وفضله وبلاغته ، فبالغ فى توقيره واحترامه وأجزل له الإنعام والإكرام . . . »

وقد ظل رشيد الدين قائما على خدمة « السلطان علاء الدولة أتسز » منذ اختاره سنجر

---

(١) نفس المرجع ج ١ ص ٣٧ .

(٢) تذكرة الشعراء طبع ليدن سنة ١٩٠٠ ص ٨٧ .

السلجوقى لتولى مُلك خوارزم ؛ فلما كانت سنة ٥٣٠ هـ غضب أتسز من بعض أمراء سنجر وأركان دولته فأعلن العصيان والتمرد ، فما زالت تشتد بينهما أسباب النزاع والخصومة حتى انتهى الأمر بهما إلى الحرب والقتال .

فلما كانت سـنة ٥٣٦ وانهزم السلطان سنجر فى معركة « قطوان » أمام الأمير القرختائى وفر إلى بلخ ، رأى أتسز أن الفرصة مواتية للغارة على ممالك سنجر ، فتوجه إلى عاصمة ملكه فى « مرو » وأباحها للنهب العام ، وقتل عدداً من أهاليها ، ثم استصحب معه إلى « خوارزم » نفراً من علماء خراسان وفضلائها .

وعاد السلطان إلى عاصمته وقرر أن يخلع ولاءه للسلاجقة وأن يستقل بأمور خوارزم ، وكان رشيد الدين فى صحبته فعلم بما ينويه السلطان فقال قصيدته التى مطلعها :

چون ملك أتسز بتخت ملك بر آمد   دولت سلجوق وآل وى بسر آمد

ومعناه :

— حينما أقبل الملك أتسز إلى عاصمته وعرشه ، انتهى أمر السلاجقة وآلهم .

وله قصائد أخرى فى هذا المعنى .

فلما كانت سنة ٥٣٨ قصد السلطان سنجر إلى عاصمة خوارزم للانتقام من « أتسز » فأناخ على أبوابها وأمر بنصب المجانيق عليها ، وكادت المدينة تنفتح له ويشفى نفسه من خصمه . ولـكن أتسز أنفذ الهدايا والتحف إلى أمراء جيشه ، ثم أرسل إليـه مستعطفا يطلب المعذرة والصفح ، حتى رق لحاله وأشفق عليه وقبل الرجوع عنه مهادنا مصالحا . . . غير أن أتسز كعادته كان دائم الخلاف مع سنجر ، فاستطاع بعد قليل أن يخدع اثنين من مخاذيل خوارزم وأن يشتريهما بالأموال على طريقة الملاحدة لينفذهما إلى السلطان سنجر ليقتلاه مغافصة . وكان السلطان سنجر فى هذه الأثناء قد أرسل شاعره المعروف « أديب صابر » يحمل رسالة إلى أتسز فى خوارزم ؛ فعلم الشاعر بأمر هذه المكيدة وأرسل إلى مولاه فى مرو رسالة مخبأة فى حذاء امرأة عجوز تحتوى على أوصاف الشخصين الموكلين بقتله ، فأمر السلطان بالبحث عنهما حتى عثر الشرطة عليهما فى إحدى الخرابات وقتلوهما . وعلم أتسز بدوره بما فعله « أديب صابر » فأمر بإلقائه فى نهر جيحون وإغراقه فيه .

وخرج السلطان سنجر مرة أخرى إلى خوارزم فى جمادى الآخرة سـنة ٥٤٢ وحاصر قصبة « هزارسف » مدة شهرين ، وكان الشاعر أنورى فى خدمته ، فـكتب الرباعى التالى على سهم من السهام وألقاه على « هزارسف » :

أى شاه همه ملك زمين حسب تراست   وز دولت وإقبال جهان كسب تراست

امروز بيك حمـــله هزارسف بگير   فردا خوارزم وصد هزار اسب تراست

ومعناه :

— أيها المليك ، إن ملك العالمين رهن لإشارتك ، وبدولتك وإقبالك قد كسبت العالم

— فاليوم أقدم بحملة واحدة وخذ « هزارسف » فغدا ستأخذ « خوارزم » ومائة شبيهة بهزاراسب[١] أى مائة ألف جواد

وكان الوطواط حاضراً مع سيده أتسز فى « هزارسف » فأجاب على هذا الرباعى ببيت واحد ، كتبه على سهم طوح به إلى جيوش السلطان :

گر خصم تو أى شاه بود رستم گرد   يك خر ز هزار اسب تو نتواند برد

ومعناه :

— فلو قدّر وكان خصمك هو البطل المعروف رستم ، فإنه لن يستطيع أن يأخذ حمارا واحدا من بين « هزار اسب » أو جيادك الألف ...[٢]

« واستولى السلطان بعد مشقة بالغة على «هزارسف» وعلم ببيت الوطواط فغضب غضبا شديداً وأقسم أن يمزقه إلى سبعة أقسام ، ثم أمر بالمبالغة فى البحث عنه وأرسل المنادين فى طلبه ، وأخذ الوطواط يفر من مكان إلى مكان ، ولكنه أدرك فى النهاية ألا راحة له ولا استقرار مع كثرة التنقل والفرار ، فتوسل إلى بعض الأكابر أن يشفعوا له لدى سنجر ، ولكن واحداً منهم لم يجرؤ على ذلك فالتجأ الوطواط إلى « منتجب الدين بديع الكاتب »[٣] سقى الله عراص رمسه بسحائب قدسه ، وكان يجمع بين منصب الإنشاء والمنادمة ، فلما كانت صلاة الفجر وانصرف أكثر رجال الديوان بعد الفراغ من الصلاة ، أخذ منتجب الدين يلقى دروس الوعظ على مسامع السلطان ، فخلط الحكايات المضحكة بالجدية حتى وصل الحديث إلى ذكر رشيد الدين الوطواط ، فوقف منتجب الدين وسأل الملك إذا كان على استعداد لأن يجيبه إلى ملتمس واحد يسأله منه . . وكان منتجب الدين مقربا من السلطان فوعده بتحقيق ما يطلب ، عند ذلك قال منتجب الدين : إن الوطواط طائر ضعيف لا يحتمل جسده التقطيع إلى سبعة أجزاء ، فهل يكتفى السلطان بتقطيعه إلى جزأين اثنين ..!! فضحك سنجر وعفا عن الوطواط . . »[٤]

ومنتجب الدين بديع الكاتب الذى خلص رشيد الدين من الهلاك فأدى بذلك خدمة جليلة للعلم والأدب هو بتصريح «عطا ملك الجوينى» خال لجده الرابع ، يعنى خال لبهاء الدين

---

(١) هزاراسب أو هزارسف فى الفارسية معناها أيضا ألف جواد .

(٢) تذكرة الشعراء ص ٩٠ .

(٣) هو خال للجد الأعلى لعطا ملك الجوينى صاحب تاريخ جهانكشاى .

(٤) انظر تاريخ جهانكشاى ج ٢ ص ٧ — ١٠ .

محمد بن على الجوينى[١] . وكان يلقب بلقب الأتابك[٢] ، وقد تولى رئاسة دار الإنشاء للسلطان سنجر ، وكان من مشاهير المترسلين ومن أفاضل الكتاب والمنشئين ، وله عدة تصنيفات فى الترسل وصناعة الكتابة[٣] ، ويقول مؤلف تاريخ جهانكشاى[٤] : « ولهذا السبب أقصى الوطواط مدة عن خدمة السلطان ، فقال فى ذلك جملة من القصائد والمقطعات . . . »

* * *

أما الشخص الذى يسميه رشيد الدين فى قصائده بالخاقان المعظم « كمال الدين أبو القاسم محمود » ، فقد كان يجزل العطاء له ويفوز بمدحه كما يذكر ذلك الوطواط صراحة فى الأبيات الآتية :

آفتاب جـــلال وعالم جود   كه چو أو در جهان نشد موجود
خان عادل كمال دولت ودين   گوهر كان محمـــدت محمود
از عطاياى جزل تو شـده ام   در ميان هنروران محسود
تو بيك مه سه مه رخم دادى   كه برد شان مه دو هفته سجود
رويشان در كشى چو لاله وگل   مويشان در خوشى چو عنبر وعود
لا جرم شـــد فريضه بر جانم   شكر تو چون عبادت معبود

ومعنى هذه الأبيات بالعربية :

— شمس الجلال وعالم الجود الذى لا مثيل له فى عالم الوجود
— الخان العادل كمال الدولة والدين ، جوهرة منجم الحمد « محمود »
— لقد أضحيتُ محسوداً بين الفضلاء بسبب عطاياك الجزيلة وما أسديتَ إلىّ من جود
— ففى شهر واحد أهديتنى ثلاثا من الحسان ، تقدم لهن بدر التم بالخضوع والسجود
— وجوههن فى البهاء كالشقائق والورود ، وشعورهن فى الحسن كالعنبر والعود
— فلا جرم أن أصبح شكرى لك فريضة على روحى كعبادة المعبود

وله قصيدة مطلعها :

أى روى تو آفتـاب تابان   بردى دل ونيست بر تو تاوان

---

(١) نسب الجوينى هكذا : عطا ملك بن بهاء الدين محمد بن شمس الدين محمد بن بهاء الدين محمد بن على ابن محمد بن محمد بن على بن . . . بن الفضل بن الربيع . . .
(انظر مقدمة تاريخ جهانكشاى ج ١ ص يب) .

(٢) أتابك فى الفارسية بمعنى حاكم .

(٣) انظر لباب الألباب ج ١ ص ٧٨ ، وقد ذكر من بين كتبه « رقية القلم » و « عبرات الكتبه » أو « عتبة الكتبه » . وانظر كذلك صفحة « يو » من مقدمة القزوينى على الجزء الأول من تاريخ جهانكشاى .

(٤) انظر ج ٢ ص ١٠ .

ومعناه :

— يا من وجهك كالشمس المتقدة النيران ، لقد سلبتَ قلبي ولا قدرة لي عليك أو إمكان ... ! !

ويقول فى هذه القصيدة :

خاقان معظم آنكه اوراست گردون و نجـــوم او بفرمان

فرزانه كمال دولت ودين بى خوف كمال او ز نقصان

بو القاسم آنكه دو كف او مقسوم شده است رزق إنسان

محمود كه نام فـــرخ او بر نامهٔ حمد گشت عنوان

ومعنى هذه الأبيات :

— الخاقان المعظم الذى دانت له الأفلاك ونجومها وخضع له الفرقدان

— الرجل الفاضل « كمال الدولة والدين » الذى لا خوف على كماله من النقصان

— أبو القاسم الذى فى كفه يقسم رزق الإنسان

— « محمود » الذى أضحى اسمه السعيد عنوانا لكتاب الحمد والشكران

وفى قصيدة أخرى مطلعها :

اى دلبرى كه نيست نظير تو در جهان جانى مرا وبلكه گرانمايه‌تر ز جان

ومعناه :

— أيها المحبوب الذى لا نظير لك فى العالم ، أنت روحى بل وأغلى من الروح

يقول البيتين التاليين :

بيدا دگر توئى وبعهـد كمال دين يابم ز دست جور تو بيدا دگر أمان

خاقان نظام دولت محمود آنكه هست از رهگذار كينهٔ او چرخ بر كران

ومعناهما :

— وأنت الظالم ، ولكنى على عهد « كمال الدين » أجد الأمان من يدك الظالمة .

— فمحمود هو الخاقان وهو نظام الدولة الذى يخشى بأسه الفلك وينحرف عن طريق سخطه ...

ويظهر من هذه الأشعار أن اسم كمال الدين كان « محموداً » ، وأن العبارة التى نقلناها عن تاريخ « جهانكشاى » حيث يقول إن « والى جند هو كمال الدين بن أرسلان خان محمود » المقصود منها قطعا أن « محموداً » هو نفسه « كمال الدين » لا كما يبدو لأول وهلة أنه جده أو أبوه .

وفى ديوان « رشيد الدين » كما يقول الجوينى ، قصائد كثيرة ومقطوعات متعددة قالها بمناسبة إبعاد ملك خوارزم له وإقصائه عن خدمته ، وقد بين فيها براءته من الذنوب ، وذكر فيها سوابق إنعام السلطان « أتسز » عليه ، وصداقته ووفاءه فى خدمته . ونحن نذكر هنا جملة من هذه الأشعار على سبيل المثال :

خدایگانا دانی که بحر طبع مرا   بوقت نظم کمین بنده ایست بحر عدن[١]

بدان صفت که ترا داده اند ملك جهان   یقین بدان که مرا داده اند ملك سخن

منم که بیت قصیده مرا است از هر علم   منم که صدر جریده مرا است در هر فن

من آن کسم که زمانه ز جنبش افلاك   بمثل من نشود تا قیامت آبستن

خدایگانا من بنــده را ز قهر عدو   همی بسوزد جان وهمی نکاهد تن

سیاه گشت مرا خاطر چو بدر منیر   خمیده گشت مرا قامت چو سرو چمن

ز ناز دوست همی گشتمی ملول کنون   چگونه صبر کنم بر شماتت دشمن

مرا مبــاد فراموش حق نعمت تو   اگر ترا است فراموش حق خدمت من

* * *

ویقول فی قصیدة أخری[٢] :

خدایگانا سی ساله مدح خوان تو ام   ز مدحت تو شدم در همه جهان مذکور

گر آســـیای بلا بر سرم بگردانند   ز بندگیت نــگردم بغیبت و بحضور

---

(١) من قصيدة مطلعها :

خلاص یافت زمین وزمان ز دست فتن   بپادشاه زمینه وبشهریار زمن

ومعناه :

— لقد تخلص الزمان والمكان من قبضة الفتن ، على يد ملك السكون وسلطان الزمن

والأبيات المروية آنفا معناها كالآتى :

— وأنت تعلم يا مولاى أن بحر « عدن » فى وقت النظم أقل خادم لبحر طبعى (أى بحر ج الدرر الغالية)

— وكما أعطوك ملك العالم ، فقد أعطونى يقينا ملك الكلام

— وبيت القصيد لى فى كل علم ، ومكان الصدارة لى فى كل فن

— وأنا الذى لا يلد الزمان مثلى مهما تحركت الأفلاك

— ولكن روحى تحترق وجسدى آخذ فى الزوال بسبب وشايات الأعداء

— وقد اسود خاطرى الذى كان كالبدر المنير واعوجت قامتى التى كانت معتدلة كشجرة السرو الباسقة فى الخميلة

— فإذا استطعتُ احتمال الملل والصبر على دلال الحبيب ، فكيف أستطيع الصبر على شماتة الأعداء ...!!

— فيارب لا تجعلنى أنسى حق نعمتك على ، ولو أنسيت أنت حقّ خدمتى لك ...!!

(٢) مطلعها هكذا :

جهان سرای غرور است نه سرای سرور   طمع مدار سرور اندرین سرای غرور

ومعناه :

— الدنيا دار غرور وليست دار سرور ، فلا تطمع فى السرور فى سراى الغرور

والأبيات المروية آنفا معناها كالآتى :

— لقد وقفت نفسى على مدحك يا مولاى ، ثلاثين عاماً حتى أصبحتُ بمدحك مذكوراً فى جميع أنحاء العالم

— فإذا أدار الحاسدون طاحون البلاء فوق رأسى ، فإنى لن أتحول عن خدمتك فى الغيبة والحضور =

منم که با صدمات بلا مرا دادند — تنی عظیم حمول ودلی عظیم صبور
بقهر باد ز من راحت حیات اگر — شوم ز طاعت تو تا بوقت مرگ نفور
. . . .
منم که صیت من از خدمت تو شد شایع — منم که نام من از مدحت تو شد مذکور
شدم بسعی قبول تو منتظم أحوال — شدم بفیض عطای تو مستقیم أمور
خدایگانا گفتند حاسدان بغرض — که شد ألوف دل من ز خدمت تو نفور
بحق صانع هفت آسمان وهفت زمین — که هست عقل در اظهار صنع او معذور
. . . .
که تا نیاید نزدیکم اضطرار فنا — ز صدر تو نشوم جز باختیار تو دور

***

ويقول فى قصيدة أخرى(١) :

شاها چنانکه مرا فضل بی قیاس — ار جور چرخ هست مرا رنج بی کران
جا نم رسید از ستم جاهلان بلب — کارم رسید ار حسد حاسدان بجان
مردم بفضل سود دو عالم طلب کنند — بخشای بر کسی که ز فضلش رسد زیان
بذ رفتم از خدای کزین پس نباشدم — با هیچکس مخاصمت از راه امتحان
چون نیست خصم باکه کشم تیغ از نیام — چون نیست مرد باکه نهم تیر در کمان

— فقد أعطيت لصدمات البلاء ، جسدا شديد التحمل وقلبا عظيم الصبر
— فيا رب ! حطم راحة حياتى بقهرك إذا نفرت عن طاعتك إلى يوم الموت
— وأنا الذى ذاع صيتى فى خدمتك واشتهر اسمى فى مدحك
— وبقبولك انتظمت أحوالى ، وبفيض عطائك استقامت أمورى
— ولقد قال الحساد معرضين يا مولاى إن قلبى الألوف قد نفر من خدمتك
— وبحق صانع السموات السبع والأرضين السبع ، الذى يقصر العقل عن إظهار صنعه
— إننى لن أبتعد عن قربك مختارا حتى يضطرنى إلى ذلك الفناء ...!!

(١) مطلع هذه القصيدة هكذا :

أعلام شرع برد بر أطراف آسمان — دست ظفر بقوت تیغ خدایگان.

ومعناه :
— بقوة سيف المليك رفعت يد الظفر أعلام الشرع إلى أوج السماء
والأبيات المنقولة فى الأصل معناها كالآتى :
— وكما أن لى من الفضل ما لا قياس له ، فكذلك لى من جور الفلك آلام لا حد لها
— وقد وصلت روحى إلى شفتى بسبب ظلم الجاهلين ، وبلغت روحى مخرجها بسبب حسد الحاسدين
— وأصحاب الفضل يطلبون النفع فى كلا العالمين ، فاعف عمن يخسر بسبب فضله
— ولقد عاهدت الله ألا يكون لى بعد ذلك خصام مع أحد على سبيل التجربة والامتحان
— وإذا لم يكن لى خصم فعلى من أسحب السيف من غمده ، وإذا لم يكن لى عدو فعلى من أعد السهم فى قوسه ...!!

از نظم من برند بهر خطهٔ یادگار   از نثر من زنند بهر بقعه داستان
هم کاتب بلیغم هم شاعر فصیح   هم صاحب بیانم هم حاکم بنان
ابریست طبع من که ز باران علم او   آراستست عرصهٔ گیتی چو بستان
قومی که بسته اند میان بر خلاف من   جویند نام خویش همی اندران میان
لیکن نه آگهند که از کین أهل علم   چیزی بدست ناید جز عار جاودان
بو جهل را نه بینی کز کین مصطفی   ملعون این جهان شد ومخذول آن جهان
تو حافظ منی ونباشد ز گرگ باك   آن گوسفند را که چو موسی بود شبان

وقال قصيدة أخرى فى هذا الباب من نوع « التركيب بند » ننقل أحد أقسامها (بنودها) فيما يلى :

شاها من این جلالت وآلا گذاشتم   وار عجز این ستانهٔ والا گذاشتم
وز حادثات گنبذ خضرا نه بر مراد   این صدر همچو گنبذ خضرا گذاشتم
وین حضرتی که خاك جنبا نش کشیدمی   چون سرمه در دو دیدهٔ بینا گذاشتم
زینجا بعجز رفتم وبسیار یا دگار   در مدح تو ز طبع خود اینجا گذاشتم
اقبـال بی نهایت درگاه فرّخت   از جور بی نهایت اعدا گذاشتم
گر آفت فنا نرسد بنـــدهٔ ترا   هم باز بیند این در فرخندهٔ ترا(١)

وهناك قطعتان فى هذا المعنى مذكورتان فى الجزء الثانى ص ١١ من تاريخ جهانـكشاى تأليف الجوينى ، وقد نقلنا قطعة منهما فيما سبق وسنذكر القطعة الأخرى فيما بعد .

وكأنما رقّ قلبُ « أتسز خوارزمشاه » لمثل هذه الاستعطافات الحارة التى تدل على

— وهم يذكرون نظمي فى كل خطة ، ويقصون نثرى فى كل بقعة
— فأنا كاتب بليغ ، وشاعر فصيح ، وصاحب بيان ، وحاكم بنان
— وطبعى سحابة ، من وابل علمها قد أزينت عرصات الدنيا فأضحت كالبستان
— ومن أجل ذلك فإن الذين يعقدون العزم على مخالفتى ، يريدون أن يبقى اسمهم فى هذا العالم
— ولـكن ، ألم يعلموا أن خصام أهل العلم لا يورث إلا العار الأبدى
— ألم تر إلى أبى جهل قد أضحى بخصامه المصطفى ملعونا فى الدنيا مخدولا فى الآخرة
— فإذا حفظتنى أنت ، فلا خوف على الشاة من الذئاب وقد أصبح موسى راعيا للقطيع

(١) معنى هذه الأبيات بالعربية كما يأتى :
— مولاى . . لقد ابتعدتُ عن جلالك وآلائك ، وأقصيتُ بعجزى عن عالى أعتابك
— ودارت حادثات القبة الخضراء على غير المراد ، فأقصيتُ عن صدرك المرتفع كقبة السماء
— وابتعدت عن حضرتك التى كنت آخذ ترابها فأجعله كحلا لعينى
— ومضيت بعجزى ، ولـكنى خلفتُ ورائى كثيراً من آثار طبعى فى مدحك
— وتركت إقبال أعتابك السعيدة ولا حد له ، من أجل جور الأعداء الذى لا نهاية له . . !!
— فإذا لم يدرك الفناء عبدك فهو لا شك راجع إلى بابك السعيد . . !!

الصدق والبراءة ، فأسرع بإعاده رشيد الدين إلى سابق حظوته ، وقديم عمله ومكانته .
ودليلنا فى استنباط ذلك موجود فى إحدى رسائله التى بعث بها من خراسان إلى « صدر الأئمة ضياء الدين » ، فقد ذكر فيها أنه « اجتاز المفازة [١] فى معيـة « أتسز » فى منتصف ذى الحجة سنة ٥٤٨ هـ ، وأنهم ضربوا الخيام فيما بين شهرستان [٢] ونسا ... »

ولا شك أن ذلك كان فى الأيام التى أسر فيها الأتراك الغز ، السلطان سنجر وأشعلوا فى خراسان نيران الهرج والمرج ، حتى اضطر أتسز إلى الحضور إلى خراسان والإقامة فى مدينة « نسا » لمحاربة الغز ودفع عدوانهم بناء على دعوة وصلته من ابن أخته « الخاقان ركن الدين أبو القاسم محمود بن محمد بن بغرا » وهو الذى تولى العرش مكان خاله طوال مدة أسره .

ويقول عطا ملك الجوينى : إن ملك خوارزم «أتسز» أقبل إلى « خبوشان استوا » [٣] كما أقبـل إليها الخاقان ركن الدين من نيسابور ، فتقابلا هناك وتعاهدا فيما بينهما ، وبقيا متلازمين ثلاثة أشهر ، حاولا فيها إصلاح ما فسد من أمور الملك . وقد أعد ملك خوارزم حفلا فى يوم من الأيام ، دعا إليه الخاقان ركن الدين فتقدم رشيد الدين الوطواط ومدحهما بقصيدة منها هذا البيت :

جمعند همچانك بيك برج در دو سـعد در يك سراى پردهٔ ميمون دو شهريار [٤]

ثم اعتل ملك خوارزم بعد ذلك فلما كانت الليلة التاسعة من جمادى الآخرة سنة ٥٥١ هـ أدركته الوفاة ، وانتهى بموته ما ركب فى رأسه من نخوة وجبروت وتـكبر .

وقد بكاه رشيد الدين الوطواط بقوله :

شاها فلك از سياستت مى لرزيد پيش تو بطبع بندگى مى برزيد
صاحب نظرى كجاست تا در نـگرد تا آن همه مملـكت بدين مى ارزيد

ومعنى هذه الرباعية :

— مولاى . . ! لقد كان الفلك يرتعد من عقابك وكان يرمى العبودية لك بطبعه (يخضع لك)
— فأين واحد من أصحاب النظر ، حتى يرى ما كانت كل هذه المملـكة تساويه ..!!

---

(١) مكان بين بحيرة خوارزم وجبال خراسان الشمالية

(٢) شهرستان ، قرية صغيرة بالقرب من نسا ، وهى التى ينسب إليها محمد بن عبد الـكريم الشهرستانى صاحب كتاب الملل والنحل . انظر معجم البلدان ج ٣ ص ٣٤٣

(٣) « استوا » هو الاسم القـديم لولاية خبوشان وهى الولاية التى أصبحت تعرف منذ أيام المغول باسم قوچان

(٤) معناه بالعربية :
— اجتمعا كما يجتمع كوكبان من كواكب السـعد فى برج واحد ، وكأنهما ملـكان سعيدان فى سراى واحدة

ونستطيع أن ندرك مما سبق ذكره أن « رشيد الدين » عاد إلى خدمة « أتسز » فى منتصف ذي الحجة سنة ٥٤٨ ﻫ ، ولم يبتعد عن مولاه طويلا ، لأننا نعلم أن الكدر بينهما وقع فى المحرم من السنة السابقة (٥٤٧ ﻫ) .

وبعد وفاة « أتسز » دخل رشيد الدين فى خدمة ابنه « ايل أرسلان » ٥٥١ — ٥٦٨ ﻫ واشتغل بنفس العمل الذى كان له على أيام أبيه ، فلما مات ايل أرسلان وجلس ابنه « السلطان تكش » على عرش خوارزم فى يوم الاثنين الثانى والعشرين من ربيع الآخر سنة ٥٦٨ تقدم إلى تهنئته الشعراء والبلغاء ، وحضر رشيد الدين الوطواط فيمن حضر ، محمولاً فى محفّة لأنه كان معتلا قد جاوز الثمانين من عمره ، واعتذر بضعف بنيته وكبر سنه فلم ينشد شعراً كما فعل الآخرون ممن أسعفتهم القرائح وجادت عليهم الخواطر ، واقتصر على إنشاد الرباعى الآتى على سبيل التبرك[1] :

جدت ورق زمانه از ظلم بشست   عدل پدرت شكستها كرد درست
اى بر تو قباى سلطنت آمده چست   هان تا چه كنى كه نوبت دولت تست

ومعناه :

— إن جدك قد غسل صحائف الزمان من الظلم ، وأقام أبوك بعدله ما اعوج من الأمور

— فيا من يليق عليه قباء السلطنة ، تنبه وتبين ما أنت فاعل ، فالنوبة نوبتك . . ! !

ويؤخذ من إحدى الرسائل العربية[2] أن رشيد الدين قد أُعفى من واجباته فى أواخر أيام السلطان « ايل أرسلان » أو فى أوائل أيام السلطان تكش ، وأنه انصرف بعد ذلك إلى الاشتغال بالطاعة والعبادة . وهناك احتمال قوى أن الذى أعفى رشيد الدين من عمله هو السلطان تكش ، لأن رشيد الدين كان يتولى وزارة الرسائل ورئاسة دار الإنشاء فى خوارزم مدة السنوات السبع عشرة التى تولاها « ايل أرسلان » وهو يقرر فى إحدى رسائله العربية أن إقامته فى خوارزم قد بلغت إحدى وأربعين سنة[3] ؛ فإذا جعلنا ابتداء خدمته لملوك خوارزم مقارنا لتولى « أتسز » على العرش يعنى فى سنة ٥٢٢ ، وأضفنا بعد ذلك الإحدى والأربعين سنة التى أقامها فى خدمتهم ، كان معنى ذلك أنه ظل معهم إلى سنة ٥٦٣ ، وهى السنة الثانية عشرة من حكم السلطان « ايل أرسلان » . . . . ولكننا لا نستطيع بعد هذا التاريخ أن نعلم هل ظل رشيد الدين بعد ذلك فى خدمته ، ولا أن نعلم فى أى وقت كان عزله وإقصاؤه عن مهنته .

---

(١) انظر تاريخ جهانگشاى ج ٢ ص ١٢ . (٢) انظر مجموعة رسائله العربية ج ٢ ص ٢٨ .

(٣) انظر مجموعة رسائله العربية ج ١ ص ٧٠ .

والظاهر أنه عنـد ما اعتكف الوطواط فى عزلته ونفض يديه من أمور الدولة ، لامه من حل محله على مسلكه ، وأحد يستهرئ بخدمه وأتباعه ، وكان يكاتبه فى ذلك مستعملا دواته وقلمه ، فأرسل إليه الوطواط رسالة يوصيه فيها بأنه إذا شاء أن يكون كاتبا الملك فعليه قبل كل شىء أن يعدّ لنفسه محبرة وقلماً وإلا يستمر فى إيذائه له والطعن عليه ، وحكى له ضمناً حكاية ممتعة عن حمار نيسابورى ، تمثل بهـا فى رسالته ، وقد نقلها ياقوت فى معجمه لحسن عبارتها ولطف مضمونها[1] .

وقد ظل رشيد الدين على حبه لموطنه الأصيل خراسان ، مخلصا لأحبته فى بلخ ، آسفا لاضطراره إلى مفارقة بلدته وعشيرته واضطراره إلى الحياة غريباً فى بلدة نائية قاصية . فهو يقول مثلا[2] :

فداى بلخ دل من كه روضهٔ ارمست	حريم او بأمان همچو بيضهٔ حرمست
همه سعادت بلخ وهمه عبادت او	كه بيضهٔ حرم است وچو روضهٔ ارمست
چنين مفاخر آن خطه را بسست وليك	همه بجنب وجود ضياء دين عدمست
پناه دودهٔ حيدر كه از سياست او	مفاخر عربست وتظاهر عجمست
بزرگوارى فرزانه وخـداوندى	كه پيش درگه او پشت آسمان بخمست
بلند همت او همچو چرخ مرفوعست	بزرگ مجلس او همچو كعبه محترمست
بهر كسى كه نهد در طريق دين قدمى	همه دخاير عقبى طفيل آن قدمست
بعلم وحلم وسخا ووفا وعدل وحيـا	بما لم اندر چون جد خويشتن علمست
ضياء دين پيمبر تو آن سر افرازى	كه بر صحيفهٔ اقبال نام تو رقمست
معلقست بفرخنده كلك ميمونت	همه مصالح دنيا مگر نگين جمست

---

(١) انظر معجم الأدباء ج ٧ ص ٩٣ وكذلك مجموعة الرسائل العربية ج ٢ ص ٩

(٢) معنى هذه الأبيات بالعربية :

— إن قلبى فداء لمدينة بلخ فهى روضة إرم ، وحرمها فى أمنه شبيه ببيضة الحرم
— وهى مليئة بالسعادة ، معروفة بالعبادة كبيضة الحرم وروضة إرم
— ومفاخرها كثيرة متعددة ولـكنها إذا قورنت بـ « ضياء الدين » فهى العدم
— فهو ملجأ للأشراف من سلالة « حيدر » وسياسته ملئت مفاخر العرب وسطوة العجم
— وقد انحنت أمامه قبة السماء خضوعاً لما امتاز به من شأن ومكانة وعظم
— وقد بلغت همته الرفيعة أوج الفلك ، وأشبه مجلسه العتيد الـكعبة والحرم ا
— وكل من جد بسعيه فى طريق الدين فهو طفيل أمام سعيه الـُقدُم
— وهو كجده فى العلم والحلم والسخاء والوفاء والعدل والحياء وقد أضحى فى العالم مرفوع الصيت كالعلم
— وأنت ضياء لدين الرسول ، وقد كتب اسمك فى رفعة على صحيفة الإقبال ورُقم
— وقد تعلقت مصالح الدنيا بقلمك السعيد وكأنه خاتم « جم »
=

هر آنکه پیش تو همچون قلم بسر نرود | سرش بریده وسینه دریده چون قلمست
بنظم ونثر در ألفاظ تو همه نکته است | بأمر ونهی در أحکام تو همه حکمست
ضمیر ناصح صدرت خزانهٔ طربست | روان حاسد جاهت نشانهٔ ألمست
منم که تا ز جناب تو دور ما ندستم | هر آن دمی که بر آرم ندیم او ندمست
ز شوق مجلس وهجر رخ تو ام دل وچشم | یکی عدیل تفست ویکی ندیم نمست
عنای طبع من وروح روح من بی تو | چو دولت تو فزون وچو حاسد تو کمست
همیشه تا که حدونست وصف هر موجود | مگر خدای تعالی که وصف او قدمست
دل تو شاد ورخت تازه باد گر بر چرخ | دل عدوی تو بر انده ورخش دژمست

* * *

و« الإمام ضياء الدين صدر الأئمة » الذى ورد ذكره فى هـذه الأبيات من كبراء بلخ وشعرائها ، وكان له — كما يبدو من أشعار رشيد الدين ورسائله — فضل كبير فى رعايته والإحسان له ، وقد اعترف بذلك رشيد الدين فى إحدى رسائله إليه ، ونسب إليـه الفضل فيما أحرز من شهرة ومكانة فى النظم والنثر . وقد ترك له بعد مغادرته لبلخ ، رعاية أخيه « نجيب الدين عمر » والعناية به ، وقال فيه كثيراً من المدائح العربية والفارسية[١] .

وقد استطاع رشـيد الدين فى وقت من الأوقات ترك « خوارزم » والعودة إلى وطنه لرؤية والدته العجوز المكفوفة البصر ، فظل معها مدة سعدت فيها بقربه حتى إذا شاء الرجوع إلى مقر عمله ، أخذت تبكى لفراقه وتظهر كثيراً من الضعف واللوعة ، وقد وصف رشيد الدين هذه الحال فى إحدى قصائده التى أرسلها إلى أحد مخدوميه ، وربما وجه فيها الخطاب إلى « صدر الأئمة ضياء الدين » فهو يقول :

صـدرا بفر تو که نهشتم بعمر خود | عرض کریم را بهوی در کف هوان[٢]

— ومن لا يخضع لأمرك كما ينقاد لك القلم فإنه يضحى مقطوع الرأس مشقوق الصدر كالقلم
— ونظمك ونثرك جميعهما نكات طيبة ، وأمرك ونهيك جميعهما فوائد الحكم
— وضميرك الناصح خزانة للطرب ، وأما روح الحاسد لجاهك فهدف للألم
— ومنذ ابتعدت عن جنابك وقد أضحت كل لحظة تمر بى قرينة للندم
— وأنا فى هجرى لطلعتك وشوقى لمجلسك ، قد اتقد قلبى وجرى من مقلتى الدمع المنسجم
— وعنائى لغيبتك يزداد كدولتك ، وراحتى بغير رؤيتك تقل كحسادك وتنعدم
— وكل موجود حادث إلا الله تعالى فهو المتصف وحده بالقدم
— فليدم قلبك مسروراً ووجهك نضيراً وليمتلىء قلب عدوك بالأحزان ووجهه بالظُلَم
(١) انظر رسائل الوطواط العربية ج ٢ ص ٣٧
(٢) ترجمة هذه الأبيات هكذا :
— أيها الصدر الكبير ، بفضل دولتك لم أترك طوال عمرى ، عرضى الكريم (امى) فى يد الهوان =

ز آنها نیم که بر در هر کس کنم قرار   همچون سگان ز بهر یکی پاره استخوان
از بهر خرقه ای بکشم حرقه های این   وز بهر لقمه ای نخورم غصه های آن
گر مال نیست هست مرا فضل بی شمار   ور سیم نیست هست مرا علم بی کران
بل فضل به مرا که بسی درّ شاهوار   بل علم به مرا که بسی گنج شایگان
آرم بفضل موکب حشمت بزیر چنك   دارم بعلم مرکب دولت بزیر ران
من کرده خویشتن سره از فضل وآگهی   در کنج خانه مانده چو ز خایه ما کیان
لؤلؤ چه قدر دارد اندر صمیم بحر   گوهر چه قیمت آرد اندر میان کان
کاری کنم که ماندم از مکرمات اثر   جائی روم که باشدم از حادثات أمان
خواهم شدن چو تیر از اینجا سوی عراق   با قامتی ز بار عطای تو چون کمان
بگشاده چون دوات بأوصاف تو دهن   بر بسته چون قلم بثناهای تو میان
مسکین ضعیفه والدهٔ کنده پیر من   بر خود همی بپیچد از این غم چو خیزران
دارد سری گران ز دل وخاطری سبك   دارد دلی سبك ز غم واندهی گران
جانش رسیده در کف تیمار من بلب   کارش رسیده از غم تیمار من بجان
چون تار ریسمان تن او شد نزار ومن   بسته کجا شوم بیکی تار ریسمان
پوشیده رفت خواهم از و کز گریستن   بر بندد اشك دیدهٔ او راه کاروان
یا رب چگونه صبر کند در فراق من   آن طبع نا شکیبش وآن شخص نا توان

— ولستُ الشخص الذي يهدأ إلى كل الأبواب كما تفعل الكلاب من أجل قطعة من العظام
— ولا أنا بمستطيع أن أحتمل الحرق من أجل الخرق ، ولا الغصص من أجل اللقم
— وإذا كنت معدما ففضلي لا حد له ، وإذا لم يكن لي مال فعلمي لا نهاية له
— والفضل خير لي من فرائد الدرر ، والعلم خير لي من عوالي الكنوز والتبر
— وقد استطعت أن آخذ بالفضل موكب الحشمة في قبضتي ، وأن أحمل بالعلم مركب الدولة تحت فخذي
— وجعلت نفسي بالفضل كالدرهم المصقول . فهل انني في عقر داري كما ترقد الدجاجة على بيضها . . !!
— وما قدر اللؤلؤ وهو في قاع البحار ، وما قيمة الجواهر وهي في قاع المنجم .. !!
— فدعني أفعل أمرا يبقى لي أثرا في المكرمات ، ودعني أذهب إلى مكان يؤمنني من الحادثات
— وأنا ذاهب إلى العراق كالسهم المارق ، ولكن قامتي مما حملت من عطاياك قد اعوجت كالقوس
— وسأفتح فمي كالدواة في مدح آلائك ، وأعقد الحزم كالقلم في الثناء عليك وإطرائك
— ولكن والدتي العجوز المسكينة العليلة ، تتلوى كالخيزران من هذه الأحزان الثقيلة
— وقد ثقلت رأسها وخف عقلها من حبها لي ، وخف قلبها (فزعت) وثقلت أشجانها من حزنها للفراق
— وكادت تقضي أسفا للوعتها على بعدي ، وكادت تذوي حزنا لعطفها علي
— وقد هزل جسدها وأضحى كالخيط الدقيق ... وإلى أين أمضي وقد ارتبطت بهذا الخيط النحيل
— وسأمضي في خفية عنها فاني أخشى أن تغرق بدموعها طريق قافلتي
— ويا رب . . . كيف تستطيع أن تصبر على فرقتي . . . والصبر ليس من طباعها وجسدها ضامر لا قدرة فيه . . . !!

=

هستش دلی شکافته چون نار وز عنا　　روئی چو مغز نار وسرشکش چو ناردان

از زخمهای پنجه وار بادهای سرد　　بر چون بنفشه دارد وچهره چو زعفران

شبهای تیره راز بسی گفت خواهد او　　یا رب تو آن غریب مرا باز می رسان

حالی شگفت دیده ام امروز من از او　　والله که نیست هیچ خلاف اندرین میان

شد ناگهان ز عزم من آگاه ور جزع　　خاشاك شد دو گوهر تابانش ناگهان

فرزند دیده ای تو از این گونه بی وفا　　مادر شنیده ای تو بدین شکل مهربان

گر حق این ضعیفهٔ بیچاره نیستی　　در دل مرا کجا بودی یاد خان ومان

در مجلس ملوك مرا باشدی مقر　　در محفل صدور مرا باشدی مکان

غمنا وحسرتا که رساند عن همی　　یك سودرا زمانه بخروارها زیان

چندین هزار آفت ویك ذرهٔ منفعت　　چندین هزار گردن ویکباره گرد ران

ای گشته شرع را بهمه تقویت ضمین　　وای کرده خلق را بهمه مکرمت ضمان

تیمار آن ضعیفه چو رفتم نکو بدار　　مقدار آن عفیفه که گفتم نکو بدان

تا شرح داده های تو گویم بهر زمین　　تا مدح کرده های تو خوانم بهر زمان

جز من که گفت داند مدح ترا سرا　　جز من که کرد داند وصف ترا بیان

آنم که در دقایق تازی وپارسی　　دوران چرخ پیر نیارد چو من جوان

آن پیشوای معرکهٔ دانشم که من　　هرگز سپر بیفکنم از تیر امتحان

— وقلبها مشقوق كالرمان ، ووجهها من العناء متقد كقلب الرمان ، ودموعها محمرة كحبات الرمان

— ولكثرة بكائها ولطم خدودها قد ازرق جسدها كالبنفسجة واصفر وجهها كالزعفران

— وسوف تبوح فى الليالى الظلماء بسرها فتقول : « يا رب ارجع إلى ولدى الغريب »

— ولقد شاهدت اليوم حالا عجيبة قد بدت منها

— فقد علمت فجأة بعزمى على السفر فجزعت وهالت التراب فى عينيها الناصعتين

— فهل رأيت ابنا عاقا مثلى وهل رأيت أما مشفقة مثلها ...!!

— ولو لم يكن لهذه الضعيفة المسكينة حق على لما خطر على قلبي ذكر الأهل والوطن

— ولكان مقرى فى مجالس الملوك ، ولكان مكانى فى محفل الصدور

— ولكن يا أسفا : إن الزمان لا يجود على بمنفعة واحدة إلا وفى لفقها أحمال من الخسائر

— وبلاياه آلاف ومنفعته ذرة واحدة ضئيلة ، وسيئاته كثيرة وخيراته قليلة

— فيا من صرت ضامنا لتقوية الشرع ، ويا من ضمنت المكارم للخلق

— هلا أحسنت بعد ذهابى رعاية هذه الضعيفة ، وقدرت حق هذه العفيفة

— حتى أحكى سخاءك فى كل مكان ، وامجد صنيعك فى كل زمان

— ومن عساه يليق لمدحك سواى ، ومن عساه يعرف بيان وصفك إلاى

— وأنا الذى لا يستطيع الفلك المحوز أن يأتى بشاب مثلى خبير بدقائق العربية الفارسية

— وأنا قائد حلبة العلم ولن ألقى بمجنى أمام أسهم المحن　　=

از صوت من خجل شود ألحان عندليب — وز طبع من حسد برد اطراف بوستان
حسان کجاست تا که در آموز مش سخن — در دو زبان مدایح أوصاف خاندان

* * *

والظاهر أن رشيد الدين قال الأبيات الآتية عند إبعاده عن خدمة « أتسز خوارزمشاه » وفيها يبين حال أمه ويشرح سبب إقصائه عن مليكه فيخاطبه بقوله :

بشنو از احوال من لختی که خود احوال تو — با نظام جاودانی شد که ماند جاودان(١)
از حجاب هفت گردون کرده قدر تو گذر — در بسیط هفت کشور حکم تو گشت روان
بندهٔ صدر تو ام پروردهٔ درگاه تو — از تو دارم جاه وجان واز تو دارم نام ونان
در ثنای تست صیت من بگیتی مشتهر — از قبول تست نام من بعالم داستان
نظم شکر تو دهم چون معنی آرم در ضمیر — نقش مدح تو کنم چون خامه گیرم در بنان
جز هوای صدر تو شوق ندارم در دماغ — جز دعای ملك تو قولی ندارم بر زبان
مادری دارم ضعیفه داعیٔ ایام تو — دیده نا بینا ودل نا ساکن وتن ناتوان
نور چشم وزور جسم او ربوده یکسره — محنت دور سپهر ونکبت جور زمان
موی او گشته ز آفات جهان چون نسترن — روی او گشته ز احداث زمان چون ضیمران
از طپانچه گشته رخسارش چو نار وپس برو — قطره های اشك را چون دانه های ناردان
گر نبودی درد این بی چشم مرحومه مرا — تاخته بر جان سپاه وساخته در دل مکان
از بساطت فرد کی ماندی لب من یك نفس — وز رکابت دور کی ماندی رخ من یك زمان

— وقد خجلت ألحان العندليب لسماع ألحانى ، وحسدتنى البساتين على حلية طباعى
— فأين « حسّان » حتى أستطيع أن أعلمه مديح أسرتك بكلتا اللغتين العربية والفارسية ...؟!

(١) ترجمة هذه الأبيات هكذا :
— استمع برهة إلى نبذة من أحوالى ، فإن أحوالك قد انتظمت منذ الأزل وستبقى كذلك إلى الأبد
— وقد نفذ صيتك فى حجب السموات السبع ، كما نفذ حكمك فى أقاليم الأرض السبعة
— وأنا عبدك الناشىء فى أعتابك ، وقد أحرزت بواسطتك الجاه والحياة والشهرة وطيب العيش
— وصيتى مشتهر فى العالم بالثناء عليك ، واسمى مذكور فى القصص بقبولك لأقوالى
— فإذا خطرت المعانى فى ضميرى صغتها فى شكرك ، وإذا أمسكت القلم فى بنانى سقته فى مدحك
— ولا شوق يتقد فى رأسى إلا ما كان حبا فيك ، ولا دعاء يجرى على لسانى إلا ما كان للملك
— ولى والدة ضعيفة تديم الدعاء بدوام أيامك وقد فقدت بصرها وهدوء قلبها وقوة جسمها
— وقد سلبتها محن الدهر ونكبات الزمان نور عينيها وقوة جسدها
— وقد ابيض شعرها كالنسترن لما فعلته بها آفات الحدثان ، واصفر وجهها كالضيمران بما رزئت به من أحداث الزمان
— وقد احمرت خدودها باللطم فشابهت ثمرات الرمان وجرت الدموع عليها فشابهت حبات الرمان
— ولولا ما أحس به من ألم لهذه الضعيفة ، وقد أغارت جيوش الأحزان على روحى واستقرت فى قلبى
— لما ابتعدتْ شفتى عن بساط قربك لحظة واحدة ، ولما ابتعد وجهى عن ركابك برهة مفردة ==

ما ضعيفان آمديم اكنون ودر حكم تو ايم گر داب خواهد بدار وگر بمى خواهد بران
گر بدارى كس نخواهد گفت چون كردى چنين
گر برانى كس نخواهد گفت چون كردى چنان
خان ومان دادم بباد وهست اميد من آنك سازم اندر حوزهٔ خاك جنابت خان ومان

* * *

والظاهر أن سفر « الوطواط » لرؤية أمه أثناء إقصائه عن خدمة « أتسز » كان مقارنا لخروج هذا الملك على رأس جيشه إلى خراسان وبلوغه حدود « قوچان » الحالية ووصوله إلى العراق العجمى فيما بين سنتى ٥٤٨ و ٥٤٩ هـ ، لأن رشيد الدين يشير فى بداية هذه القصيدة إلى فتوحات أتسز فى العراق ، فيقول :

خسروا از زخم تيغ تو در اكناف عراق ماند خواهد ناظرانرا تا كه محشر نشان

ومعناه :

— أيها الملك ... ! إن ضربات سيفك فى أكناف العراق ستبقى آثارها للناظرين حتى يوم الحشر

* * *

وكان رشـيد الدين فيما عدا ذلك متصلا بالـ « شاه غازى نصرة الدين رستم بن على بن شهريار بن قارن » من أكابر أمراء « آل باوند » فى طبرستان[1] (٥٣٣ — ٥٥٨ هـ) ، وقد مدحه رشيد الدين وتلقى صلاته وعطاياه ، وكان هذا الأمير يرسل إليه فى خوارزم فى كل عام هدية تشتمل على خمسمائة دينار وعمامة وجبة وجواد كامل العدة . . . وقد نقل لنا « بهاء الدين محمد بن الحسن بن اسفنديار » فى كتابه تاريخ طبرستان ، ثلاث قصائد عربية للوطواط فى مدح هذا الأمير[2] .

* * *

هذا هو القدر الذى فى أيدينا عن ترجمة رشيد الدين الوطواط ؛ ولا شك أنه لو استطاع

— وقد أقبلنا عليك فى ضعف ونحن خضوع لحكمك فإذا شئت فأقبلنا ، وإذا لم تشأ فأبعدنا ... !

— فإذا قبلتنا فلن يقول أحد لم فعل هذا .. ؟! وإذا رددتنا فلن يسأل سائل لم فعل كذلك .؟!

— ولقد طوحت بعدتى وعتادى ، وكل أملى أن أهيىء لنفسى عدة وعتادا جديدين فى حوزة أعتابك

(١) ذكر ابن الأثير أن وفاة نصرة الدين رستم كانت فى سنة ٥٦٠ ، ولكن صاحب تاريخ طبرستان جعلها فى سنة ٥٥٨ هـ . انظر ص ٢٤٩ من ترجمة « براون » الإنجليزية لتاريخ طبرستان تأليف ابن اسفنديار ، وكذلك مجالس المؤمنين للقاضى نور الله الشوشترى

(٢) انظر ص ٦٢ — ٦٥ من الترجمة الإنجليزية لتاريخ طبرستان فى سلسلة جب التذكارية

كاتب هذه السطور أن يحصل على رسائل الوطواط الفارسية — المخطوطة فى مدينة لنينجراد ، ضمن مجموعة من المراسلات الخاصة بعهد السلاجقة وملوك خوارزم — لتمكن من أن يحصل على معلومات أخرى متصلة بمؤلف « حدائق السحر » تكشف الغامض من حياته وتبديه لنا فى صورة أكثر وضوحا وبياناً .

* * *

وكانت وفاة رشيد الدين فى سنة ٥٧٣ على قول « ياقوت » ومن تابعه من المؤرخين مثل صاحب « روضات الجنات » وصاحب « كشف الظنون » ، أما « تقى الدين الكاشى » وكذلك « دولتشاه » فقد قررا أن وفاته كانت فى سنة ٥٧٨ ﻫ . وقد رجحنا نحن فيما سبق قول ياقوت وأخذنا به للأسباب التى أدلينا بها فى موضعها .

الفصل الثانى

منزلة الوطواط فى الشعر العربى الفارسى

اشتهر « رشيد الدين » بين قراء العربية بمنشآته البليغة[1] ، كما اشتهر بين أدباء الفرس بأثره الخالد « كتاب حدائق السحر فى دقائق الشعر » ؛ وهو بالإضافة إلى هذين يعتبر من كبار الكتّاب فى اللغتين العربية والفارسية ، وله أشعار كثيرة فيهما .

ويقول ياقوت[2] : « إن رشيد الدين كان أعلم الناس بدقائق كلام العرب ، وأسرار النحو والأدب ، طار فى الآفاق صيته ، وسار فى الأقاليم ذكره ، وكان ينشىء فى حالة واحدة بيتاً بالعربية من بحر وبيتاً بالفارسية من بحر آخر ويمليهما معاً ... »

ولكن أشعار رشيد الدين العربية والفارسية ليست شيئاً إذا قورنت بمنثوراته فى هاتين اللغتين . وقد قرر هذه الحقيقة أيضاً ياقوت فى معجمه[3] فاعتبر شعره يقلّ فى المرتبة عن نثره .

وأشعاره الفارسية ، ولو أنها قوية التركيب محكمة البنيان فصيحة اللفظ ، إلا أنها خالية من الرقة واللطف اللذين نحس بهما فى أشعار طائفة كبيرة من معاصريه ، ذلك لأن رشيد الدين فى نظمه للشعر ، عمل جاهداً — كما فعل فى النثر — على أن يراعى فى أغلب مصاريعه صناعة البديع ، واجتهد فى ألا يترك بيتاً من أبياته خالياً من الترصيع أو الموازنة أو ما شابه ذلك من الصناعات البديعيـة . . . وهو وإن ادعى أن أبيات الشواهد فى كتاب « ترجمان البلاغة » الذى وضعه « الفرخى » جميعها مستهجنة غير مستحسنة ، وإن الفرخى قد تكلف وتعسف فى نظمها ؛ إلا أنه هو أيضاً قد تابعه فى هذا التكلف والتعسف كما نلحظ ذلك فى بعض أمثلته التى ساقها شاهدا على بعض الصناعات البديعية ، وفى القصائد التى قالها وراعى فيها صناعة « ذى القافيتين »[4] أو فى المختصر الذى ذكره فى « التصحفات »[5] . . . ومن

---

(١) له مجموعة من الرسائل العربية نشرها فى جزءين المرحوم محمد أفندى فهمى رئيس قلم الإدارة بديوان الأوقاف المصرية فى سنة ١٣١٥ هـ ، وطبعت بمطبعة المعارف بمصر

(٢) انظر معجم الأدباء ج ٧ ص ٩١

(٣) يقول فى معجم الأدباء ج ٧ ص ٩٤ : « ولرشيد الدين شعر دون نثره فى الجودة »

(٤) انظر حدائق السحر فى فصل « ذى القافيتين » ص ٥٨ من الأصل

(٥) انظر حدائق السحر فى فصل « التصحيف » ص ٦٨ من الأصل

الغريب أنه هو نفسه أدرك هذه الملاحظة فقال بالحرف الواحد ما ترجمته : « إن هذه الأبيات ليست لطيفة فى ذاتها ولكنها كافية على سبيل المثال ... »[1]

ويقرر « دولتشاه »[2] : « إن ديوان رشيد الدين يبلغ الخمس عشرة ألفا من الأبيات ، أكثره مصنوع ومرصع وذو قافيتين وغير ذلك ... وقال قصيدة مرصعة برمتها وجعل بعض أبياتها مرصعة مع التجنيس ، ثم ادعى أن أحداً قبله لم يسبقه إلى قول قصيدة مرصعة بتمامها لا فى العربية ولا فى الفارسية ... »

ومن البديهى أن الأبيات التى ينظمها الشاعر للتمثيل بها فى كتاب من كتب البديع ، أو ليظهر بها قدرته على الصناعات اللفظية من قبيل « ذى القافيتين » و « الترصيع » و « التوشيح » و « التصحيف » وغيره ... مثل هذه الأبيات المصطنعة ، لا يليق بنا أن نطلق عليها تسمية « الشعر » بمعناه الحقيقى ، بل هى نظم خال من اللطف ورقة الذوق .

ويقول « تقى الدين »[3] مقرراً مكانة رشيد الدين فى الشعر : « إن الأساتذة يجعلونه من حيث المنزلة والأسلوب عديلا لظهير الفاريابى ، أما الأنورى فقد كان يفضل « أديب صابر » عليه ؛ على خلاف الخاقانى فقد كان يعتبر « رشيد الدين » أفصح وأبلغ ... » [4]

ولا شك أن أصحاب الذوق السليم الذين لا يتقيدون بالتكلفات اللفظية والتصنعات اللغوية ، والذين يعرفون معرفة حقه أن الشعر الحقيقى هو ما استطاع أن يؤثر فى نفس القارئ والسامع فيولد فى القلوب الإحساس بالرقة أو الشعور بالشدة ، ويكون سبباً فى تحريك النفوس والأفئدة حتى تجيش بانفعالاتها وعواطفها ... لا شك أن أمثال هؤلاء يدركون عند مقارنتهم لأشعار « أديب صابر » بأشعار « رشيد الدين » ، إن الأنورى كان محقّا فيما قال ، وأن رشيد الدين كان أكثر أستاذية من « أديب صابر » من حيث الفصاحة والأدب والبلاغة ... ولكنه كان دونه مرتبةً من حيث الشعر والشاعرية .

ولم يهيأ لديوان « رشيد الدين » الفارسى أن يطبع إلى الآن ، ولكن نسخاً كثيرة منه توجد فى دور الكتب الأوروبية وفى كثير من المكتبات الخاصة .

---

(١) حدائق السحر ص ٦٨ من الأصل الفارسى حيث يقول : « اين قبيل أبيات در نفس خويش لطفى ندارد أما مثال را تمامست »

(٢) انظر تذكرة الشعراء ص ٨٩

(٣) فى ترجمته لرشيد الدين

(٤) فى ترجمته لأديب صابر

الفصل الثالث

صلة الوطواط بمعاصريه من الفضلاء والشعراء

القرن السادس الهجرى الذى عاش فيه رشيد الدين ، قرن نفقت فيه سوق العلوم والآداب ، فى الممالك الإسلامية الشرقية وخاصة فى خراسان وما وراء النهر ، حيث اتقدت مشاعل العلم واشتعلت سرج الفضل فأنارت مدناً كثيرة زاهرة مثل مرو وبلخ ونيسابور وهراة وطوس والجرجانية وبخارا وسمرقند .

وكان لحكم السلاجقة العادل فى خراسان ، وتولى « الخوارزمشاه » على ما وراء النهر وخوارزم منذ أواخر القرن الخامس ، وما كان لهم من الوزراء المحبين للعلم والأدب ، اليد الطولى فى استقرار الأمن والسكينة فى هذين القطرين الإسلاميين . والأمن بلا شك مقدمة لازمة لنشر العلوم والآداب ، يستطيع الفضلاء والأدباء فى ظله أن يقوموا بإفادة من حولهم والاستفادة ممن حولهم . فقد ازدهرت المدن وعمرت ، وزخرت المدارس والمحافل بمن فيها ، وامتلأت الزوايا والتكايا بملازميها من الأدباء الذين لا شغل لهم إلا الدرس والبحث ، واعتبر السلاطين والوزراء أسعد أيام حياتهم ، الأيام التى يقضونها فى تحصيل الأدب وجمع الكتب ، أو التى يستطيعون فيها الفراغ لمجالسة الفضلاء والشعراء .

وكان أشهر سلاطين هذا القرن اثنين هما السلطان « سنجر » فى خراسان ، والسلطان « أتسز خوارزمشاه » فى خوارزم . وكانا يتنافسان فى كل شىء ، وخاصة فى تشويق الفضلاء وتشجيع الشعراء على الانضمام إليهما والمعيشة فى قصورهما .

ولم تكن معارضة « أديب صابر » لـ « رشيد الدين الوطواط » ولا منافسة « الأنورى » له ، بأقل شدة وأخف حدة من معارضة هذين الملكين المتنافسين .

ولعل خير ما ينبىء برواج سوق العلم والأدب فى هذه الأيام ، وجود هذه المكتبات الخاصة والعامة التى كان العلماء والوزراء يمتلكونها أو التى كانت ملحقة بالمدارس والزوايا ، مباحة للطلاب يرتادونها ويستفيدون منها . . ولا شك أن القارئ لتأخذه الدهشة والحيرة إذا اطلع على الوصف الذى كتبه « ياقوت » لأمثال هذه المكتبات العمومية والخصوصية فى مدينة مرو أثناء فتوح المغول المعروفة .

ومن الطبيعى فى مثل هذه العصور أن يتراسل الشعراء والفضلاء وأن يتكاتبوا فيما بينهم

وأن يستعين الواحد منهم بالآخر فيما يعترضه من صعاب ، وأن يتبادلوا فيما بينهم إعارة الكتب واستعارتها ، وأن يمدح الواحد منهم زميله أو يقدح فيه ، خاصة إذا برز واحد منهم في العلم واشتهر بالفضل ووصل إلى مرتبة رفيعة لدى الملوك والأمراء وأصبح من ذوى الجاه يرجى نفعه ويخشى بأسه .

وكان رشيد الدين — على حد قول ياقوت — من نوادر زمانه وعجائب عصره وأيامه ، وكان يعتبر أفضل الناس نظما ونثراً ومعرفة بدقائق كلام العرب وأسرار النحو والأدب . ومن أجل ذلك كله فقد اشتهر صيت فضله في الآفاق وذاع اسمه في جميع الأقاليم والأنحاء[١]

وكان له حرص غريب على جمع الكتب ، وربما أمضى أكثر وقته في استنساخها وتصحيح أوراقها[٢] ، وكان يعنى عناية خاصة بتصحيح كل كتاب من الكتب يقع في يده فيرفع أغلاطه بمقابلته بنسخته الأصلية أو بنسخة قام على تصحيحها أساتذة الفن وجهابذة العلم[٣] . وكان بالإضافة إلى ذلك صادق الرغبة في استملاء شعر الفصحاء واستهداء نثر البلغاء[٤] حتى لقد يعرض على أستاذ من أساتذة عصره — بما أوتى من أنواع التشويق والتشجيع — أن يقصده بعض الوقت فيقيم عنده على نفقته مكرما معززاً حتى يفرغ من قراءة كتاب له ويستجيزه في روايته[٥] . ولقد وقف ألف مجلد من الكتب النفيسة على خزائن الكتب[٦] ، وكان يرتب الأرزاق للشعراء ، ويتولى تقديمهم إلى الكبراء والوجهاء ويسألهم أن يحلوهم عندهم في رياض القبول والتمكين ، ويغمروهم بلطائف الإحسان والتحسين[٧] .

وكان رشيد الدين يتولى ديوان الرسائل لملوك خوارزم (الخوارزمشاه) ، وقد بلغ مرتبة الإمارة والوزارة فساعده كل ذلك على أن يصبح محطا لنظر شعراء عصره وأدباء وقته ، بحيث كانوا يعتبرون إرسال أشعارهم إليه مفخرة من أكبر مفاخرهم ، وبحيث دأبوا على مكاتبته ومراسلته بل واجتهدوا في جمع آثاره حتى في أثناء حياته[٨] .

وقد تراسل رشيد الدين مع أغلب الوزراء والأمراء والأعيان ، ومع نفر من سلاطين عصره ، فكانوا جميعا يحسون بمتعة بالغة إذا وصلتهم أشعاره أو بلغتهم رسائله . وتكاتب هؤلاء أيضاً معه وراسلوه في مناسبات كثيرة ، وفيما يلي نفر ممن راسله من فضلاء عصره :

---

(١) انظر معجم الأدباء ج ٧ س ٩١

(٢) انظر مجموعة رسائل رشيد الدين ج ٢ س ١٧ ، ٥٠

(٣) نفس المرجع ج ٢ س ٦٤ ، ٦٧

(٤) نفس المرجع ج ٢ س ٦٠

(٥) نفس المرجع ج ٢ س ١٧

(٦) نفس المرجع ج ٢ س ١٨

(٧) نفس المرجع ج ٢ س ٤٩

(٨) نفس المرجع ج ٢ س ٨

١ — العلامة جار الله الزمخشرى
٢ — القاضى يعقوب الجندى
٣ — الإمام ضياء الدين صدر الأئمة الخطيب
٤ — الإمام حسن القطان
٥ — النعمانى الشاعر
٦ — أبو إسحق إبراهيم بن عثمان الغَـزّى الشاعر (٤٤١ — ٥٢٤ هـ) الذى التحق بخدمته فى بلخ(١)
٧ — الأنبارى : الشاعر الفارسى الذى لاقاه فى مدينة ترمذ(٢)
٨ — بهاء الدين أبو محمد الخرقى الفيلسوف(٣)
٩ — الإمام سديد الدين ن نصر الحاتمى(٤)
١٠ — الإمام ضياء الدين عمر بن محمد البسطامى(٥)
١١ — الإمام محمد البغدادى ختن الإمام عمر الخيام بنيسابور(٦)
١٢ — الأديب شهاب الدين صابر بن اسماعيل (أديب صابر)
١٣ — الشاعر أفضل الدين خاقانى الشروانى

* * *

وكان رشيد الدين — كما يقرر البعض(٧) — رجلا معجباً بنفسه متعاظما ، كثير الاعتراض على أقوال معاصريه من الشعراء ، ومن أجل ذلك ساءت علاقتهم به ، وأقدم أغلبهم على هجائه والقدح فيه(٨) . . . . وكان يعتقد أن كلامه لا يدانيه كلام ، وأن علمه وفضله باديان للعيان ، وأن من عداه جميعاً عيال عليه ، يلتقطون اللقم من بقايا خوان فضله ..!! وقد كرر هذا المعنى فى كثير من المواضع فى منظوماته ومنثوراته ، وأكثر من ذكر مكانته العلمية والبلاغية . فقال مثلا فى إحدى قصائده فى مدح « أتسز » الأبيات التالية :

بر دين وملك آنكه ترا شهريار كرد ... بر نظم ونثر كرد مرا بير شهريار(٩)
آنم كه هست خاطر من گنج شايگان ... وانم كه هست گفتهٔ من درّ شاهوار

---

(١) انظر حدائق السحر ص ٣٧ من الأصل الفارسى (٢) نفس المرجع ص ٤١
(٣) أيضاً ص ٣٠ وص ١١٣ (٤) رسائل البلغاء ص ٢٩٦
(٥) مجموعة الرسائل ج ٢ ص ٤٨ ولباب الألباب ج ١ ص ٢٣١
(٦) مجموعة الرسائل ج ١ ص ٦٧ (٧) « تذكرة تقى الدين » فى شرح حال رشيد
(٨) تذكرة الشعراء ص ٨٧ (٩) ترجمة هذه الأبيات كما يلى :
— إن الذى اختارك للدين والحكم ، جعلنى أنا أيضا مملكا على النثر والنظم
— فخاطرى هو كنز الفرائد ، ومقولاتى هى درر القلائد
=

آرنده‌ٔ نوادر گیتی سپهر پیر گو : در فنون فضایل جوانی چو من بیار
حقا که تا بدهر پسند است دهر را آثار من قلاید أعناق افتخار

ثم هو يقول فى موضع آخر شاكياً أبناء عصره ذاكراً علو قدره ، وقد وجه الخطاب إلى ملك خوارزم :

دور از تو مدتی من مسکین نه بر مراد بودم بخوان حادثه مهمان روزگار
اخوان من که بود بر ایشان امید من گشتند بر جفای من اعوان روزگار
دلتنگم از جنایت اجرام آسمان رخ زردم از خیانت اخوان روزگار
با این همه چو من دگری پشت کی نهد بر مسند علوم در ایوان روزگار
در صد هزار سال بتأثیر آفتاب لعلی چو من نخیزد از کان روزگار
آثار من ستاره‌ٔ گردون مفخرت واخبار من شکوفه‌ٔ بستان روزگار
از نظم من فروده عدد ذات اختران وز نثر من گرفته مدد جان روزگار
غبنی بود اگر بکساد اندر اوفتد این پر بها متاع بدکان روزگار(١)

وكذلك يقول فى مدح « أتسز » ويشكو بعده عن خدمته :

شاها چو دست حشمت تو بر سرم ندید در زیر پای قهر تنم را بسود چرخ(٢)
بی حسن اصطناع تو وبرّ لطف تو نازم بکاست عالم ورنجم فزود چرخ
به زین نگر بمن که اگر حالتی بود والله که مثل من بنخواهد نمود چرخ

* * *

--- فقل للفلك العجوز الذى يكشف عن النوادر ، هل يمكنه أن يخرج شابا مثلى مبرزاً فى أنواع الفضائل ...!

--- وما دام فى الدهر من يعجب بأفعاله ، فستظل آثارى قلادة فى أعناق المفاخر

(١) ترجمة هذه الأبيات كما يلى :

--- كنت مدة أنا المسكين المعنّى بعيدا عنك ، استضافنى خوان الحوادث فصرتُ ضيفا لحوادث الزمان
--- وأصبح إخوانى الذين عولت عليهم وهم يجفوننى ويعينون الزمان علىّ
--- وقد ضاق صدرى لجناية أجرام السماء (حظى البائس) واصفر وجهى لخيانة الإخوان فى هذا الزمان
--- ولكن أحدا لن يستطيع كما أستطيع أن يسند ظهره إلى مسند العلوم فى إيوان هذا الزمان
--- ومهما طالت السنون فلن تخرج الشمس ياقوتة مثلى من منجم الزمان
--- وآثارى هى النجوم العوالى فى كبد السماء ، وإخبارى هى الزهور العوالى فى بستان الزمان
--- وبنظمى قد ازدادت الكواكب عددا ، وبنثرى ازداد رونق الزمان ازدهارا
--- فمن الغبن حقا ، إذا لم ترج بضاعتى الغالية وكسد سوقها فى حانوت الزمان ...!

(٢) ترجمة هذه الأبيات كما يلى :

--- أيها المليك ... لقد عركنى الدهر تحت أقدامه القاسية عند ما شاهد أن يدك الكريمة لا تحمينى
--- وبدون إحسانك على وبرّك بى ، أخذ العالم ينقص من جاهى وأخذ الزمان يزيد فى عنائى
--- فهلا التفت إلى بنظرة تفضل هذه النظرة ، فإن الزمان لا يجود بمثلى إذا قضى فى الأمر وانتهيت

وكان رشيد الدين شديد التعصب فى أمور الدين ، يخاصم المارقين ويحارب الذين يقضون أوقاتهم فى قراءة الفلسفة ؛ فكان مثلا يعتبر « ابن المقفع » قاصر العقل لأنه مر يوماً ببيت نار فتمثل ببيت من الشعر يدل على حبه له وتعلقه به[١] . وكذلك كان يتبرأ من « مقالات حكماء اليونان أجمعين إلا ما وافق الشرع وطابق الدين » على حد قوله فى إحدى رسائله[٢] .

ولا شك أن السبب الرئيسى لغضب الشعراء الذين هجوا رشيد الدين والذين اتهموه بالتكبر والحسد ، راجع إلى علو مرتبته فى الفضل والأدب ودنو منزلته وقربه من الملوك ، ثم إلى عدم اعتنائه بشئون الآخرين ، وتعصبه فى عقيدته وتغاليه فى إعلاء شأنه فيما يتعلق بالعلم والأدب والحسب والنسب وما إلى ذلك من المسائل المرتبطة بمدح النفس التى اضجرت كثيراً من أمثاله وأقرانه فأخذوا يقدحون فيه ويهجونه أشد الهجاء . . . وقد اشتكى رشيد الدين من حساده وأعدائه وكرر القول فى ذلك ، حتى لقد يستفاد من بعض القرائن أنهم نجحوا فى تحريض الـ « خوارزمشاه » عليه فأمر بعقد امتحان له فى أحد مجالسه ، وأمره أن يتناظر مع شخص آخر ، فغلب رشيد الدين على أمره فيما يظهر ، فقال الأبيات التالية :

خدايگانا امروز قرب سى سال است — كه بر بساط تو ام گه جبين وگاه لبست[٣]
ز بعد اين همه مدت هنوز محتاجم — بآزمايش در مجلس تو اين عجبست
منم امام همه اهل فضل و شخص مرا — ز علم ودانش هم طيلسان وهم سلبست
همه افاضل گيتى بدست من باشند — بدان مثال كه مهره بدست بو العجبست
اگر بنظم گرايم كلام من حكمست — وگر بنثر در آيم حديث من خطبست
بنظم ونثر من اندر نهاده اند هر آنچ — دقايق عجمست ولطايف عربست
تفاخرم بنژاد ونبار رسمى نيست — نژاد من هنر است وتبار من ادبست

(١) البيت الذى تمثل به ابن المقفع هو قول الأحوص بن محمد الأنصارى :

يا بيت عاتكة الذى اتغزل — حذر العدى وبه الفؤاد موكل

(٢) مجموعة الرسائل ج ٢ ص ٣ (٣) ترجمة هذه الأبيات كما يلى :

— أيها المليك ... لقد انقضى على ما يقرب من ثلاثين سنة ، وأنا ساجد بجبينى على بساطك أو مقبّل له بشفتى

— فمن العجب أن أكون فى احتياج إلى امتحانك إياى بعد كل هذه السنين

— وأنا إمام لأهل الفضل جميعاً وقد انعقد لى بالعلم والفضل الطيلسان والسلب

— وأفاضل العالم حالهم وهم فى قبضة يدى كحال الأصداف فى يد الصانع الماهر

— فإذا اتبعتُ طريق النظم فكلامى هو الحكم ، وإذا دخلت حلبة النثر فحديثى هو الخطب

— وفى نظمى ونثرى اجتمعت دقائق العجم ولطائف العرب

— وليس فخرى بحسبي ونسبي ، بل الفضل هو حسبي ، والأدب هو نسبي

لقب اگر بد ونیکست عار وفخرم نیست　　صحیفهٔ هنر من جریدهٔ لقبست
همیشه تا که بود رنج هر کجا هنر است　　همیشه تا که بود خار هر کجا رطبست
چو مصطفی تو همی باش در میان نعم　　که در میان لهب خصم تو چو بو لهبست

***

وهو يشير إلى هذا المعنى نفسه فى قصيدة سبق لنا نقل قسم منها فى ص ١٣ فيقول البيتين التاليين :

مردم بفضل سود دو عالم طلب كنند　　بخشاى بر كسى كه ز فضلش رسد زيان
پذرفتم از خداى كزين پس نباشدم　　با هيچكس مخاصمت از روى امتحان[1]

***

وفيما يلى نبين علاقة رشيد الدين الوطواط بجماعة من العلماء والفضلاء ، فربما كان فى ذلك بعض العون على تفهم الآداب الفارسية :

١ — رشيد الدين والإمام حسن القطان

من بين الفضلاء الذين كانت تربطهم برشيد الدين الوطواط صلة الصداقة ، عالم من علماء القرن السادس وحكيم من حكمائه هو : « عين الزمان الإمام حسن القطان المروزى » الذى استنبط شجرتى الأخرب والأخرم لتسهيل استخراج أوزان الرباعى التى تبلغ الأربعة والعشرين وزناً[2] . وقد جرت بينه وبين رشيد الدين سلسلة من المكاتبات فى موضوع نجمل ذكره فيما يلى :

حينما هزم القراختائيون السلطانَ سنجر فى حرب قطوان سنة ٥٣٦ هـ ، خرج « أتسز خوارزمشاه » إلى خراسان وأعمل القتل والغارة فى مدينة مرو ، فانتهز جماعة من الرعاع والأوباش هذه الفرصة ، واتفقوا مع جنود خوارزم على نهب الأموال وقتل الرجال . وكان

— ولقبى إذا ساء أو طاب لا فخر لى فيه . فصحيفة فضلى وحدها هى المحدث بلقبى
— والتعب موجود دوما حيثما يوجد الفضل ، والشوك موجود دوما حيثما يوجد الرطب
— فكن أنت كالمصطفى فى وسط النعم ، ودع خصمك فى وسط اللهب كأبى لهب ...!!

(١) ترجمة هذين البيتين هكذا :
— أصحاب الفضل يطلبون النفع فى كلا العالمين ، فاعف انت عمن يصيبه النقص لزيادة فضله
— ولقد عاهدت الله بعد اليوم ألا أخاصم أحداً على سبيل التجربة والامتحان.

(٢) انظر كتاب المعجم فى معايير أشعار العجم ص ٩١ ، وكذلك الحاشية التى كتبها العلامة محمد خان قزوينى فى الصحيفة الخامسة من المجلد الثانى من تاريخ جهانكشاى

رشيد الدين فى معسكر « ألمنز » ، وكانت تربطه بالإمام حسن القطان رابطة الجنس وسابقة المعرفة ، فتوسل إليه الحسن القطان أن يحمل مكتبته إلى معسكر السلطان حتى يحفظ الكتب النفيسة التى بها من التلف والبوار . ولكن رشيد الدين لم يوفق إلى تحقيق رجائه فوقعت فى يد الرعاع فنهبوها وأتلفوها . . . واتهم « الحسنُ القطان » رشيدَ الدين بأنه هو الذى أوعز بنهب كتبه : وأخذ يفحش له فى القول ويكيل له الشتائم والسباب . فجرت بينهما من أجل ذلك جملة من المراسلات ، كتب فيها رشيد الدين أربع رسائل مطبوعة فى مجموعة الرسائل العربية[1] ، كما أورد واحدة منها عطا ملك الجوينى فى « تاريخ جهانكشاى »[2]

وقد أراد رشيد الدين أن يدفع التهمة عن نفسه وأن يرفع ما أصابه من بهتان ، فكتب إلى الإمام حسن القطان يخبره : « أنى ما فتحت للإغارة بابا ، ولا نهبت كتاباً ، بل ذهبت يوماً على مقتضى إشارته الكريمة لأحمل كتبه إلى المعسكر ، فلما دخلت داره الرفيعة ورأيت كتباً كثيرة فوق ما يحيط به عد ، أو يشتمل عليه حد ، فقلتُ : نقل هذه أمر مشكل ، وحمل هذه خطب معضل ، فتركتها بحالها فى أماكنها ، وخليتها برمتها فى معادنها ، وخرجت كما دخلت ، خالى الحقائب ، فارغ الركائب . . الخ »[3]

ولكن الحسن القطان لم يقنع بمثل هذه الاعتذارات ولم يكف عن الإفحاش له فى القول والعنف معه فى المكاتبة ، حتى أغضب رشيد الدين غضباً بالغاً فأرسل إليه رسالة شديدة اللهجة يبين له فيها بطلان دعواه وتمثل فيها بالحكاية التالية التى ننقلها بنصها :

« قرأت فى كتب أهل الأدب أن خليفة من الخلفاء رأى فى منامه أن واحداً من ندمائه وثب عليه ليقتله ، فلما أصبح صاح بالنديم وأمر بقتله ، فقال له النديم : ماذا فعلتُ من الذنب حتى استوجب هذه العقوبة . قال الخليفة : ما فعلتَ شيئاً ولكنى رأيت فى المنام أنك تقتلنى ، وإنما أقتلك لهذا . فقال النديم : إن يوسف بن يعقوب عليهما السلام مع كونه صدّيقاً نبيا احتاجت رؤياه إلى تعبير ، وافتقرت أحاديثه إلى تأويل وتفسير ، أفتستغنى رؤياك عن مثل ذلك ...؟! فضحك الخليفة وخلاه ... وأنا أقول : هكذا ظنون جميع ذوى الألباب ، معرضة للخطأ والصواب ... الخ »[4]

ثم سأله رشيد الدين بعد ذلك أن يبتعد عن سوء ظنه به حتى يرجع إلى إخلاصه القديم ، ويرعى له حقوق التلميذ لأستاذه ، وإلا فهو مضطر إلى أن يدفع الأمر عن نفسه بطريقة أخرى :

---

(١) مجموعة الرسائل ج ٢ ص ١٨ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٦

(٢) تاريخ جهانكشاى ج ٢ ص ٦

(٣) انظر بقية هذه الرسالة فى ص ١٩ من جزء ٢ من مجموعة الرسائل العربية

(٤) انظر بقية هذه الرسالة فى ص ٢١ — ٢٥ من ج ٢ من مجموعة الرسائل

« فإن انزجر أدام الله علوه واتعظ ، وترك الفظاظة والغلظ ، وعاد إلى كرم العهد وصفاء الود . فأنا خادم مخلص ، وعبد مطيع وتلميذ معتقد ، وإلا

فعندي للعـــدو وقائع   تربه المنايا لا ينادى وليدها

. . . . »[1]

وقد انتهى الأمر بمصالحة الحسن القطان له ، فأرسل إلى رشـيد الدين رسالة فى هذا المعنى اغتبط لها أشد الغبطة ، وأرسل إليه بدوره رسالة فى جوابها يعتـذر فيها عما بدر منه من جفاء وغلظ فى القول ؛ وبذلك انتهت هذه الفتنة التى وقعت بين الصديقين .

* * *

٢ — رشيد الدين والزمخشرى

من بين الأدباء وأهل الفضل الذين أفادهم رشـيد الدين وأفادوه ، وراسلهم وراسلوه الأستاذ الـكبير والأديب القـدير « جار الله أبو القاسم محمود بن محمد الخوارزمى الزمخشرى » ٤٦٧ — ٥٣٨ هـ الملقب بـ « فخر خوارزم » الذى عاش أغلب أيام حياته فى مدينة الجرجانية (گرگانج) عاصمة خوارزم ، وخصّص مجالسه للبحث والدرس بحيث أضحت مقصداً لعدد كبير من طلاب العلوم العربية والأدبية الراغبين فى كسب فيضة والشرب من ورده .

ويستفاد من رسالة بعثها رشـيد الدين إلى الزمخشرى ، أنه منذ ترك وطنه الأصلى وأقبل إلى خوارزم لم يكن له من رغبة إلا أن ينخرط فى درس الزمخشرى ليستفيد من علمه وفضله ، ولـكن سوء التقصير أو مانع التقدير ، حرمه من تلك الخدمة ، وحرم عليه تلك النعمة ؛ فسأله بعد ذلك فى لهجة صادقة الخضوع كاملة الخشوع أن يأذن له بخطه الشريف أو على لسان من يوثق بصدق مقالته فى أن يحضر مجلسه كسائر طلابه : « ... أرجو إشارة تصدر من مجلسه المحروس ، إما بخطه الشريف فإن فى ذلك شرفا لى يدوم على مدى الدهور والأيام ، وفخراً يبقى على مر الشهور والأعوام ، وإما على لسان من يوثق بصدق مقالته ويعتمد على تبليغ رسالته من المنخرطين فى سلك خدمته والراتعين فى رياض نعمته ، ورأيه فى ذلك أعلى وأصوب ... »[2]

وقد وفق رشيد الدين فى الحصول على هذا الإذن ، فثابر على حضور مجالس الزمخشرى ، ولا شك أنه كان مدفوعاً إلى ذلك برغبة جامحة تدفعه إلى كسب العلم والأدب وجمع الشوارد والمعلومات من كل شخص ومن كل باب ؛ لأنه هو نفسه كان قد بلغ فى هـذه الأيام مرتبة رفيعة بين فضلاء خوارزم وخراسان ، وأصبح ممن يشار إليهم بالبنان ويعترف بقدرهم فى كل

---

(١) نهاية الرسالة السابقة   (٢) انظر مجموعة الرسائل ج ٢ ص ٢٩

مكان . وقد استطاع رشـيد الدين أن يفوز بتقريب الزمخشرى له وأن يجعله يثق فى فضله وأدبه كما يؤخذ ذلك من إحدى رسائل رشيد الدين[1] فيما جرى بينه وبين الزمخشرى من المحاورات .

وكان الزمخشرى يعتمد آراء الوطواط ويقيمها ، ويستفيد من إشاراته وملاحظاته فيسجلها ويدونها ، وما زالت حالها هكذا يفيد الواحد منهما الآخر ويستفيد منه ، حتى انتهى الأمر بهما إلى التناظر فى بعض المسائل المتعلقة بفنون الأدب وعلوم العرب ، وكان الزمخشرى كما أثر عنه منصفاً محباً للحق ، فكان إذا أصاب الوطواط فى مسألة من المسائل اعترف له الزمخشرى بفضله وشكره على صواب قوله . وقد ذكر الوطواط جملة من هـذه المسائل التى كانت مثاراً للمجادلة بينه وبين الزمخشرى والتى اعترف له فيها الزمخشرى بصواب قوله ، فى نفس الرسالة التى ذكرناها آنفاً ، ونحن ننقل منها مسألة واحدة على سبيل المثال[2] :

« . . . وقد جرى بينى وبينه فى حياته ، وأوقات راحاته ، مما يتعلق بفنون الأدب وأقسام علوم العرب ، مسائل أكثر من أن يحصى عددها أو يستقصى أمدها ، رجع فيها إلى كلامى ، ونزل على قضيتى وأحكامى ، فالسعيد من إذا سمع الحق سكتت شقاشق لجاجه ، وسكنت صواعق حجاجه ... فنها مسألة الظُبى التى هى جمع ظُبة ، فإنه كتب بخطه إنها من ذوات الياء وأصلها « ظُبية » فقلت أنا : إنهـا من ذوات الواو وأصلها « ظُبوة » . فلما امتدت المناظرة ، واشتدت المذاكرة ، بعثت إليه كتاب « الصحاح » بصدق قولى . فهجن الكتاب وقال : إنه محشو بالتحريفات ، مشحون بالتصحيفات ؛ فبعثت إليه « سر الصناعة » لابن جنى ، فقال : هو رجل وأنا رجل .. فبعثت إليه « كتاب العين » فوضع للحق عنقه ، وسلك مناهج الإنصاف وطرقه ، واسترد خطه ومزقه تمزيقاً ، وخرقه تخريقاً ، بمرأى ومسمع من صدر الأئمة ضياء الدين أدام الله إجلاله وزاد إقباله ... الخ »

* * *

٣ — رشيد الدين والقاضى يعقوب بن شيرين الجندى

كذلك ثارت مناقشة من هذا النوع بين رشيد الدين وبين تلميذ نابه من تلاميذ الزمخشرى هو القاضى يعقوب بن شيرين الجندى[3] . وكانت المسألة متعلقة بنصب « شهر

---

(١) لا توجد هذه الرسالة فى مجموعة الرسائل العربية ، ولـكن الأستاذ محمد كرد على أوردها فى كتاب رسائل البلغاء نقلا عن النص الذى عنى بنشره أحمد تيمور باشا ، انظر رسائل البلغاء ص ٢٩٦ طبع مصر ١٣٣١ هـ (٢) انظر رسائل البلغاء لمحمد كرد على ص ٢٩٦

(٣) « جند » بفتح الجيم وسكون النون والدال بلدة من بلاد تركستان قرب نهر سيحون وهى من أوائل المدن التى أغار عليها المغول وحطموها

رمضان » فى إحدى الآيات القرآنية كما أشار بذلك الزمخشرى فى كتابه « الكشاف »[١].
ولكن رشيد الدين اعترض على قول الزمخشرى فجرت بينه وبين القاضى يعقوب الجندى جملة مباحثات ، علم بها الزمخشرى من تلميذه ، فاعترف على الفور بخطأه ، وقال ليعقوب بن شيرين أن يذكره فى أيام الفراغ بهذه المسألة حتى يصلح خطأه ويصحح غلطه ، ولكنه مرض فى هذه الأيام وأدركته منيته قبل أن يحقق رغبته .

والقاضى جمال الدين يعقوب بن شيرين الجندى هو واحد من تلاميذ الزمخشرى ومن أكابر الفضلاء والشعراء والنحويين ، وقد جرت بينه وبين رشيد الدين جملة من المراسلات والمكاتبات طبع ما يتعلق منها برشيد الدين فى مجموعة رسائله[٢] .

وأما ترجمة القاضى يعقوب الجندى فموجودة فى كتاب الأنساب للسمعانى[٣] ، ومعجم الأدباء لياقوت[٤] .

* * *

٤ — رشيد الدين والخاقانى

ممن اتصل بهم رشيد الدين وتكاتب معهم ، الشاعر الكبير « أفضل الدين بديل بن على الخاقانى الشروانى » ٥٠٠ — ٥٩٥ هـ .

فقد جرت بينهما المكاتبات شعراً ونثراً واعترف كل منهما لزميله بعلو كعبه فى الفضل والأدب ، وتبادلا فيما بينهما كثيراً من المدائح والقصائد . ولكن الأمر انتهى فيما بينهما على ما يظهر إلى الكدر والغضب بسبب ما كان يبديه رشيد الدين من عجب وغرور بمنشآته ،

---

(١) ذكر الوطواط هذه المسألة بعينها فى رسالته الواردة ضمن رسائل البلغاء فقال :
« . . . قوله قرأ أبى شهر رمضان بالنصب على تقدير « صوموا » أو على الإبدال من « أياما معدودات » أو على أنه مفعول « أن تصوموا » . وأقول : قولاه الأولان صحيحان لا مطعن فيهما ، وأما الثالث فموضع بحث ، إذ لا يجوز مثله البتة ، لأنه لو كان كما زعم ، كان « شهر رمضان » تتمة لـ « أن تصوموا » ولكان مجموعها فى حكم مبتدأ واحد ، وصار تقديره « صوم رمضان خير لكم » ، وليس بجائز أن تجعل المبتدأ نصفين وتفصل بينهما وتدخل الخبر فى وسطهما إما أن يكون خبر المبتدأ متأخراً عن المبتدأ وهو الأصل أو مقدما عليه بشرط التعريف وغيره من الشروط وهذا هو الفرع ، وأما أن يكون واقعاً بين شرط من المبتدأ ، فليس من كلام العرب كقول القائل لمن ينفعه اللحم ، « إن تأكل اللحم خير لك » صحيح . وقوله : « خير لك أن تأكل اللحم » صحيح . . . فأما قوله : « إن تأكل خير لك اللحم » فغير صحيح . . . وهذا قولى الذى استحسنه جار الله والله أعلم بكتابه وأعرف بأسرار خطابه . . . » وهو يشير هنا إلى الآية ١٨١ من سورة البقرة « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن . . . الخ »

(٢) انظر مجموعة الرسائل ج ١ ص ٥٢ — ٦٠ ، ٦٨

(٣) كتاب الأنساب الورقة ١٣٧

(٤) ج ٢ ص ١٢٧

وتحقير وتهوين لمنشآت من عداه من الأدباء والشعراء ، فأخذ الخاقانى بعد ذلك يهجوه ويقدح فيه .

ويقولون أنه عند ما بلغ صيت الخاقانى أنحاء خراسان وخوارزم أرسل إليه رشيد الدين قصيدة تحتوى على واحد وثلاثين بيتاً منها البيتان التاليان :

اى سپهر قدر را خورشيد وماه   وى سرير فضل را دستور وشاه

أفضل الدين بو الفضايل بحر فضل   فيلسوف دين فزاى كفركاه

ومعنى هذين البيتين بالعربيه :

— يا من أنت الشمس والقمر فى أفلاك المعالى ، ويا من أنت الوزير والملك على عرش الفضل

— إنك بحر الفضل أفضل الدين أبو الفضائل ، الفيلسوف الذى يزيد الدين قدرا ، ويمحق الباطل والكفر

فأجابه الخاقانى بالقصيدة التالية وبعثها إليه[1] .

مگر بساحت گيتى نماند بوى وفا   كه هيچ أنس بيايد ز هيچ إنس مرا

فسردگان را همدم چگونه بر سازم   فسردگان ز كجا ودم صفا ز كجا

درخت خرما از موم ساختن سهل است   ولى ازو نتوان يافت لذت حرما

مرا ز فرقت پيوستگان چنان روريست   كه پس نماند كه مانم ز سايه نيز جدا

اگر بگوش من از مردمى دمى برسد   مژده مردمك چشم بخشمش عمدا

اگر مرا نداى ارجعى رسد امروز   وگر بشارت لا تقنطوا رسد فردا

بگوش هوش من آيد خطاب أهل بهشت   نصيب نفس من آيد نويد ملك بقا

نداى هاتف غيبى ز چار گوشهٔ عرش   صداى كوس إلهى پينج نوبت لا

خروش شهپر جبريل وصور اسرافيل   غريو سبحهٔ رضوان و زيور حورا

(١) هذه القصيدة موجودة فى ص ٣٠ من ديوان خاقانى طبع طهران سنة ١٣١٦ هـ . ش وترجمتها :

— ربما لم يبق فى ساحة الدنيا رائحة للوفاء ، فلم يعد يأتينى الأنس من إنسى قط ... !!

— وكيف يمكننى أن أصاحب غلاظ القلوب وقد بعد ما بينهم وبين نسمات الصفاء ...؟!

— ومن السهل أن تصنع شجرة النخيل من الشمع ، ولكنك لن تجد فى ثمرها حلاوة التمر ...!!

— ولا طاقة لى على فراق الأحبة ، كما لا قدرة لى على مفارقة ظلى ...!!

— ولو طرقت أذنى همسة بالبشرى من أى إنسان لوهبته عمداً إنسان عينى

— ولو وصلنى اليوم نداء « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك » أو وصلتنى غدا بشرى « لا تقنطوا من رحمة الله »

— وسمع عقلى خطاب أهل الجنة ، وكان نصيب روحى ملك البقاء .

— وهتف هاتف الغيب من أركان العرش الأربعة ، وتردد صدى النداء الإلهى خمسة مرات يقول : لا إله إلا الله

— وعلا صوت جبريل ، ونفخ فى الصور إسرافيل ، وأذن رضوان بتسبيحه ، وبدا الحور بما عليهم من زينة ،

=

لطافت حرکات فلك بگاه سماع　　طراوت نغمات زبور گاه ادا
صریر خامهٔ مصری میانهٔ توقیع　　صهیل ابرش تازی میانهٔ هیجا
نوای باربد وساز مطـــرب ومزمار　　طریق کاسه گر وراه ارغنون وستا
صفیر صلصل ولحن چکاوك وساری　　نفیر فاخته وبغمهٔ هزار آوا
نوازش لب جانان بشـــعر خاقانی　　گزارش دم قمری بپردهٔ عنقا
مرا ازین همه اصوات آن خوش نرسد　　که از دیار عزیزی رسد سلام وفا
چنانکه دوشم بی زحمت کبوتر وپیك　　رسید نامهٔ صدر الزمان بدست صبا
درست گوئی صدر الزمان سلیمان بود　　صبا چوهدهد ومحنت سرای من چو سبا
از آن زمان که فرو خواندم آن کتاب کریم
همی سرایم : یا أیهـا الملا بعـــلا
بهار عام شکفت وبهـار خاص رسید　　دو نوبهار کز آن عقل وطبع یافت نوا
بهـار عام جهان را ز اعتدال مزاج　　بهـار خاص مرا شـعر سید الشـعرا
سزد که عید کنم در جهان بفر رشید　　که نظم ونثرش عیدی مؤبد است مرا
وگر بکوه رسـیدی روایت سخنش　　زهی رشید جواب آمدی بجای صدا
ز نقش نامهٔ آن صدر ونقش خامهٔ او　　بیاض صبح وسواد دل مراست ضیا
ز نظم ونثرش پروین ونعش خیرد واو　　بهم نماید پروین ونعش در یك جا

— ولطفت حركات الفلك فى وقت السماع ، ورقت نغمات الزبور فى وقت الأداء ،
— وطاب صرير القلم المصرى عند التوقيع ، وصهيل الجواد العربى فى وسط الهيجاء ،
— وألحان باربد ، وأنغام المطرب والمزمار ، وإيقاع المغنى ، ونبرات الأرغون والقيثارة ،
— وصفير الحمامة الشادية ، ولحن القبرة والقمرى ، وهديل الفاختة الباكية ، ونغمة البلبل والهزار ،
— ورقة شفاه الأحبة بأشعار الخاقانى ، وعذوبة أنفاس القمرى فى مقام العنقاء (ساعة الماء)
— جميع هذه الأصوات لا تحلو لى كما يحلو لى سلام الوفاء يصلنى من ديار الحبيب
— حينما وصلتنى ليلة الأمس على يد الصبا رسالة « صدر الزمان » بغير مشقة لرسول
— وصدر الزمان صادق القول ، وهو سليمان ، والصبا هدهده ، ودارى هى سبأ
— ومنذ قرأت كتابه الكريم وأنا أردد على الملأ قوله تعالى : « يا أيها الملأ إنى ألقى إلى كتاب كريم »
— وقد أينع الربيع العام ، وازدهر الربيع الخاص ، فسعد العقل والروح بهذين الربيعين
— فالربيع العام ، شمل العالم باعتدال الأمزجة ، والربيع الخاص انفردتُ به وحدى بحلاوة شعر سيد الشعراء
— ومن الحق أن احتفل بالعيد لإقبال حظى فإن منظوماته ومنثوراته أعياد دائمة لى
— ولو وصلت أصداء أشعاره إلى الجبال ، فما أبدع جوابها الرشيد المقبل فى مكان الأصداء
— ونقش براعته وخط رسالته ، تبدّى الضياء لسواد قلبي كمطلع الصباح
— والثريا ، وبنات نعش تشرقان على شعره ونثره ، فتبدوان فى مكان واحد　　=

عبارتش همه چون آفتاب وطرفه تر آن ... که نعش وپروین در آفتاب شد پیدا
برای رنج دل وعیش بدگوارم ساخت ... جوارشی ز تحیّت مفرحی ز ثنا
معانیش همه یاقوت بود ودُرّ یعنی ... مفرح از دُر ویاقوت به برد سودا
ز بون تر از مه سی روزه امیهی سی روز ... مرا بطنز چو خورشید خواند آن جوزا
بصد دقیقه ز آب درمّنه تلختزم ... بسخره چشمهٔ حضرم چه‌خواند آن‌دریا
طویلهٔ سخنش سی ویك جواهر داشت ... نهادمش بهای هزار ویك أسما
بسال عمرم ازو ببیست وپنج بخریدم ... شش دگر را شش روز کون بود بها
مگر که جانم ازین خشك سال حرف رمان ... گریخت در کنف او بوجه استسقا
که او بپنج انامل بفتح باب سخن ... ز هفت کشور جانم ببرد قحط وغلا
حیات بخشا ، در خامی سخن منگر ... که سوخته شدم از مرگ قدوة الحکما
فروغ فکر وصفای ضمیرم از عم بود ... چو عم بمرد ، برفت آن همه فروغ وصفا
شکسته دل تر از آن ساغر بلورینم ... که در میانهٔ خارا کنی ز دست رها
جهان بخیره کُشی در کسی کشید کمان ... که بر کشیدهٔ حق بود وبر کشندهٔ ما
از این قصیده نمودار ساحری کن از آنك ... بقای نام تو است این قصیدهٔ غرا
بهر کسی ز من این دولت ثنا نرسد ... خنك تو کین همه دولت مسلّم است ترا

— وعبارته واضحة كالشمس ؛ ومن عجب أن تظهر بنات نعش والثريا فى وضح النهار ...!!
— وقد أعدّ لى مزيجا مفرحا يزيل العناء عن قلبى والكدر عن عيشى بما أرسل إلى من تحيات وثناء
— ومعانيه هى اليواقيت والذهب ؛ والمُفرح المصنوع من الذهب والياقوت يزيل السوداء
— وأنا أذلّ من المحاق ، ولكن الجوزاء تسمينى تهكما بشبيه الشمس ...!!
— وأنا أكثر مرارة من ماء الحنظل ، ولكن هذا البحر يسمينى بينبوع الخضر ...!!
— وقد انتظم عقد أشعاره فى إحدى وثلاثين جوهرة ، جعلت لها ثمناً الأسماء كلها
— وقد اشتريته منه بخمس وعشرين سنة من عمرى وستة أيام وستة أخرى هى ثمنها
— وربما قرّت روحى فى هذه السنة الجافة تريد الاستسقاء فى أكنافه
— فلما فتح باب الحديث بأنامله الخمس ، رفع القحط والغلاء عن أقاليم روحى السبع
— فيا من تهب الحياة ..! لا تنظر إلى سذاجة كلامى ، فإننى احترقت لموت قدوة الحكماء (عم الشاعر أبى عمر بن عثمان)
— وكنت أستمد هناء فكرى وصفاء ضميرى من عمى ، فلما مات عمى ، ذهب عنى الضياء والصفاء
— وقد تكسر قلبى أكثر مما يتكسر الكأس البلورى الذى تدعه يسقط من يدك فى وسط الأحجار
— وقذفتنا الدنيا فى غدرها بسهم من سهامها ، فأصابت القاتل منا والمقتول
— فاجعل هذه القصيدة مثالا للسحر ، ببقاء اسمك فى هذه القصيدة الغراء
— وإنه لا يصل منى إلى كل شخص ، وما أسعدك وقد سلمت لك بهذه الحظوة
=

اگر خری دم این معجزه زند که مراست | دمش ببند که خر گنگ بهتر از گویا
کان گروهٔ گبران ندا رد آن مهره | که چار مرغ خلیل اندر آورد ز هوا
اگرچه هرچه عیال منند خصم منند | جواب ندهم ، ألا إنهم هم السفها
که خود زبان زبانی بحبسگاه جحیم | دهد جواب بواجب که إخسئوا فیها
محققان سخن زین درخت میوه برند | وگر شوند سراسر درختک دانا
دعای خالص من پس رو مراد تو باد | که به ز یاد تو ام نیست پیشوای دعا

* * *

ونلاحظ فى هذه القصيدة أن الخاقانى لقب رشيد الدين بلقبين هما : « صدر الزمان » و « سيد الشعراء » ، وقد بالغ فى مدحه وأجزل له الثناء ؛ كما نلاحظ أنه ذكر صراحة فى أحد أبياتها أنه أنشد هذه القصيدة وهو فى الخامسة والعشرين من عمره[1] ، ومعنى ذلك أنه أرسلها إلى رشيد الدين فى سنة ٥٢٥ هـ ، لأنه صرح فى مكان آخر أنه ولد فى سنة ٥٠٠ هـ[2]

— وإذا نخر حمار فقال : هذه المعجزة لى ، فأسكته ، فالحمار الأبكم خير من الناطق
— وليس فى قوس المجوس من القذائف ما يستطيع أن يجلب طيور الخليل الأربعة من الهواء
(انظر سورة البقرة آية ٢٦٢)
— وجميعهم عيال علىّ ، ولكنهم جميعاً أخصامى وأنا لا أجيبهم ؛ ألا إنهم هم السفهاء
— ولسان الزبانية فى محبس الجحيم يجيبهم بقوله : اخسئوا فيها
— وأصحاب الكلام يأخذون فاكهتهم من هذه الشجرة ، ولو أصبحوا جميعاً كأشجار الوقواق تدور مع الشمس
— فليكن دعائى الخالص وفقا لمرادك ، إذ لا دعاء لى خير من ذكرك

(١) ذكر فى هذه القصيدة أن عمه مات وهو فى الخامسة والعشرين من عمره ويمكن استنباط ذلك أيضا من أشعاره فى « تحفة العراقين » التى نظمها فى سنة ٥٤٩ — ٥٥٠ فهو يقول :

چون پای دلم بگنج در کوفت | سالم در بیست و پنج در کوفت
دانست کز اهل نطق بیشم | از شادی آن بمرد پیشم
زین کلبه بکلبهٔ بقا رفت | ز آن عالم بود باز جا رفت

ومعنى هذه الأبيات :
— حينما طرقت مواقع قلبي أبواب الكنز ، كان عمرى قد بلغ الخامسة والعشرين
— وقد علم أننى متفوق على أهل النطق فمات قبلى فرحا بذلك
— وذهب من هذا العالم إلى عالم البقاء ، وعاد من هذه الدنيا إلى مكانه

(٢) قرر خاقانى فى أكثر من موضع من أشعاره أنه ولد فى سنة ٥٠٠ هـ

دور کمال پانصد هجرت شناس وبس | کان پانصد دگر همه دور محال بود
خلقند متفق که چو خاقانی نزاد | آن پانصد دگر که نه دور کمال بود

(كليات خاقانى ص ٨٥٤)

وفى إحدى قصائده الحبسية يقول :

چو من ناورده پانصد سال هجرت | دروغی نیست ها برهان من ها

(كليات خاقانى ص ٢٧٢) =

وقال رشيد الدين القطعة الآتية أيضاً فى مدح الخاقانى :

گرچه کان خرد مرا دانی ٭ عاجزم در نهـــاد خاقانی

صورت روح پاك می بینم ٭ مصور ع شخص انسانی

افضل الدین امیر ملك سخن ٭ شارح رمز های یزدانی

ولــكن هذه العلاقات الطيبة التى سادت بين هذين الشاعرين الـكبيرين ، لم تستمر فيما يبدو إلا وهلة قصيرة ، لأن كلا الرجلين كان حاد اللسان ، مغروراً بمكانته ؛ فـكان رشـيد الدين يتحدث عن نفسه فى تيه وعجب ، وكان الخاقانى كذلك يغرق فى الفخر بنفسه وعلو قدره ، ويتسمى بـ « حسان العجم » ، ويعتبر بقية الشعراء عيالا عليه يلتقطون الفضلات مما يتناثر على مائدة فضله ، ويتخاطفون الفتات مما يتساقط حول خوان شعره[1] . . !!

كذلك اختلفت أذواق هذين الشاعرين الـكبيرين فى الحـكم على الشـعراء السابقين ، فـكان ذلك أيضاً سبباً فى تأذى كل منهما من أخيه . فمثلا لم يكن رشيد الدين يعتقد كثيراً فى الشاعر العارف « أبو المجد مجدود بن آدم سنائى » المتوفى فى سنة ٥٤٥ هـ ، ولم يشر إليه مطلقاً فى « حدائق السحر » ولم يستشهد بأشعاره فى أى مكان ؛ بينما كان الحال على خلاف ذلك مع الخاقانى ، فقد كان كبير الرأى فى « سنائى » يعتبر نفسه بديلا له حيث يقول :

بدل من آمدم اندر جهان سنائی را ٭ از آن سبب پدرم نام من بدیل نهاد[2]

ومعنى ذلك :

— لقد جئتُ إلى هذه الدنيا بدلا للشاعر سنائى ، ومن أجل ذلك فقد أسمانى أبى باسم « بديل »

ويقول أيضاً :

چون زمان عهـد سنائی در نوشت ٭ آسمان چون من سخن گستر بزاد[3]

ويقول فى قصيدته فى مدح أصفهان :

پانصد هجرت چو من نزاد یگانه ٭ بار دو گانه کنم دعای صفاهان

وقد أخطأ « ريو Rieu » فجعل مولد الخاقانى مقترناً بوفاة الشاعر سنائى وجعله فى سنة ٥٢٥ هـ ، واعتمد فى استنباط ذلك على البيتين التاليين من شعر الخاقانى :

چو زمان عهـد سنائی در نوشت ٭ آسمان چون من سخن گستر بزاد

چون بغزنین ساحری شد زیر خاك ٭ خاك شروان ساحری نو بر بزاد

(كليات خاقانى ص ٧٩٥)

والتاريخ الصحيح لموت سنائى هو سنة ٥٤٥ هـ كما ذكره تقى الدين الـكاشى فى تذكرته ، وكما يستفاد من أنه عاش ثلاث سنوات بعد وفاة معزى الذى مات فى سنة ٥٤٢ هـ

(١) يقول الخاقانى فى أحد أبياته :

شاعر مفلق منم خوان معانی مراست ٭ ریزه خوار من عنصری ورودکی

(٢) انظر ديوان خاقانى ص ٦٠٢ (٣) انظر ديوان خاقانى ص ٦١١

چون بغزنين ساحرى شد زير خاك   خاك شروان ساحرى نو بر بزاد

ومعنى هذين البيتين :

— حينما طوى الزمان عهد الشاعر « سنائى » جادت السماء بولادة شاعر مثلى

— وحينما ذهب فى جوف الثرى ساحر فى مدينة غزنين ، أخرجت مدينة شروان ساحراً جديداً

وعلى العكس من ذلك كان رشيد الدين[1] كبير الرأى فى أشعار الشاعر المليح القول « الأمير مسعود بن سعد بن سلمان » المتوفى فى سنة ٥١٥ هـ ، ولكن الخاقانى كان على خلافه يطعن فى أشعار « مسعود » وينتقصها فيقول مثلا[2] :

خاقانيا ز دل سبكى سر گران مباش   كه هر كه زادهٔ سخن تست خصم تست

گرچه دلت شكست ز مشتى شكسته نام   بر خويشتن شكسته دلى چون كنى درست

چون منصفى نيابى چه معرفت چه جهل   چون زال زر نبينى چه سيستان چه بست

مسعود سعد نه سوى تو شاعريست فحل   كاندر سخنش گنج روان يافت هر كه جست

بر طرز عنصرى رود وخصم عنصريست   كاندر قصيده هاش زند طعنه هاى چست

آتش ز آهن آمد وزو گشت آهن آب   آهن ز خاره زاد وزو گشت خاره سست

فرزند عاق ريش پدر گيرد ابتــدا   فحل بزينه دست بمادر زند نخست

حيفست اين ز گردش ايام وچاره نيست   كاين ناخنه بديدهٔ ايام در برست

***

(١) حدائق السحر ص ٨٢ من الأصل الفارسى

(٢) هذه الأبيات موجودة فى ص ٥٨١ من ديوان خاقانى ومعناها :

— يا خاقانى ... لا تغضب لخفة قلوبهم ، فكل من كان وليداً لفضلك أضحى خصما لك

— وإذا انحطم قلبك وضاق صدرك لقول جماعة من مخطئى الشهرة فكيف تقبل أن يقهرك ضيق الصدر ... !!

— وإذا لم تجد منصفا ، فما الفرق بين المعرفة وبين الجهل ...؟ وإذا لم تر بطلا مثل « زال بن زر » فما الفرق بين سجستان وبين بُست ...!!

— ومسعود بن سعد ليس شاعراً فحلا فى رأيك بحيث يمكن للباحث فى أشعاره أن يجد فيها الكنوز والدرر

— وهو يقفو « العنصرى » وعلى طرازه ، ولكنه خصم له ويطعن فى قصائده طعنات نجلاء

— والنار ناتجة من الحديد ، وبها ينصهر الحديد ؛ والحديد ينتج من الأحجار ، والأحجار تتحطم بالحديد

— والولد العاق أول ما يلعب ، يلعب بذقن أبيه ، والكبش الفحل أول ما ينطح ، ينطح أمه

— وهذا كله غبن من فعل الأيام ولا سبيل لنا للتخلص منه ، فقد طما الرمد على عين الزمان فملأها .!!

كذلك تعجب الخاقانى من قدح رشيد الدين فى شعر سنائى ومغالاته فى مدح نفسه ، فقال فى توبيخ رشيد الدين[(١)] :

رشيدكا ز تهى مغزى وسبك خردى زير پوست همى دان كه بس گران جانى

سخنت را نه عبارت لطيف ونى معنى عروس زشت وحلى دون ولاف لا مانى

ز نى بسخره بر آمد بيام گلخن وگفت كه دور چشم بد از كاخ من بويرانى

سخنت بلخى ومعنيش گير خوارزمى ز بلخى آخر تفسير اين سخن دانى

گرفته ام كه هزارت متاع از اين سان هست كدام حيله كنى تا فروخت بتوانى

. . . .

زبان بران زمانه بگشتن اند مگوى كه در زمانه منم همزبان خاقانى

سقاطه هاى تو آنست وسحر من اينست بتو چه مانم ويحك بمن چه مى مانى

قياس خويش بمن كردن احمق باشد كه ابن زيدى امروز تو نه حسّانى

دليل حمق تو طعن تو در سنائى بس كه احمق است سر كرده هاى شيطانى

***

ويقول الخاقانى أيضاً فى ذم رشيد الدين[(٢)] :

اى بلخيك سقط چه فرستى بشهر ما چندين سقاطهٔ هوس افزاى عقل كاه

آئى چو سير كوبهٔ رازى ببانگ ونيست

جز بر دو گو پيـــازهٔ بلخيت دستگاه

---

(١) انظر ديوان خاقانى ص ٦٨٦ والترجمة العربية كما يأتى :

— يا رشيد الدين . . . ، اعلم أنك ثقيل الروح بسبب فراغ رأسك وخفة عقلك

— وكلامك لا لطف فى عبارته ، ولا معنى له ، وهو العروس الشوهاء ، حليها دون ، وحديثها كاذب

— وقد صعدت امرأة فوق سطح المزبلة فقالت ساخرة يا رب أبعد عين السوء عن تحطيم قصرى ...

— وكلامك بلخى (متعجرف) ومعانيه خوارزمية (مريرة) فاعلم تفسير هذا الكلام من بلخى آخر

— وهبنى تصورتك مالكا لكثير من مثل هذه الأمتعة ، فأى حيلة تلجأ إليها حتى يمكنك بيعها ...

— وقد كثر طواف العابثين اللاهين ، فلا تقل ثانية : إنى مساو للخاقانى فى بلاغة الحديث ...!!

— وتلك هى سقطاتك ، وهذه هى أشعارى الساحرة ؛ فويحك ويحك كيف أشبهك وكيف تشبهنى ...؟!

— ومن الحمق أن تقيس نفسك بى ، فإنك اليوم « ابن زيد » ولست « حسّانا »

— ودليل آخر كاف على حمقك هو طعنك فى سنائى ، والحمق تابع فى العادة لمثل هذه الأعمال الشيطانية

(٢) انظر ديوان خاقانى ص ٦٧٣ والترجمة العربية كما يلى :

— أيها البلخى الحقير ... ، لماذا ترسل مثل هذه السقطات إلى بلدتنا وهى تدعو إلى زيادة الهوس وقلة العقل .. !!

— وأنت تقبل فى جلبة كالرازى الذى يدق الثوم ، وليس فى حوزتك إلا طبقان من « الكوپيازه » البلخية ... (نوع من الطعام)

═

دیگ هوس مپز که چو خوان مسیح هست
کس گو پیازهٔ تو نیارد بخوان شـاه

بد نثری ورسایل من دیده چند وقت | کژ نظمی وقصائد من خوانده چندگاه
زرنیخ زرد ونیـل کبود ترا ببرد | گوگرد سرخ ومشك سیاه من آب وجاه
آری در آن دکان که مسیح است رنگرز | زرنیخ ونیل را نتوان داد دستگاه
سحر زبان سامری آسای من بخوان | وحی ضمیر موسوی إعجاز من بخواه
عقدی ببند از این گهر آفتاب کان | دری بدزد از این صدف آسمان پنـاه
موی تو چون لماب گوزنان شده سپید | دیوانت همچو چشم غزالان شده سیاه
باری از این سپید وسیاه اعتبار گیر | یا در سیه سپید شب وروز کن نـگاه

. . . .

خاقانی وحقایق ، طبع تو ومجـاز | اینجا مسیح وطوبی ، آنجا خر وگیاه

* * *

وأرسل رشيد الدين فى مرة من المرات بعض أشعاره إلى الخاقانى فأجابه بالقطعة التالية :

ز گفتهٔ تو بجوشید طبع خاقانی | جواب داد بإنصاف اگرچه دید ستم
که گر بذکر تو دیگر قلم بگردانم | پس این زبان چو تیغم بتیغ باد قلم

ومعنى هذين البيتين بالعربية :

— إن طبع الخاقانى قد اضطرب بسبب أقوالك ، فأجاب منصفا ولو أنه لقى كثيراً من الحيف

— وقال : إذا حوّلتُ قلمى بعد ذلك إلى ذكرك ، فليكن لسانى الحاد كالقلم طعمة للسيف ...!!

* * *

— وإياك أن تتصور أنه إذا وجدت مائدة المسيح ، يقبل شخص أن يحمل أطباقك إلى خوان المليك

— فلقد رأيت برهة نثرك الردىء ورسائلك السيئة ، وقرأت فترة نظمك المعوج وقصائدك الغثه

— وزرنيخك اصفر ونيلك زرقاء ؛ وأما البهاء والرواء فلكبريتى الأحمر ومسكى الأذفر

— ولا يمكن أن يكون للزرنيخ والنيلة مكان أو مستقر فى الدكان الذى يشتغل فيه المسيح صبّاغا

— فاقرأ سحر لسانى الشبيه بلسان سامر ، واطلب وحى ضميرى المعجز كضمير موسى

— ثم أنظم عقداً من جواهر منجمى ، وأسرق درا من أصداف سمائى

— فقد ابيض شعرك كلعاب المهى ، واسودت صحائفك كعيون الغزلان

— فاعتبر مرة بهذا البياض والسواد ، وإلا فتأمل بياض النهار وسواد الليل

— ... ...

— فالخاقانى والحقائق ، وطبعك والمجاز ؛ وهنا المسيح وشجرة طوبى ، وهناك الحمار والحشائش ..!!

٥ — رشيد الدين وأديب صابر

كذلك تراسل رشيد الدين مع « الأديب شهاب الدين صابر بن اسماعيل الترمذى » ، فكانت بينهما جملة من المكاتبات الشعرية ، مدح فيها كل منهما أخاه ، على الأخص فى الفترة التى كان فيها رشيد الدين يقوم بمهمة الكاتب الخاص للسلطان « أتسز خوارزمشاه » بينما كان « أديب صابر » نديماً للسلطان « سنجر السلجوقى » . وكانت علاقة هذين الملكين مشوبة فى أغلب الأوقات بشىء من الكدر ، واستتبع ذلك أيضاً أنه فى أواخر حياة أديب صابر تخاصم هذا الشاعر مع رشيد الدين ، فتهاجيا فيما بينهما بأفحش العبارات والأقوال .

والقطعة التالية أنشدها رشيد الدين فى جواب قصيدة قالها فيه « أديب صابر » :

علمت اى صابر بن اسماعيل — روى عالم همى بيارايد[1]
رفعت قدر تو بپای شرف — تارك مشترى همى سايد
تونى آن كس كه در بدايع نظم — مثـــل تو روزگار نمايد
همه دانش ز طبع تو خيزد — همه معنى ز لفظ تو زايد
چـــرخ ذكر ترا نپوشاند — دهر عز ترا نفر سايد
تو ستودى مرا ومثل ترا — بتفــاخر زمانه بستايد
هر كه پيش تو ياد نظم آرد — بيقين دان كه باد پيماند
منم آن كس كه صيقل طبعم — زنگ از تيغ فضل بزدايد
خامهٔ من كه هست بسته ميان — بستهٔ مشكلات بگشايد
علمهاهست بس شريف كزان — طبع من يك زمان نياسايد
جز براى رياضت خاطر — همتم سوى نظم نگرايد

---

(١) انظر لباب الألباب ج ١ ص ٨٣ ومعنى هذه الأبيات كما يلى :
— علمك يا صابر بن اسماعيل يزدان به وجه البسيطة
— ورفعة قدرك استطاعت أن تمسح مفرق المشترى بأقدام الشرف
— وأنت الشخص الذى لا يأتى الزمان بمثله مبدعا فى النظم
— فمن طبعك ترتفع الفضائل ، ومن ألفاظك تنشأ المعانى
— وليس الزمن بمستطيع أن يعفى على ذكرك ، ولا الدهر بقادر على أن يقلل من شأنك
— ولقد مدحتنى وفخرت بى ، وبمثلك يفتخر الزمان
— ومن يذكر النظم فى حضرتك ، فهو يقينا يفعل عبثا كمن يكيل الرياح
— وأنا الذى صيقل طبعى يجلو الصدأ عن سيوف الفضل
— وقلمى متهيئ قد عقد العزم على أن يحل المشكلات المغلقة
— وطبعى لا يهدأ لحظة عن أن ينهل ما يستطيع من العلوم الشريفة
— وهمتى فى النظم لا تتنح إلا برياضة خاطرى =

ی نداتی کمال فضل مرا | دیر عهدی ندیدیم شاید
متهم کرده ای مرا بحسد | از چو من کاملی خسد نباید
تا جمال کمال من بیند | تیز بین دیده ای همی باید
طیبتی کردم این معاذ الله | تا ز من وحشتی نیفزاید

* * *

ونستطيع أن نعلم من هذه القطعة أن «أديب صابر» اتهم رشيد الدين بالحسد فى بعض هذه الأبيات التى مدحه بها ، وربما كان سبب ذلك أنه أدخل فى روعه أن رشيد الدين يقصر فى إبلاغ مدائحه للسلطان « علاء الدولة أتسز » ، وهى المدائح التى اعتاد أن يبعث بها إليه فى خوارزم . أو ربما ذهب إلى أكثر من ذلك فتصور أن رشيد الدين يطعن فيه ويسىء إليه لدى سيده .

وفى قطعة أخرى يقول رشيد الدين مادحا « أديب صابر »[1] :

شهاب الدین سپهر فضـل صابر | فضایل هست ذاتت را بفرمان
خرد با جان تو جسته است وصلت | هنر با طبع تو بسته است پیمان
شـعار تست عز اهل دانش | دثار تست حرز اهل ایمـان
ترا در نظم لعبتهای آزر | ترا در نثر حکمت های لقمان
تن مطروح را جاه تو قوت | دل مجروح را لطف تو درمان
سخن فرمانبر اصبع تو چونانك | پری فرمانبر امر سلیمان

* * *

— فهلا علمت أن كمال الفضل من نصيبى ، وإذا جاز لك ذلك فلأنك لم ترنى مدة طويلة
— ولقد اتهمتنى بالحسد ، ولـكن الحسد لا يتأتى من شخص كامل مثلى
— ولقد وجب عليك أن تبحث عن شخص ثاقب البصر حتى يستطيع أن يرى الجمال فى كمالى
— ولقد أحسنتُ صنعا ، ومعاذ الله أن أفعل غير ذلك لـكيلا تزداد وحشتى منك

(١) لباب الألباب ج ١ ص ٨٦ وترجمتها كما يلى :
— يا شهاب الدين صابر ، يا فلك الفضل ، إن الفضائل قد ائتمرت بأمرك وطاوعتك
— وتعاهد العقل مع روحك ، وتحالف الفضل مع طبعك
— وشعارك هو الإعزاز لأهل الفضل ، ودثارك هو الحرز لأهل الإيمـان
— ولك فنون « آزر » فى النظم ، ولك حكمة « لقمان » فى النثر
— وجاهك قوة للجسد الواهن ، ولطفك مرهم للقلب الجريح
— والـكلام مطيع لأمرك طاعة الجن لأمر سليمان . . . !!

ويقول رشيد الدين مادحا أديب صابر وقد اعتذر إليه كما طلب منه[١] :

طبعت اى صابر بن اسماعيل هست دريا كه دُرّ همى زايد
لفظ تو گوش وگردن معنى بجواهر همى بيارايد
نثر تو شمع دانش افروزد نظم تو روح روح افزايد
عقد هائى كه در علوم افتد هرچه جز خاطر تو نگشايد
قصب سبق دست رتبت تو در بلندى ز چرخ بربايد
زنگ خورده حسام دانش را صيقل فكرت تو بزدايد
اثر چار طبع بدر دو زمان يك هنر مند چون تو ننمايد
دست تو دامن شرف گيرد پاى تو تارك فلك سايد
فضل را روزگار كى پوشد كس بگل آفتاب نندايد
خصم اگر زشت گويدت دريا بدهان سگى نيالايد
كلك پيراسته سر تو همه زلف افكار نظم پيرايد
با تو اى پير عقل برنا بخت هيچ برنا وپير بر نايد
فلك فضلى ومآثر تو چون فلك تا ابد نفرسايد
طبعت آن بوته شد كه جز در وى عقل زرّ هنر نپالايد
نايبات فلك بناب بلا جگر حاسد تو مى خايد

---

(١) فيما يلى الترجمة العربية لهذه القصيدة :

— طبعك يا صابر بن اسماعيل ، هو البحر الزاخر الذى يلد الدرر والجواهر
— وألفاظك هى الجواهر تزين أعناق المعانى بأغلى الحلى والقلائد
— ومنثوراتك تشعل شموع العلم ، ومنظوماتك تزيد الروح سكينة وأمنا
— ولا يستطيع أن يحل عُقَدَ العلوم إلا خاطرك الوقاد
— ويد جودك تحرز قصب السبق وتفوز على الأفلاك
— وصيقل فكرك يجلو ما صدأ من نصال العلم
— والعناصر الأربعة فى كلا العالمين لا تستطيع أن تخرج فاضلا مثلك
— وفى قبضة يدك زمام الشرف ، وتحت موطىء أقدامك مفرق الفلك
— وكيف يخفى الزمان فضلك ..؟! وقرص الشمس لا يحجبه أحد
— ولو أفحش العدو فى حقك ، فالبحر لا يصيبه نجس إذا لعق كلب فيه ... !!
— وقلمك المقطوع الرأس يستطيع أن يزين طرر المنظومات
— فيا كبير العقل ...! يا نضير البخت ... لا يستطيع كبير أو صغير أن يباريك فى الفضل
— وأفلاك فضلك ومآثرك لا تبلى إلى الأبد
— وطبعك هو البوتقة التى فيها يستطيع العقل أن يصفى ذهب الفضائل
— ونائبات الفلك تمضغ تحت أنيابها الطاحنة أكباد حاسديك

=

نظم کز طبع تو رود در حال | همــــه آفاق را بپاید
روح مجروح را طبیب خرد | دارو از گفته تو فرماید
عنـــدلیبم خطاب کردستی | هر خطابی که تو کنی شاید
عندلیب است این رهی که بعمر | جز ثنای تو هیچ نسراید
می ستاید ترا ودر هر باب | مستحق اگرت بستاید
اعتـذاری نوشته ای که مرا | جز بدان جان همی نیاساید
خوب شعری چنانکه گر شعری | بینـد آنرا ز شرم بر ناید
اینکش همچو حرز میخوانم | تا مرا حادثات نگزاید
خود نبودست وحشتی ور بود | با چنان اعتـــذار کی باید
بیقین دان که بعد از این جانم | جز بســوی رضات نگراید

***

ويقول رشيد الدين أيضاً في مدح أديب صابر :

ای صابر ای سپهر سخن ای جهان فضل | ای کعبه أفاضل ایام کوی تو[1]
ای نور برده چشم معالی ز فضل تو | ای آب خورده جسم معالی ز جوی تو
تا کوی نظم ونثر بمیدان فکنده ای | چوکان هیچکس نربوده است کوی تو
هفت اختر ودوازده برج وچهار طبع | در جاه کمترند ز یك تار موی تو
مهر تو جویم از دل وجان ومبـــاد شاد | آنکس که نیست از دل وجان مهر جوی تو

— والنظم الصادر من طبعك يطوف في الآفاق بغير تأخير
— وطبيب العقل يصف التداوي بأقوالك لكل روح جريحه
— ولقد خاطبتني ولقبتني بالعندليب ، وكل خطاب لك جائز مقبول
— وأنه لعندليب يقضي العمر لا يتغنى إلا بالثناء عليك وحدك
— وهو دائب في مدحك ، ومستحق للفضل بمدحك
— ولقد كتبت إلي معتذرا ، ولم تسكن روحي لتهدأ إلا باعتذارك
— وأشعارك جميلة ، لو شاهدتها الثريا لخجلت فلم تخرج في السماء بعد ذلك
— وأنني أرتلها كما أرتل التعويذة حتى لا تمضني الحادثات بأنيابها
— ولم تكن بيني وبينك وحشة ، ومثل اعتذارك هذا ما وجب أن يكون بيني وبينك نعور
— فاعلم يقينا بعد الآن أن روحي لا تسعى إلا في رضاك

(١) فيما يلي الترجمة العربية لهذه الأبيات :
— يا صابر ، يا سماء الكلام ويا دنيا الفضل ، ويا من مكانك كعبة لأفاضل الزمان
— ويا من اجتلت عين المعالي بنور فضلك ، وارتوى جسد المعالي بماء نهرك
— منذ رميت كرة النظم والنثر في ميدان الفصاحة لم يستطع أحد أن يلقفها بصولجانه
— والكواكب السبع والعناصر الأربع والبروج الإثنى عشر ، جميعها أقل من شعرة واحدة من شعرك
— وأنا طالب لودك من صميم قلبي وروحي ، فيا رب لا تجعل الفرح لمن لا يطلب ودك من صميم قلبه =

جانم ز هجر روی تو در انده است وبس ای صد هزار شادی وراحت بروی تو
تو یوسفی بعزّت ویعقوب وار هست مارا همه سکون وتسلی ببوی تو
تشریف تو رسـیـد وبهر حالتی مرا تشریف داده ای ز خود این است خوی تو
من مدح گوی تو شدم وزین ترا چه فخر کامروز عالمی است همه مدح گوی تو
این خدمتی است مختصر آنرا پیش از این شد خدمتی نبشته باطناب سوی تو

ويقول أيضاً في مدح أديب صابر :

پیش أنواع فضلت ای صابر کثرت اختران قلیـل آمد[1]
نظم تو خطهٔ خراسان را همچو در خلد سلسبیل آمد
نـکتهٔ خاطر چو آتش تو روح را آتش خلیل آمد
بر سر طالبان دا نش وفضل ظل آداب تو ظلیـل آمد
خامهٔ تو قصیر وَ ز سعیش عمر فضل وهنر طویل آمد
ساکن خانهٔ علوم توئی غیر تو عابر سبیل آمد
با زبان چو خنجرت گه نطق خنجر صبحدم کلیل آمد
تو اجلی بقـدر ودیدن تو خلق را نعمتی جلیـل آمد
اشك چشم من ای عزیز المثل در فراق تو بس دلیـل آمد
مر الم را تنم ملایم گشت مر عنـارا دلم عدیل آمد

— وروحى غارقة فى الهموم لفراقك ، ولـكن السرور جميعه والراحة جميعها فى رؤية وجهك
— وأنت يوسف فى العزّة ، وأما أنا فأتسلى برائحتك كما فعل يعقوب
— ولقد وصلت رقعتك الشريفة فنالنى منها الشرف ، وهكذا طبعك
— وأصبحت مادحا لك . ولـكن ما فخرك بمدحى والعالم جميعه الآن يرتل مدحك ...
— وهذه الرسالة مختصرة ، قد سبقتها منى رسالة مطنبة أنفذتها إليك

(١) فيما يلى الترجمة العربية لهذه القصيدة :

— إن الـكواكب لتقل عدداً أمام أنواع فضلك ، يا صابر
— ونظمك أضحى لخراسان كالسلسبيل فى جنة الخلد
— ونكات خاطرك المتقد أضحت للروح كنار الخليل
— وظلال آدابك ظليلة وارفة فوق رؤوس من يطلب العلم والفضل
— وقلمك قصير ولـكن بفضله يطول عمر الفضل والمجد
— وأنت القاطن فى قصر العلوم ، وأما من عداك فعابر سبيل
— وقد أضحى خنجر الصباح كليلا بمقارنته بلسانك الحاد المنطق
— وأنت جليل القدر ولـكن رؤيتك نعمة جليلة لدى الخلق
— ودموعى تـكفينى دليلا وشاهداً فى هذا الفراق ، يا عزيز المثيل
— فقد لازم جسدى الألم والعناء ، واقترن قلبى باللوعة والشقاء

=

صبر کردن ز طلعت چو توئی | عقل را سخت مستحیل آمد
هذیانی که در مرض گویند | قطعهٔ من از آن قبیـل آمد
در فراق تو سخت معلومم | شاید ار شعر من علیـــل آمد

* * *

ويشير « أديب صابر » فى قصـيدته التى قالها فى مدح « تاج المعـالى أبو القاسم سيد مجد الدين على بن جعفر الموسوى رئيس خراسان » ، إلى الأشعار التى أنشدها رشيد الدين أيضاً فى مدحه فيقول مثنيا عليه[1] :

شـعری که ترا رشید گفته است | گفتند که بحر او چنین است
این شـعر چو شعر او نباشد | کان خان بزرگ واین تـکین است
این شعر مکان او ندارد | کو در وصف شاعران مکین است
طبعش بگه سخن لطیف است | رایش بگه ثنا رزین است
حال من وشـعر من نزار است | حال وی وشـعر او سمین است

* * *

ولم يستطع كاتب هذه السطور أن يظفر بترجمة كاملة لحال « تاج المعـالى الموسوى » الذى مدحه أديب صابر فى الأبيات السابقة وفى أبيات كثيرة أخرى ، ولـكننا بمراجعـة أشعار الشعراء الذين عاشوا فى عهد سنجر ومن بينهم أديب صابر ورشـيد الدين الوطواط ، نستطيع أن نعلم أن تاج المعالى الموسوى كان من أكابر خراسان ومن فضلائها الممتازين فى النظم والـكتابة . وكان السلطان سنجر يجله ويحترمه ويلقبه بكلمة « أخ » . وقد قال رشيد الدين جملة قصائد فى مدحه من بينها القصيدة التالية عند ما احتمى به[2] :

صدر زمانه عمدهٔ اسلام مجد دین | آن مجمع بزرگی وان مفخر تبـار

— وقد بدا للعقل استحالة الصبر على فرقة طلعتك
— وقصيدتى التى أبعثها إليك بدت كهذيان المرض
— فقد علمت يقينا ، أنه من الجائز أن يعتل شعرى لغيبتك وفرقتك ... !!

(١) فيما يلى الترجمة العربية لهذه الأبيات :
— إن الشعر الذى قاله لك رشيد الدين ، قالوا إن بحره زاخر طامى
— وشعرى ليس كشعره ، لأن شعره ملك كبير ، وأما شعرى فأمير صغير
— وشعرى لا مكان له بمقارنته ، لأنه مكين فى وصف الشعراء
— وهو لطيف الطبع عند الوصف ، وهو رزين الرأى عند الثناء
— وأنا وشعرى ضعيفان هزيلان ، وأما هو وشعره فشديدان سمينان ... !!

(٢) فيما يلى ترجمة هذه الأبيات :
— صدر الزمان عمدة الإسلام مجد الدين ، مجمع الفضل ومفخرة المحتد الطيب =

آن افتخار آل پیمبر که آسمان　　جوید همی ز خدمت درگاهش اعتبار

. . . .　　. . . . .

ای دستگیر اهل هنر دست من بگیر　　کز من همی بر آرد دست فلك دمار

مالیده گشت شخص من از پای امتحان　　فرسوده گشت جان من از دست اضطرار

در زینهار دولت تو آمدم از آنك　　بر من همی خورد فلك سفله زینهار

جویم همی جوار تو کز جور حادثات　　امروز نیست هیچ امان جز درین دیار

تو ابر مکرماتی وبارانت نعمتست　　ای ابر مکرمات یکی بر سرم بیار

شخص مرا ز آفت طوفان نایبات　　اندر سفینهٔ کنف خود نگاه دار

* * *

ویؤخذ من بعض أشعار رشید الدین ، أن تاج المعالی الموسوی هذا ، وقع مدة فی الحبس ، فهو یقول مخاطباً أدیب صابر إجابة علی إحدی قصائده[1] :

بدیع شعر تو ای صابر بن اسماعیل　　مرا بسوی امانی و امن گشت دلیل

بساحت تن واز جان من بهم کردند　　قصیدهٔ تو نزول وسپاه رنج رحیل

قصیده ای همه الفاظ او نشاط حزین　　قصیدهٔ ای همه اطراف او شفای علیل

جلیل مرتبه لیکن دقیق در معنی　　کثیر فایده لیکن ز روی لفظ قلیل

چو سلسبیل بود لفظ تو لطیف مگر　　که سلسبیل سخن بر تو کرده اند سبیل

همی ریاحین خیزد ترا ز آتش طبع　　مگر تو داری میراث معجزات خلیل

— مفخرة لآل الرسول ، تجد السماء رفعتها فی خدمة أعتابه

— ... ...

— فیا من تأخذ ید أهل الفضل ، خذ یدی فقد بلیت روحی لاضطراری

— وهزل جسدی تحت وطأة الامتحان وتضایقت روحی بأفعال الزمان

— وقد احتمیت بدولتك ، لأن الفلك الغادر قد خاننی وغدر بی

— وأنا أطلب جوارك ، لأنه لا أمان لی من جور الحادثات إلا فی دیارك

— وأنت سحاب المکرمات وغیثك هامی النعم ، فهلا صببت وابلك علی رأسی مرة ...

— وهلا حفظتنی من طوفان النوائب فی سفینة قربك ...!!

(١) فیما یلی الترجمة العربیة لهذه القصیدة :

— إن بدیع شعرك ، یا صابر بن اسماعیل ، قد أصبح یهدینی إلی الأمن والأمان

— فمند ما نزلت قصیدتك فی ساحتی ، رحلت جیوش الهم والألم عن روحی

— وهی قصیدة ألفاظها تسر الحزین ، وأبیاتها تشفی العلیل

— جلیلة المرتبة ، دقیقة المعنی ، کثیرة الفائدة ، قلیلة اللفظ

— وکانت ألفاظك لطیفة کالسلسبیل ، فهل أجروا السلسبیل عی أحادیثك ... !!

— وفی نار طبعك تنمو الریاحین ، فهل أنت وارث لمعجزات الخلیل ... ؟!

=

جهان ز شعر تو پوشد ملابس زینت　　فلك ز نظم تو سازد جواهر اکلیل
مثابتیست ترا در هنر رفیع ومنیع　　ولایتیست ترا در سخن عریض وطویل
بعـــلم بر همه عالم ترا بود ترجیح　　بفضل بر همه گیتی ترا بود تفضیل
ایا بلند ضمیری که در فنون هنر　　شده است طبع تو آگاه از دقیق وجلیل
بزادن چو تو فحل وبدادن چو تو سهم　　زمانه گشت عقیم وستاره گشت بخیل
تراست هرچه معالی است اندك وبسیار　　تراست هرچه معانی است جمله وتفصیل
توئی امیر امور ولایت دانش　　در آن ولایت جز تو همه غریب ودخیل
سواد خط تو کحلیست بر بیاض صحف　　کزوست چشم عروسان نظم ونثر کحیل
چگونه ای تو در اندوه حبس آن صدری　　که در معالی وعقلست چون علی وعقیل
چه عهد بود که در مجلس مقدس او　　بشعر جزل همی یافتی عطای جزیل
چگونه صبر کند از مکارم وافضال　　کسی که بود بأرزاق اهل فضل کفیل
اگر ز حبس بحبسش همی برند بقهر　　چه شد ز برج ببرجست شمس را تحویل
همی تواند در حبس دیدنش گردون　　کشیده بادا در دیده های گردون میل
رسید شعر تو ای بی بدیل در هر باب　　بلهو کرد همه انده مرا تبدیل
بجان خستهٔ من کرد نامهٔ تو ز لطف　　چنانکه جامهٔ یوسف بچشم اسرائیل
بدیع نیست چنان عهد صدق ولطف ووفا　　از آن خصال حمیده وز آن جمال جمیل

— والعالم يزدان بأشعارك ، والأفلاك تنظم أكليلها من نظمك
— ولك المكانة الرفيعة العالية فى الفضل ، والولاية العريضة الطويلة فى بلاغة القول
— وأنت المرجع بالعلم على جميع العالم ، وأنت المفضل بالفضل على جميع الدنيا
— فيا رفيع الضمير ، يا من أضحى طبعك خبيرا بالدقيق والجليل من فنون الفضل
— لقد بخلت الكواكب وعقمت الأيام ، فما ولدت فحلا مثلك ، أو جادت بشهم يعدلك
— فلكَ المعالى كبيرها وصغيرها ، ولك المعانى بجملتها وتفصيلها
— وأنت الأمير فى ولاية العلم ، ومن عداك فيها غريب دخيل
— وسواد خطك هو الكحل لبياض الصحف ، وقد اكتحلت به عرائس النظم والنثر
— فكيف أنت فى محبس هذا الوزير الذى يشابه عليا وعقيلا فى المعالى والعقل ... ؟!
— ومتى كان هذا العهد ، وقد كنتِ تظفر فى مجلسه المقدس بعطائه الجزيل لشعرك الجزل ... ؟!
— وكيف يصبر عن مكارمك وأفضالك ، من كان كفيلا بأرزاق أهل الفضل ... ؟ !
— وماذا يضيره إذا أخذوه قهراً من محبس الى آخر ، فالشمس أيضاً تتحول من برج الى آخر
— وهل يستطيع الفلك أن يراه فى الحبس ... فيا ليت أعين الفلك قد فقأتها أطراف الميل
— ولقد وصلتنى أشعارك يا عديم البديل فى كل فن ، فبدلت أحزانى الى مسرات
— وكان أثر خطابك الرقيق فى روحى الجريحة ، كأثر قميص يوسف فى عين إسرائيل
— أليس بديعاً مثل هذا العهد الصادق واللطف والوفاء وهذه الخصال الحميدة وهذا الجمال البهى =

تبارك الله هرگز بود برغم فلك　　مرا بصحن جوار تو در مصيب ومقيل
رسيده از كنف جاه تو بحصن حصين　　رسيده از لطف لطف تو بظلّ ظليل
ثناى تست عديل زبان من پيوست　　اگرچه نيست مرا در زمانه هيچ عديل
هميشه تا كه بود در بساطهٔ گيتى　　يكى ز بخت عزيز ويكى ز چرخ ذليل
بتو مراسم آداب زنده باد وعدوت　　بتيغ حادثهٔ روزگار باد قتيل

***

فلما خرج « تاج المعالى » من محبسه قال رشيد الدين القصيدة الآتية(١) :

اجل مجد دين صدر آل پيمبر　　نظام معالى على بن جعفر
. . . .　　. . . . .
اگر داشت يك چند اندر مضيق　　ترا حادثات جهان ستمگر
از آن آشفته انديشه كم كن　　وز آن روز شوريده اندوه كم خور
نه در غنچه كامل شود نكهت گل　　نه در بوته حاصل شود صفوت زر
ز احداث چرخست تجديد مردم　　چو از زخم خايسك تزيين خنجر
خداوندرا شكر كامروز آمد　　درخت امان وامانيت در بر
بنعمت نويد آمدت چون فريدون　　ز ظلمت نجات آمدت چون سكندر
برون آمدى از مضيق نوائب　　چو از بحر لؤلؤ چو از كوه گوهر

— فتبارك الله ... فلى مقيل بصحن جوارك رغم أفعال الفلك والزمن
— ولقد وصلت فى أكناف جاهك إلى حصن حصين ، ووصلت فى الطاف لطفك إلى ظل ظليل
— وأصبح الثناء عليك عديلا وقرينا للسانى ، ولو أنه لا عديل لى فى هذا الزمان
— وما دام فى الدنيا من يعزه الحظ ، ومن يذله نكد الطالع
— لتعش بك مراسم الآداب ، وليمت عدوك قتيلا بسيوف الحادثات ...

(١) معناها بالعربية كما يلى :
— الأجلّ مجد الدين صدر آل الرسول ، نظام المعالى على بن جعفر
— ... ...
— إذا ظلمتك حوادث الزمان القادر ووضعتك برهة فى ضائقة
— فلا تفكر فيما أنت فيه من أمر حائر ، ولا تغتم بما أنت فيه من يوم بائر
— فنكهة الورد لا تكمل فى البرعمة ، وصفاء الذهب لا يتم فى البوتقة
— وفى أحداث الزمان تجديد لبنى الإنسان ، كما أن ضربات المطرقة تزين الخناجر
— فشكراً لله ... لقد أثمرت اليوم شجرة الأمن والأمانى
— وجاءت بشرى النعم كما جاءت لافريدون ، ونجوت من الظلمة كما نجا الإسكندر
— وخرجت من مضيق النوائب كما يخرج اللؤلؤ من البحار ، والجواهر من الجبال والأحجار ＝

بألطاف تو گشت گیتی مزین   بأوصاف تو گشت عالم معطر

* * *

ورغم هذا الصفاء الذى كان يسود العلاقات بين رشـيد الدين وأديب صابر ، فإنهما تهاجيا مدة بأفحش الشتائم وأغلظ الأقوال ، وقد حفظت لنا كتب التراجم جملة أمثلة لهذه المهجويات المتبادلة بينهما ، ومن بينها كتاب « هفت إقليم » عند ذكره لترجمة أديب صابر .

ويقول تقى الدين الـكاشى فى تذكرته « إن الحـكيم أنورى » كان يقدم « أديب صابر » فى المرتبة على منافسه رشيد الدين الوطواط ؛ أما « الخاقانى » فـكان على خلاف ذلك الرأى يقول بفصاحة رشيد الدين .

والحق أن التفرقة بين هذين الأديبين الـكبيرين ليست هينة ، فإن رشيد الدين مليح القول عذب الـكلام ، وله أبيات رفيعة فى المدح ، وأشعاره تزيد على أشعار أديب صابر ، ولـكن هذا الأخير كان رغم ذلك كله صادق القول حسن الأداء للمعانى والأفـكار .

— وازينت الدنيا بألطافك ، وتعطر العالم بذكر أوصافك ... !!

الفصل الرابع

نثر الوطواط فى اللغة الفارسية

كل ما استطاع أن يحصل عليه كاتب هذه السطور من نثر الوطواط فى اللغة الفارسية محصور فى كتابين أحدهما « حدائق السحر » ، والآخر الترجمة الفارسية لمائة كلمة من كلمات أمير المؤمنين على رضى الله عنه .

أما منشآته الفارسية وأعنى بذلك رسائله التى كان يكتبها على لسانه أو لسان ملوك خوارزم ويبعث بها إلى سلاطين عصره أو إلى الأمراء والفضلاء المعاصرين له ، فإنها مع مزيد الأسف لم تجمع كما جمعت رسائله العربية ؛ ولو أنها جمعت وأمكن الحصول عليها ، لأمكن استنباط كثير من الفوائد التى تكشف عن أحوال مؤلفها وتظهر الخافى من أنحائها .

وبمطالعة كتاب « حدائق السحر » وكذلك الترجمة الفارسية لكلمات علىّ ، يمكننا أن نتبين أن نثر الوطواط فى الفارسية كان عذباً فصيحاً محكما بالغاً درجة الكمال . وقد جرى على عادة أهل زمانه فحافظ على رعاية السجع فى رسائله ، ولكنه مع ذلك يعتبر من الكتّاب المبرزين فى كلتا اللغتين العربية والفارسية ومن أساتذة الكتابة والإنشاء فيهما .

وقد كتب « محمد بن هندوشاه المنشى النخجوانى » فى مقدمة كتابه الفارسى المعروف بـ « دستور الكاتب فى تعيين المراتب » ، وهو الكتاب الذى ألفه وأهداه إلى الشيخ أويس بهادر خان الجلايرى (٧٥٧ — ٧٧٦ هـ) ، فقال إنه اقتبس محتوياته من منشآت أساتذة الكتابة مثل : « رشيد الدين الوطواط » و « بهاء الدين محمد البغدادى »[١] و « نور الدين المنشى »[٢] و « رضى الدين الخشاب »[٣] .

---

(١) بهاء الدين محمد بن المؤيد البغدادى : شاعر وكاتب معروف تولى دار الإنشاء للسلطان علاء الدين تكش خوارزمشاه (٥٦٨ — ٥٩٦) ، وقد جمعت رسائله تحت عنوان : « التوسل إلى الترسل » وقد توفى بعد سنة ٥٨٨ هـ ، وهو أخو الشيخ العارف مجد الدين شرف بن المؤيد البغدادى . (انظر الكتب الآتية : « تاريخ جهانكشاى » ج ٢ ص ٢٣ و « لباب الألباب » ج ١ ص ١٣٩ و « تاريخ گزيده » و « هفت إقليم » وكذلك « تركستان » بقلم بارتولد »

(٢) نورالدين المنشى : هو محمد بن أحمد النسوى صاحب الكتابين المعروفين « سيرة السلطان جلال الدين المنكبرنى » و « نفثة الصدور »

(٣) رضى الدين أحمد بن محمود الخشاب السمرقندى : من الشعراء والمترسلين ومجموعة رسائله الفارسية مسماة بـ « نفائس الكلام وعرائس الأقلام » ، (انظر كشف الظنون)

وفى يقينى أنه لو بحثنا بدقة فى مجموعات الرسائل الفارسية ، لعثرنا على عدد كبير من منشآت الوطواط ورسائله الفارسية .

وتوجد فى المتحف الأسيوى لجمعية العلوم بمدينة لينينجراد[١] مجموعة نفيسة من الرسائل مشتملة على بعض القصائد الفارسية كانت فى الأصل مملوكة لمعهد اللغات الشرقية[٢] بهذه المدينة ، وقد وصفها بالتفصيل « البارون فون روزن » فى فهرست الكتب الفارسية ذاكراً عنوان كل رسالة من الرسائل التى تضمنتها .

وعدد كبير من هذه الرسائل مكتوب بقلم « الأتابك منتجب الدين بديع الكاتب الجوينى » الذى كان يتولى كتابة الرسائل للسلطان سنجر السلجوقى والذى كان شفيعاً لرشيد الدين الوطواط لدى مولاه[٣] . وقد تصور البارون فون روزن من أجل ذلك أن المجموعة برمتها بقلم « منتجب الدين » حتى بعض هذه القصائد المصنوعة التى قيلت فى مدح « أتسز خوارزمشاه » ، ولكن الأستاذ « بارتولد » رأى أنه من المحتمل الجائز أن بعض هذه الرسائل قد كتبها « رشيد الدين » ، وخاصة ما صدر منها عن ملوك خوارزم . وكاتب هذه السطور لم يوفق إلى رؤية هذه المجموعة ، ولكنه يقطع أن طائفة كبيرة من الرسائل التى تضمنها مكتوبة بقلم رشيد الدين كما ذهب إلى ذلك الأستاذ بارتولد ، وأن بعضها بقلم الشاعر المعروف « فريد الدين عبد الواسع الجبلى الغرجستانى » .

ومن بين المراسلات التى لا نستطيع إلا التسليم بأنها بقلم رشيد الدين ، المراسلة الرقيمة ٥٦ المسطرة على الورقة ٦٢ « ا » . . . بعنوان « وكتب إلى أخيه نجيب الدين عمر » . . . فإن نجيب الدين ، كما ذكرنا سابقا وكما يظهر من مجموعة الرسائل العربية للوطواط ، كان بلا شك أخاه ، وقد أورد ذكره فيها ثلاث مرات ، مرتين بالاسم ومرة باسمه ولقبه[٤] .

ويتلو هذه الرسالة مباشرة رسالة أخرى بعنوان : « إلى الأجل المحترم المكرم المنعم منتجب الدين بديع الأتابك أدام الله فضله » ، ولاشك أن هذا الشخص هو بعينه «منتجب الدين أتابك بديع الجوينى » الذى إليه يرجع الفضل فى تخليص الوطواط من عذاب سنجر بحيث أصبح يشير إليه بهذه الألقاب اعترافاً بفضله .

وبالأضافة إلى هاتين الرسالتين ، ربما كانت جميع الرسائل التى تضمنتها هذه المجموعة

---

(١) Musée Asiatique de l'academie des Seiences

(٢) Institut des langues Orientales

(٣) منتجب الدين هو خال الجد الأعلى لعطا ملك الجوينى مؤلف تاريخ جهانكشاى . انظر أيضا ص ٩ من هذه المقدمات

(٤) مجموعة الرسائل العربية ج ٢ ص ٦٨

إلى الرسالة رقم ٩٨ المكتوبة على الورقة ٩٢ « ب » . . وربما كانت جميعها نثراً ونظماً بقلم الوطواط ؛ ذلك لأن جامع هذه الرسائل يعنون كلامنها بدون انقطاع : « وكتب إلى فلان » أو « وأيضاً من إنشائه » .

وقد ورد ضمن هذه المجموعة من الرسائل ، جملة من القصائد المصنوعة فى مدح « أتسز خوارزمشاه » ، وكذلك طائفة من المراسلات الصادرة عن هذا السلطان أو من « السلطان ايل أرسلان » .. ومثل هذه القصائد والمراسلات لايجوز الشك فى نسبتها إلى رشيد الدين .

وفيما يلى قائمة بالمراسلات التى يغلب الظن أنها بقلم رشيد الدين ، وقد ذكرنا رقمها ورقم ورقتها وفقا لفهرست البارون فون روزن :

رقم الرسالة	رقم الورقة	عنوان الرسالة
٣٦	٤٣ « ب »	وكتب هذه الرسالة إلى « مهذب الدين تاج »
٣٧	٤٤ « ب »	وكتب إليه أيضاً بلسان الخوارزمشاه
٣٨	٤٥ « ب »	وهذه رسالة الملك الأعظم الخوارزمشاه إلى السلطان الشهيد سنجر ابن ملكشاه فى تهنئته على الخلاص من أيدى الغزّ
٣٩	٤٦ « ب »	وهذه الرسالة أيضاً كتبها إلى السلطان الشهيد فى نفس هذا المعنى
٤٠	٤٧ « ب »	» » » » » » » » » » »
٤١	٤٨ « ا »	وهذه الرسالة كتبها إلى الأمير الاسپهسالار عماد الدين أحمد بن جلال الدين قاج[1]
٤٢	٤٩ « ا »	هذه الرسالة كتبها الخوارزمشاه السعيد رحمه الله إلى المجلس العالى للخاقان المعظم جلال الدنيا والدين أبى القاسم محمود بن محمد بغراخان بمناسبة إجلاسه على عرش خراسان بعد وفاة السلطان سنجر
٤٣	٥٠ « ا »	هذه الرسالة أيضاً كتبها فى تهنئته بالملك وتعزيته على وفاة والدته « خاتون ملكه مهد عراق »[2] برد الله مضجعها وسقى روضتها
٤٤	٥٠ « ب »	وكتب هذه الرسالة إلى ملك نيمروز « تاج الدين أبو الفضل نصر ابن خلف السجزى » يطلب بها معاونته للسلطان الأعظم خلد الله ملكه

(١) هو الذى خلص السلطان سنجر من أيدى الغزّ كما ذكر ذلك الجوينى فى تاريخ جهانكشاى ج ٢ ص ١٣ (٢) أخت السلطان سنجر

رقم الرسالة	رقم الورقة	عنوان الرسالة
٤٥	٥٢ « ا »	وكتب هذه الرسالة أيضاً فى هذا المعنى
٤٦	٥٣ « ا »	وكتب هذه الرسالة إلى أمير الجيوش بمازندران « أبو الفتح رستم ابن على شهريار »
٤٧	٥٣ « ب »	وكتب هـذه الرسالة إلى ملك الجبال « علاء الدين ملك المشرق أبو على الحسين بن على »
٤٨	٥٤ « ب »	وكتب إليه أيضاً
٤٩	٥٥ « ا »	وكتب هـذه الرسالة إلى الأمير الاسفهبسالار الأجل الكبير « ناصر الدين أبو شجاع طوطى بن إسحاق الخضر »[1]
٥٠	٥٧ « ا »	وكتب هذه الرسالة فى تقليد بالولاية
٥١	٥٧ « ب »	« « « « تجديد عمل القضاء
٥٢	٥٨ « ب »	« « « « تولية شخص للخطابة
٥٣	٦٠ « ا »	« « « « تفويض الأوقاف والتدريس
٥٤	٦١ « ا »	« « « « تفويض الاستيفاء
٥٥	٦١ « ب »	« « « إلى أحد العمال يأمره بترتيب أمور الولاية وتجهيز أموال الرعية
٥٦	٦٢ « ا »	وكتب هذه الرسالة إلى أخيه « نجيب الدين عمر »
٥٧	٦٢ « ب »	« « « إلى الأجل المحترم المكرم المنعم « منتجب الدين بديع الأتابك » أدام الله فضله
٥٨	٦٤ « ا »	وكتب هذه الرسالة على سبيل المطايبة إلى أصحاب واحد من الكُتّاب
٥٩	٦٤ « ا »	وكتب هذه الرقعة فى حق العلوى
٦٠	٦٥ « ا »	« « « وبعث فيها بسلامه إلى أحد الأصدقاء
٦١	٦٥ « ا »	« « « فى استدعاء واحد من العظماء
٦٢	٦٥ « ا »	« « الرسالة إلى « الإمام الأجل برهان الدين تاج الإسلام والمسلمين أبو المجاهد محمود بن الصدر الشهيد أحمد بن عبد العزيز الكوفى »

(١) من أمراء التتر

رقم الرسالة	رقم الورقة	عنوان الرسالة
٦٣	٦٦ « ا »	إلى « الإمام الخطيب ركن الدين أبو فريد اسفرنكى »
٦٤	٦٧ « ا »	نسخة كتاب الإمام خالد المالكى إلى الأجل « موفق الدين على الليثى » رحمه الله
٦٥	٦٩ « ب »	وهذه القصيدة نظمتها فى مدح مولاى الخوارزمشاه بهاء الدين أعز الله نصره وأعلى قدره . وهى برمتها مرصعة ، وأغلب ظنى أن أحداً قبلى لم ينظم مثل هذه الدرر المرصعة
٦٦	٧٠ « ا »	وهذه القصيدة أيضا مرصعة وموشحة فى وقت واحد
٦٧	٧٠ « ب »	وهذه القصيدة أيضاً مرصعة وموشحة وقد قلتها فى مدح الخوارزمشاه « أتسز بن محمد »
٦٨	٧١ « ب »	وهذه الرسالة الفارسية مرصعة من أولها إلى آخرها ، وقد كتبها إلى أحد الوزراء يوصيه بشخص من الرعايا
٦٩	٧٢ « ب »	وهذه رسالة أخرى مرصعة فى معنى الاعتذار
٧٠	٧٢ « ب »	وهذه رسالة مرصعة فى معنى العناية
٧١	٧٣ « ا »	وهذا منشور بالقضاء كتبه مرصعاً برمته
٧٢	٧٤ « ا »	وهذا منشور بالولاية ، جملته مرصع
٧٣	٧٤ « ا »	ومن إنشائه إلى الحضرة بسجستان
٧٤	٧٦ « ا »	وهذه رسالة كتبها إلى وزير أمير المؤمنين على لسان سلطان العالم الملك الأعظم تاج الدنيا والدين «أبو الفتح ايل أرسلان» أدام الله دولته وأطال مدته[1]
٧٥	٧٨ « ا »	وهذه الرسالة كتبها إلى العراق على لسان الخوارزمشاه الأعظم تاج الدنيا والدين قدس الله روحه[2]
٧٦	٧٩ « ا »	وكتب فى تجديد منشور بالقضاء
٧٧	٨٠ « ب »	وكتب فى منشور أمير أبى بخارا
٧٨	٨١ « ب »	وكتب إلى السلطان الأعظم ركن الدنيا والدين « محمود بن محمد ابن بغراخان » عظمه الله ، يعزيه فى وفاة السلطان الأعظم « سنجر » برد الله مضجعه

(١) ربما كانت هذه الرسالة والتى تليها بالعربية (٢) يقصد به الملك « ايل ارسلان »

رقم الرسالة	رقم الورقة	عنوان الرسالة
٧٩	٨٣ « ا »	وكتب هذه الرسالة إلى أحد الكبراء
٨٠	٨٤ « ا »	وكتب هذه الرسالة إلى أحد الكبراء
٨١	٨٤ «ب»	وكتب هذه الرسالة إلى أحد الكبراء
٨٢	٨٥ «ب»	وأيضاً من إنشائه
٨٣	٨٧ « ا »	وكتب هذه الرسالة فى مجلس الملك الماضى قدس الله روحه إلى الملك الماضى خاقان سمرقند « على بن الحسن كرك ساعون » رحمه الله (١)
٨٤	٨٧ «ب»	الرقاع الموجزة : الرقعة الأولى فى سلام إلى أحد الأصدقاء
٨٥	٨٧ «ب»	رقعة إلى أحد الكبراء
٨٦	٨٨ « ا »	رقعة فى الشكر
٨٧	٨٨ « ا »	رسالة فى العبادة
٨٨	٨٨ «ب»	رسالة فى هذا المعنى
٨٩	٨٨ «ب»	وكتب إلى صديق
٩٠	٨٨ «ب»	وكتب إلى صديق اسمه جمال الدين
٩١	٨٩ « ا »	وكتب إلى أحد الأكابر
٩٢	٨٩ « ا »	وكتب إلى أحد الأكابر
٩٣	٨٩ «ب»	وكتب إلى واحد من فضلاء عصره
٩٤	٨٩ «ب»	قصيدة فى مدح الملك الماضى قدس الله روحه ، وهى قصيدة ملمعة
٩٥	٩٠ «ب»	قصيدة فى مدح الملك الماضى يمكن قراءتها على بحر السريع وبحر الرمل
٩٦	٩١ « ا »	قصيدة فى مدح الملك الماضى قدس الله روحه وفيها صنعة « رد العجز على الصدر » من أولها إلى آخرها
٩٧	٩١ «ب»	فى مدح سلطان العالم الأعظم تاج الدنيا والدين برد الله مضجعه

(١) هو « جغرى خان جلال الدين على بن حسن تكين » جلس على عرش خراسان وسمرقند فى سنة ٥٥١ ، ولقبه فى تاريخ جهانكشاى « كوك ساغر » انظر ج ٢ ص ١٤ .

الفصل الخامس

تأليفات الوطواط

من المحقق أن أشغال رشيد الدين التي كان يتولاها للدولة قد عاقته بعض الشيء عن التخصص للتأليف والتصنيف، خاصة وأنّه كان مجبوراً فى أغلب الأوقات على أن يكون ملازما لملوك خوارزم فى سفرهم وحضرهم لا يستطيع أن يغيب عن خدمتهم أو يغفل عن إشارتهم. وأغلب الظن أنه لم يكن راضياً بهذا الوضع وعلى الخصوص بمشاركته لهم فى حملاتهم الحربية. وكان يرى أن الأجدى عليه البقاء للمطالعة وإدارة الديوان، لا الخروج إلى ساحة الوغى والميدان، وقد ذكر ذلك صراحة ضمن رسالته التى بعث بها من خراسان إلى صدر الأئمة خطيب خوارزم، وفيما يلى نبذة منها متضمنة لحكاية لطيفة فى هذا المعنى[1]:

« ... أنا أدام الله مجده، منذ فارقت بابه المنيع، وجنابه المريع، مع ما هو معلوم من قلبى الضعيف، وقالبى النحيف، ونوى المتخاذل، ووطئى المتثاقل، وقوى الفاترة، ومنتى القاصرة، وقلة صبرى على متاعب الرحلة، ومصاعب النقلة، وشدة خوفى من موارد المحنة، ومراصد الفتنة، لم أخل طول هذه المدة من هموم دانية، وغموم داهية، وأشجان متفاقة، وأحزان متراكة، ومقاساة أحوال تشيب الوليد، ومعاناة أهوال تذيب الحديد، وصحبة أقوام ديدنهم هز الخناجر، وحز الحناجر، إناؤهم جمجمة الراس، وغناؤهم حمحمة الأفراس، تطربهم نمرات الدلادل، لا نقرات زلزل، وتسكرهم عجاجة الهيجاء، لا زجاجة الصهباء، وتؤنسهم مقارعة الصيد، لا مضاجعة الغيد، لا يخطر أحد منهم بباله، ولا يصور فى خياله، إن هذا الحائر الحزين، والشاعر المسكين، من أرباب العلم، لا من أرباب العَلَم، ومن أصحاب الديوان، لا من أصحاب الميدان، ومن فرسان البراعة، لا من فرسان الشجاعة، ومن فتيان البديهة، لا من فتيان الكريهة، وكيف يصبر على ممارسة الأسفار من خلق لدارسة الأسفار، وكيف يقدر على مدافعة الصروف من فطر لمطالعة الحروف ... يُطلب من مثلى دعاء صالح يديمه، أو ثناء فائح يقيمه، ومن طلب وراء هذا فقد طلب شططا وركب خططا، رأيت فى كتب المغازى أن حسان بن ثابت الأنصارى كرم الله هابه، وعظم ثوابه، كان ممن لا يحضر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، لثاية فرقه، ونهاية قلقه،

---

(١) انظر مجموعة الرسائل ج ٢ ص ٤٣ — ٤٤

واشتداد جبنه ، وانهداد ركنه ، وكان له بقرب المدينة حصن منيع الذرى ، رفيع المرتقى يقال له « فارع » أمره رسول الله صلى الله عليـه وسلم يوم الخندق بالسير إلى ذلك الحصن مرحمة عليه ومكرمة إليه ، وبعث معه جماعة من نسوان عترته ، وصبيان أسرته ، فيهم صفية بنت عبد المطلب ليكونوا بمعزل من جدد الآفات ، وصدد المخافات ، فلما دخلوا الحصن نظروا من شرفاته السامية ، وغرفاته العالية ، فرأوا يهوديا فى ذيل الحصن يرمى ببصره إلى مداخله ومخارجه ، ومنازله ومعارجه ، فظنوا أن المشركين أرسلوه ، فقالت صفية : يا حسّان ، اخرج وكفّ أمره واتق شره . فقال حسّان : دعينى يا بنت عبد المطلب أعيش فى سلامة لا تنوبها أذاة ، ولا تشوبها قذاة . فخرجت صفية آخذة بعمود تعدو إليه ، وتسطو عليه ، وضربته ضربة نومته فى أكفان هالك ، وسلمته إلى أعوان مالك . ثم رجعت وقالت : يا حسان عليك بقطع رأسه ونزع لباسه . . . فقال حسان : دعينى يا بنت عبـد المطلب ، لا رغبة لى فى أثوابه ، ولا حاجة بى إلى أسلابه ... كل ذلك من ضعف فى نحيزته ، وخوف فى غريزته . وإذا كان حال أمير الشعراء وكبير البلغاء على هـذه الصفة فـكيف حال من هو أضعف أتباعه وأخوف أشياعه ...؟! »

* * *

كانت هذه المشاغل الرسمية المتصلة التى حدثنا بها رشيد الدين فى هذه الرسالة ، سببا فى أن نجده ، رغم طول عمره وسعة فضله وعلمه ، لا يقوى على أن يؤلف من الـكتب إلا كتاب « حدائق السحر » وجملة من الرسائل الصغيرة الأخرى ؛ ولسنا ندرى هل تمكن من إنجاز وعده الذى قطعه على نفسه فى بداية حدائق السحر فقام بتأليف كتاب شامل لجميع أنواع علم الشعر ، بما فى ذلك العروض والزحافات والقوافى ، ومحاسن النظم ومعايبه[1] ، أو أنه لم يتمكن من إخراج هذا الـكتاب الموعود ... لأنه لو فعل ذلك لـكان من المحقق الأكيد أن يروج هذا الـكتاب رواج « حدائق السحر » ، أو على الأقل للجأ إليـه جماعة من الأدباء فنقلوا عنه بعض ما احتواه واشتمل عليه .

وفيما يلى ما ورد إلينا من مؤلفات رشيد الدين سواء منها ما كان من إنشائه أو ما قام على جمعه وتصنيفه :

١ — حدائق السحر فى دقائق الشعر

وهو الـكتاب الحاضر وسنفرد فصلا تاليا للحديث عنه

٢ — فصل الخطاب من كلام عمر بن الخطاب

كتبه باسم أبى القاسم محمود[2] بن خوارزمشاه ايل أرسلان بن أتسز

(١) حدائق السحر ص ٢ من الأصل الفارسى (٢) المعروف باسم سلطانشاه

٣ — تحفة الصديق الى الصديق من كلام أبي بكر الصديق

كتبه باسم أبي القاسم محمود

٤ — أنس اللهفان من كلام عثمان بن عفان

كتبه باسم أبي القاسم محمود

٥ — نثر اللآلي من كلام أمير المؤمنين علي (١)

وأصل هذا الكتاب من اختيار عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ ﻫ لبعض كلام علي بن أبي طالب ، وقد قام رشيد الدين على ترجمة هـذه الكلمات إلى اللغة الفارسية وقرن الترجمة بتفسير آخر باللغة العربية ، ثم أعقب ذلك بذكر مضمون كل كلمة من هده الكلمات في بيتين باللغة الفارسية .

ويعرف هذا الكتاب باسمين آخرين ، هما : « مطلوب كل طالب من كلام علي بن أبي طالب » أو « صد كلمه » أي المائة كلمة .

ولكن أغلب النسخ الموجودة من هـذا الكتاب لا تشتمل على التفسير العربي المنثور ولا على الترجمة الفارسية المنثورة ، بل تقتصر على كلمات «عليّ» مع ترجمتها الفارسية المنظومة .

وفيما يلي أنموذج منها نسوقه على سبيل المثال :

« ... كلمهٔ هشتاد وچهارم : الكلمة الرابعة والثمانون .

أغنى الغنى العقل ... معنى الكلمة : العقل أعظم الغنى وبه يوصل إلى المنى .

معنى كلمه پارسي : معنى الكلمة بالفارسية : هر كه را خرد باشد او توانگر تر از همهٔ مال داران بود ، از بهر آنكه از مال اگر هزينه كند مال كم گردد ونيست شود ، واز خرد اگر هزينه كني خرد بيفزايد وهر روز بسبب تجربت زيادت گردد . بيت :

ای كه خواهی توانگری پيوست   تا از آن ره رسی بمهتری

از خرد جوی مهتری زيراك   نيست همچون خرد توانگری

.... »

وقد طبع هذا الكتاب أكثر من مرة في أوروبا وإيران ، فقام على طبعه « فلايشر H. L. Fleischer » في مدينة ليبزج سنة ١٨٣٧ (١٢٥٣ ﻫ) وترجمه إلى اللغة الألمانية (٢) ، كما طبع لأول مرة في طهران فيما نظن في سنة ١٣٠٤ وضموا إليه قصة زواج فاطمة رضي الله عنها .

---

(١) هذا الكتاب والكتب الثلاثة السابقة عليه ، موجودة في مجموعة بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ٢٢٧٠ عربي ، ومذكور فيها أنها نسخت في ٢٩ ذي الحجة سنة ٩٣٠ ﻫ

(٢) انظر ص ١٠٧ Edward's Cat. of the Persian Books in the British Museum

وقد أهدى رشـيد الدين هذا الـكتاب — كما يقول فى القدمة — إلى « سلطانشاه أبو القاسم محمود بن ايل أرسلان حوارزمشاه » الذى تولى الملك بعد وفاة أبيه سنة ٥٦٨ إلى سنة ٥٨٩ هـ .

ولست أدرى السند الذى اعتمد عليه « ريو »[1] فى تحديد تأليف هذا الـكتاب والـكتب الثلاثة الأخرى المتضمنة لـكلمات مختارة من كلمات الخلفاء الراشدين ، بسنة ٥٥٩ هـ

٦ — غرايب الكلم فى رغايب الحكم

من كلام رشيد الدين نفسه ، وقد كتبها باسم الصاحب الأجل العالم العادل المؤيد المظفر المنصور الـكبير صـدر الدولة والدين قوام الإسلام والمسلمين ملك وزراء الشرق والغرب « أبى المفاخر قاسم بن عراق » أدام الله مدته .

٧ — عقود اللآلى وسمو الليالى

وتشتمل على مائة كلمة لرشيد الدين ، أهداها إلى قاضى القضاة جواد خراسان وخوارزم « معز الدين أبى المفاخر مسعود بن يوسف بن الصدر السعيد » .

٨ — منية المتكلمين وغنية المتعلمين

منتخبات من كلام رشـيد الدين كتبها باسم تاج الدولة والدين بهلوان (بطل) العرب والعجم اسفهسالار الشرق والغرب « أبى الفتح على بن عماد الدين ايلغخان بن خوارزمشاه »

٩ — غرر الأقوال ودرر الأمثال

يشتمل على مائة كلمة من كلمات رشيد جعلها باسم سلطانشاه أبى القاسم محمود

١٠ — الكلم الناصحة والحكم الصالحة

من كلام رشيد الدين باسم « عماد الدين أقضى قضاة العالمين صدر الصدور من وزراء الشرق والغرب » .

١١ — مفاتيح الحكم ومصابيح الظلم

من كلام رشيد الدين باسم قائد جيوش إيران وتوران « أبى على الحسن بن خوارزمشاه شاه محمد » .

---

(١) Rieu : Cat. of the Pers. Mss. in the British Museum

١٢ — جواهر القلائد وزواهر الفرائد

يشتمل على مائة كلمة من كلمات رشـيد الدين باسم « طغرل قلج أسفهسالار بك أبي شجاع محمد بن الحسن بن عبد الرحمن عماد أمير المؤمنين »[1] .

١٣ — الفوائد العلائية

وقد نسبها إليـه حمد الله المستوفى صاحب « تاريخ گزيده »[2] ، ولا يعلم موضوعها ولـكن يظهر من اسمها أنه أهداها إلى علاء الدولة أتسز

١٤ — مختصرى در تصحيفات : مختصر فى التصحيفات

أشار إليه رشيد الدين فى كتاب « حدائق السحر »[3] .

١٥ — أبكار الأفكار فى الرسائل والأشعار

وهو مذكور فى « كشف الظنون » ، وقد ذكر حاجى خليفه أن رشيد الدين قسمه إلى أربعة أقسام ، جعل فى القسم الأول منها تسع رسالات عربيـة ، وفى القسم الثانى تسع قصائد عربية ، وفى القسم الثالث تسع رسالات فارسية ، وفى القسم الرابع تسع قصائد فارسية

ومن أسف أن هذا الـكتاب النفيس لم يصل إلى أيدينا ، ومن المؤكد أنه يشمل على كثير من المطالب المتصلة بالإنشاء والشعر فى العربية والفارسية ، وهناك شىء من التناقض فيما أورده حاجى خليفه خاصا بمؤلف هذا الـكتاب ، فإنه تحت عنوان : « أبكار الأفـكار » جعل هذا الـكتاب من تأليف رشيد الدين محمد بن محمد بن عبد الجليل الوطواط البلخى المتوفى بخوارزم سـنة ثلاث وسبعين وخمسمائة ، ولـكنه عاد فذكره تحت كلمة « إنشاء » ، وقال إن مؤلفه هو « جمال الدين محمد بن إبراهيم الـكتبى الوطواط الأنصارى المصرى ، المتوفى سـنة ٧١٨ صاحب كتاب « غرر الخصائص الواضحة » . . . ولـكن اشتمال هـذا الـكتاب على مراسلات وقصائد باللغة الفارسية يجعلنا نقطع بصحـة نسبته إلى رشيد الدين الوطواط ، خاصة وأن أغلب المؤرخين ينسبون إليـه تأليف بعض الـكتب الفارسية فى علم الإنشاء[4] .

---

(١) الـكتب الستة الأخيرة موجودة فى مجموعة بالمـكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ٤٨٠٣ من ملحق الـكتب العربية (٢) انظر تاريخ گزيده ص ٨٢٧

(٣) انظر حدائق السحر ص ٦٨ من الأصل الفارسى

(٤) انظر تذكرة الشعراء ص ٩٢ وكذلك تذكرة تقى الدين

١٦ — مجموعة الرسائل العربية

وقد طبعت فى مصر سنة ١٣١٥ هـ فى جزءين الأول يشتمل على ٩٣ صحيفة ، والثانى على ٨٣ صحيفة[١] .

١٧ — رسائل رشيد الدين الفارسية

وهى إلى الآن متفرقة لم يهيأ لأحد جمعها وطبعها .

١٨ — ديوان أشعار بالعربية

لم يطبع

١٩ — ديوان أشعار بالفارسية

موجود منه نسخ خطية عديدة ولكنه لم يطبع

٢٠ — العقود الزواهر

كتاب فى اللغة الفارسية ، ضاع أصله ولم يصل إلى أيدينا ، ولكن أحد فضلاء الأتراك المسمى بـ « محمد منيف » نظمه بالفارسية ، وجعل منه معجما منظوما بالفارسية على نمط « نصاب الصبيان » ، مشتملا على إحدى وخمسين منظومة ؛ كل منظومة منها تقرب من الخمسة عشر بيتاً وأسماه بـ « عقود الجواهر » وقدمه لمكتبة ميرزاجلبى بن السلطان محمد بن السلطان بايزيد (٨١٦ — ٨٢٤) ، وتوجد من هذا الكتاب نسخة فى المتحف البريطانى تحت رقم ADD 26138 ، كما توجد منه نسخة أخرى فى مكتبة الروضة الرضوية بمدينة مشهد[٢] .

٢١ — منظومة فى العروض

هذه الرسالة التى ينسبونها إلى رشيد الدين صغيرة جداً وتوجد ضمن مجموعة من المجموعات بالمتحف البريطانى ، وتشتمل على ورقتين اثنتين فقط ، وقد ورد فى مقدمتها هذه العبارة :

---

(١) قام على نشر هذه المجموعة المرحوم محمد أفندى فهمى رئيس قلم الإدارة بديوان الأوقاف

(٢) انظر كتالوج المخطوطات الفارسية بالمتحف البريطانى تأليف « ريو » ، وكذلك فهرست كتب مكتبة الروضة الرضوية بمشهد « كتابخانه رضوى مشهد » ج ٢ ص ٢٨٣

« الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على خير خلقه ، أما بعـد اين كتاب عروض اشعار است كه مولانا عالم فاصل أستاذ الشعراء رشيد الدين محمد بن على (؟) الوطواط نوشته ونظم كرده . . .

وتبدأ المنظومة الأولى من هذا الـكتاب هكذا :

« در بحر هزج سالم : فى بحر الهزج السالم

هزج را گر تمـام أركان همى خواهى ازو مگذر

بگير اين قطعة را ياد وبكن اين وزن را از بر

. . . . الخ »

ومعنى هذا البيت :

— إذا أردت الهزج بتمام أركانه فلا تمض وخذ هذه القطعة وتذكرها واحفظ وزنها عن ظهر قلب

وتشتمل هـذه الرسالة على ستة عشر بحراً من بحور العروض التى استعملها شعراء الفرس[1] .

---

(١) انظر رقم ١٩١ من ملحق المخطوطات الفارسية بالمتحف البريطانى تأليف « ريو »

الفصل السادس

كتاب حدائق السحر

الأثر الخالد الذى كتبه رشـيد الدين نخلد اسمه فى تاريخ أدبيات إيران ، وجعله معروفا مشهوراً حيثما يتحدثون الفارسية فى كل مكان ، هو هذا الـكتاب الحاضر الذى يعرف باسم « حدائق السحر فى دقائق الشعر » . . . كتبه فى علم البديع والصناعات الشعرية معارضا به كتابا آخر هو : « ترجمان البلاغة » من تأليف الشاعر الـكبير أبى الحسن على السجستانى المتخلص بالفرّخى .

وعلم البديع ، مثل طائفة أخرى كبيرة من شعب الفنون الأدبيـة ، يعتبر من العلوم الخاصة باللغة العربيـة ، لأننا إذا استثنينا بعض الصناعات المنوية مثل التشبيه والاستعارة ممـا يعتبر من الخصائص الطبيعية لـكل لسان ولـكل إنسان ، فإن بقية الصناعات البديعية وعلى الخصوص اللفظية منها كالسجع والترصيع والتجنيس وغيره ، قد احتلت المـكان الأول فى اللغة العربية ، لأنها باتساع ألفاظها وكثرة مترادفاتها قد ساعدت على إيجاد الأرض الصالحة لنمو هذه الصناعات . . . أما اللغة الفارسية فهى لغة آرية تختلف عن العربية من عدة وجوه ، ومن أجل ذلك فقد كان من باب التقليد اتخاذها لقسم كبير من هـذه الصناعات البديعية ، وربما ساعد على سهولة هذا التقليد دخول عدد كبير من الألفاظ العربية فى اللسان الفارسى . فإن شـعراء إيران بعد الإسلام لم يجدوا أمامهم ما يقلدونه من نماذج الأشعار إلا الأشعار العربية فأخذوا يحاكونها فى أسلوبها وسبكها ، وأنشأوا قصائدهم على غرارها وصبوا إحساساتهم وعواطفهم فى قوالب العروض العربى وأوزانه .

وأصبح الشاعر الإيرانى بعد الإسلام لا يستطيع أن يقول الشـعر بلغته الفارسية ما لم تـكن معرفته باللغة العربية كاملة ، حافظا لأشعار العرب مطالعاً لأقوالهم ، فـكانت هذه الحال التى اضطر إليها الشعراء بإيران ، مع ما ركب فى الطبيعة الإنسانية من حب التقليد ، دافعاً لهم على محاكاة أساليب العرب وإلباس علومهم الأدبيـة فى لباس فارسى جديد . . . ومن المحقق أن الأمر اقتصر فى البداية على مجرد تقليد العرب فى جميع الفنون ، ثم أخذت بعد ذلك أيدى الأساتذة الإيرانيين تتصرف بعض الشىء فى هذه الفنون حتى أدخلت عليها كثيراً من التغييرات ، كان من نتيجتها إضافة طائفة كبيرة من المـكملات إلى كل فن ، بما فى ذلك فنّ البديع أيضاً

وأول من دوّن علم البديع فى اللغة العربية هو : « أبو العباس عبد الله بن المعتز العباسى » ٢٤٧ — ٢٩٦ هـ . فقد ألف كتابا فى هـذا الفن فى سنة ٢٧٤ هـ جمع فيه أنواع الصناعات التى استعملها من سبقه من الشعراء فى أشعارهم[1] ، والتى اقتضتها منهم طبيعة اللغة والشعر ولـكنهم لم يحددوا لها تسمية خاصة تعرف بهـا . . . ثم زاد الأدباء بعده على ما استخرجه « ابن المعتز » من هذه الصناعات حتى أضحى البديع فناً مستقلا بذاته بعد أن كان تابعاً لعلوم المعانى والبيان . وظهر ذلك بوضوح عند ما آل الأمر إلى طائفة من الأدباء المتكلفين الذين لا ذوق لهم ولا سليقة ، فإنهم أخذوا يجتهدون فى التفنن والتصنع حتى استخرجوا بعض الصناعات اللفظية ، التى أن دلت على شىء ، فإنما تدل على فساد طبعهم واعوجاج طريقتهم ؛ فقد جعلوا المعنى ، وهو المادة الأصلية فى الـكلام ، فداء لـما استعملوه من ألفاظ فارغة ، وجهلوا أن أعذب الألفاظ وأجمل الصناعات هى ما كانت كالأجسام اللطيفة الشفافة تظهر ما تضمنته من معان دون أن يحجبها حاجب ودون أن تحتاج إلى وسيلة أخرى تـكشف بها عما احتوته واشتملت عليه ، فإذا السامع أو القارئ مفتون بالمعانى لا يكاد يحس بالألفاظ أو يلتفت إليها ، ولا يضيع وقته فى ألفاظ فارغة جوفاء توحى بفساد طبع مؤلفيها وناظميها .

ومن الجائز المحتمل أن فن البديع أصبح منذ القرون الأولى لنشأة الشعر الفارسى محكا لعناية شعراء الفرس مثل « الرودكى » و « الشهيد البلخى » و « الدقيقى » ، فأراد جماعة من أدباء القسم الشرقى من إيران — وهو القسم الذى نشأت فيه الأشـعار الفارسية الدريه — أن يجمعوا كتابا فى هـذا الفن ، يطبقون فيه محاسن الشعر العربى على الـكلام الفارسى المنظوم . . . ويستفاد من بعض القرائن أن شعراء الفرس اعتنوا عناية خاصة بعلم البديع منذ أواخر عهد السامانيين وأوائل دولة الغزنويين فقالوا أشعارا بديعة يتمثل بها من ناحية جمالها اللفظى والمعنوى ، ويقول الشاعر « عنصرى » المتوفى سنة ٤٣١ هـ فى إحدى قصائده :

نـگارهاى بهارى چو شعرهاى بديع　　يكيست بزر موشح دگر بر از تشجير

ومعناه :

— إن نقوش الربيع كالشعر البديع ، فهذه موشحة بالذهب وتلك مليئة بالأشجار

أضف إلى ذلك أن شـعراء الفرس — كما يستفاد من كتاب حدائق الشعر — وضعوا مصطلحات من عندهم لبعض الصناعات البديعية فى مقابل الاصطلاحات العربية ؛ فمثلا أسموا

---

(١) انظر كتاب الأوائل لأبى هلال العسكرى (النسخة الخطية بالمـكتبة الأهليـة بباريس تحت رقم ٥٩٨٦ عربى) وكذلك كشف الظنون . وقد طبع كتاب البديع لابن المعتز فى لندن ضمن مجموعة « جب » التذكارية وقام على نشره والتعليق عليه « اغناطيوس كراتشقوفسكى » عضو أكاديمية العلوم بمدينة لينينغراد .

« رد العجز على الصدر » بالمطابق أو المصدَّر كما أسموا « اللغز » فى لغتهم بكلمة « چيستان »[1] واهتموا اهتماما خاصاً بصناعة « السؤال والجواب »[2] ، وكانوا يتبعون نظاما خاصاً فى التقسيم والتسميط[3] .

وكان « أبو سعيد أحمد بن محمود المنشوري السمرقندى » من شعراء الدولة الغزنوية على عهد السلطان محمود الغزنوى ، وكان يقول أشعاراً من النوع المعروف بالمتلون[4] .

وكان « قطران التبريزى » وهو شاعر عاش فى آذربيجان حوالى سنة ٤٥٠ هـ من أوائل شعراء الفرس الذين قالوا قصائد مصنوعة راعوا فيها الصناعات البديعية .

أما الأستاذ « أبو الحسن على الفرخى » الشاعر السجستانى الكبير المتوفى سنة ٤٢٩ ، فقد كان فيما نعلم أول من كتب كتاباً فى محاسن الشعر الفارسى ، وأول من استعمل بشكل جدى ماهر بعض الصناعات البديعية فى أشعاره فأضفى على كلامه باستعمالها جمالا ولطفا بالغين .

وكتاب الفرخى معروف باسم « ترجمان البلاغة » ؛ وقد ضاعت نسخته ولم تصل إلى أيدينا ، كما أن أحداً لم ينقل إلينا بابا من أبوابه . ومن أجل ذلك فنحن لا نعلم على وجه التحقيق كيفية ترتيبه ولا محتوياته ، ولا السبب الذى دعا إلى تأليفه أو المنابع التى اعتمد عليها المؤلف فى كتابته ، أو الشخص الذى أهدى إليه الكتاب إذا صح إهداؤه إلى أحد من الناس . وكل ما نعلمه أن هذا الكتاب كان فى يد رشيد الدين الوطواط عند كتابته لـ « حدائق السحر » . وأنه عارض به كما يقول ياقوت : « كتاب ترجمان البلاغة لفرخى الشاعر الفارسى »[5] . ولكن رشيد الدين مع ذلك لم يذكر لنا صراحة اسم مؤلف « ترجمان البلاغة » ، وربما كان سبب ذلك أنه اعتبر نفسه مقبلا على ذكر عيوب هذا الكتاب ونقد أشعاره التى ربما كانت من صنع الفرخى نفسه ، فرأى من الخير أن يتجنب ذكر اسمه حتى لا يسىء إلى ذلك الشاعر العظيم مع ماعرف عنه من الفضل ورفعة القدر .

ومن أبلغ دواعى الأسف أن يضيع هذا الكتاب من بين أيدينا ، فإن أهميته لا تحد ، من ناحية قدم تاريخه ، ومن ناحية أنه مكتوب بلغة فارسية منثورة قام بتحريرها شاعر لطيف الطبع جميل الذوق فصيح الأسلوب ، ومن ناحية أنه كان مشتملا من غير شك على طائفة كبيرة من أقوال الشعراء والأدباء الذين عاشوا فى العهد السامانى الذى يعتبر الدورة الأولى لنشأة الشعر الفارسى .

---

(١) حدائق السحر ص ١٨ من الأصل الفارسى

(٢) حدائق السحر ص ٥٩ من الأصل الفارسى

(٣) حدائق السحر ص ٦٣ و ٧٦ من الأصل الفارسى

(٤) حدائق السحر ص ٥٥ من الأصل الفارسى

(٥) معجم الأدباء ج ٧ ص ٩١

ونحن لا نشك فى أن رشيد الدين قد اقتبس بعض شواهده مما وجده فى « ترجمان البلاغة » ، ولكن من دواعى الأسف أنه لم يصرح بذلك فى موضع واحد من مواضع كتابه ، كما لم يذكر شيئاً عن ترجمان البلاغة وسبب تأليفه وتفصيل محتوياته .

ولسنا نعلم فيما عدا ذلك إذا كان رشيد الدين قد استعان فى تأليف «حدائق السحر» بكتاب فارسى آخر أو أنه اقتصر على هذا الكتاب الذى ذكرناه . ولكن من المحقق أن رشيد الدين اتبع فى تأليفه أسلوبا جديداً أخرجه عن أن يكون تقليداً لأى كتاب عربى أو فارسى ؛ وقد ساعده على ذلك أنه كان مبرزاً عالى المكانة بين أدباء عصره ، وأنه كان مسيطراً تمام السيطرة على الأدب واللغة والنظم والنثر فى كلتا اللغتين العربية والفارسية . فتأليف كتاب صغير مثل حدائق السحر لا يعتبر لديه أمراً شديد الخطر ، بل هو يسير المشقة هين التكاليف ، لا يكلفه أكثر من بضعة أسابيع قليلة لكى يتمه ويوجد له ما يتطلبه من أمثلة وشواهد .

قرأ رشيد الدين كثيراً من دواوين المبرزين من شعراء العرب والعجم مثل « أبى عباده الوليد بن عبيد البحترى » و « الأمير الحارث بن سعيد أبى فراس الحمدانى » و « أبى الطيب المتنبى » و « الأمير أبى القاسم حسن بن أحمد العنصرى البلخى » ، وأمير الشعراء « أبى عبد الله محمد بن عبد الملك المعزى النيسابورى » و « الأمير مسعود بن سعد بن سلمان » والأمير « أبى الحسن على الفرخى السجستانى » . . . كما قرأ كثيرا من منشآت فحول أهل الأدب ومؤلفاتهم مثل رسائل « نصر بن حسن المرغينانى » و « أبى الحسن محمد الأهوازى » و « أبى الفضل أحمد بن الحسين بديع الزمان الهمذانى » و « الصاحب أبى القاسم اسماعيل ابن عباد » وتأليفات « أبى منصور عبد الملك بن محمد الثعالبى النيسابورى » و « أبى الطيب على بن الحسن الباخرزى » و « جار الله الزمخشرى » . . . فكان ذلك مما ساعده على أن يأخذ من هذه الدواوين والرسائل والمؤلفات كثيراً من الأمثلة التى أوردها فى « حدائق السحر » . وقد اقتبس الجزء الهام من شواهده العربية من كتاب « يتيمة الدهر » للثعالبى ومن كتاب « دمية القصر » للباخرزى . ولا بد أنه نظر أيضاً فى كتب المعانى والبيان العربية لأنه يشير إلى ذلك فى بعض المواضع إشارة مختصرة يسيرة[1] .

وكان رشيد الدين يعترف بالفضل للمتنبى وأبى فراس والبحترى من بين شعراء العربية ، وقد استشهد بالمتنبى فى واحد وعشرين موضعاً واعتبره أستاذاً لشعراء العرب وأشعر شعرائهم ونظيراً للعنصرى بين شعراء الفرس[2] ، ثم قال عنه عند الحديث على « الكلام الجامع » :

---

(١) حدائق السحر ص ٨٣ من النص الفارسى

(٢) حدائق السحر ص ٨٢ من النص الفارسى

« أن له اليد البيضاء والطريقة الزهراء فى هذا الفن(1) » .

كذلك اعتبر « أبا فراس » والبحترى مبرزين بين شعراء العرب فى صناعة الشعر السهل الممتنع(2) .

وفيما يختص بأدباء الفرس ، نجد أن الوطواط استشهد بكلام «العنصرى» أكثر مما استشهد بكلام غيره من الشعراء ، فذكره فى ستة عشر موضعا ، كان ينقل فى أكثرها كلامه فى أثر كلام المتنبى . وكان يعتبره أستاذاً لشعراء الفرس فى قول القصائد والمدائح ويقول عنه إن مكانته عند الفرس فى هذا الفن كمكانة المتنبى عند العرب(3) .

ثم ينقل الوطواط بعد ذلك كثيراً من الأمثلة عن « الأمير مسعود بن سعد » فيستشهد بكلامه فى عشر مواضع ، ويعترف بتبريزه فى صنعة « الكلام الجامع » فيقول إن أكثر أشعاره من هذا النوع وخاصة ما قاله منها أثناء حبسه ، ثم يعترف بأن أحداً من شعراء العجم لا يرقى إلى فنه ، لا من حيث جودة المعانى وحسنها ، ولا من حيث رقة الألفاظ ولطفها(4) .

وكذلك يستشهد الوطواط بأشعار أمير الشعراء « معزّى » فى ثمانية مواضع . . . أما رأيه فى شعر « الأمير أبى الحسن على الفرخى » فكان طيبا . . . وهو وإن ألف كتاب حدائق السحر ليعارض به كتاب ترجمان البلاغة ، إلا أنه اعترف صراحة للفرخى بأنه ممتاز بين شعراء الفرس فى صنعة « السهل الممتنع » . . . بل أكثر من ذلك أنه ختم كتابه باسم « الفرّخى » وجعله دليلا للسعادة كمعناه بالفارسية(5) .

ومن ناحية أخرى ، ذكر الوطواط ثلاثين شاعراً من الشعراء الذين سبقوه كانت كثرتهم من فحول شعراء إيران مثل « الرودكى » و « الدقيقى » و « المنطقى » و « الفرخى » و « معزى » و « قطران » و « مسعود » و « العنصرى » و « زينبى » و « منوچهرى » و « عسجدى » و « غضايرى » و « أبو الفرج الرونى » و « أسدى » و « ناصر خسرو » و « عمعق » .

وذكر كذلك جماعة من الشعراء ضاع ما نعرفه عنهم ، ولم يرد لهم ذكر إلا فى كتابه مثل « الأمير على بوزى تكين » و « الأنبارى » و « خورشيدى » .

وذكر أيضاً أمثلة لشاعرين من أقدم شعراء الفرس هما : « أبو العلاء الششترى » و « محمد بن عبده » فكان عونا على إحياء ذكرهما ومعرفة بعض آثارهما لأن الأول منهما لم يذكر إلا فى «فرهنگ أسدى» وفى قطعة من أشعار « منوچهرى » ، وأما الثانى فلا ذكر له إلا فى كتاب « چهار مقاله » .

---

(1) نفس المرجع والصحيفة (2) نفس المرجع ص ٨٧ (3) نفس المرجع ص ٣٢
(4) نفس المرجع ص ٨٢ (5) نفس المرجع ص ٨٧

ولكن مما يدعو إلى الدهشة حقاً أن الوطواط لم يذكر قط فى «حدائق السحر» اسم «الفردوسى» أو اسم «سنائى» ، وهما كما نعلم من أكبر شعراء الفرس ، وربما كان السبب فى ذلك ظاهرا فيما يختص بسنائى ، فقد كان الوطواط لا يعتقد فى كلامه أو فنه . وقد فسرنا ذلك فى موضعه[1] . وأما فيما يختص بالفردوسى فسبب إهماله غير ظاهر وغير مفهوم .

ولم يستشهد الوطواط مطلقاً بكلام أحد من معاصريه . وقد كان وثيق الصلة بالخاقانى وأديب صابر وتراسل معهما كثيراً ، ولكنه مع ذلك لم يستشهد بأشعارهما ؛ وكان حاله كذلك مع غيرهما من شعراء عصر «سنجر» كالأنورى الذى كان معارضاً له وعبد الواسع الجبلى وغيرهما من الشعراء .

ولم يذكر رشيد الدين من الشعراء الذين مدحوا «السلطان سنجر» إلا أمير الشعراء «معزى» المتوفى سنة ٥٤٢ ، و«عميد كمالى» وأمير الشعراء «شهاب الدين عمعق البخارى» المتوفى سنة ٥٤٣ ، فهؤلاء الثلاثة هم آخر من ذكرهم فى كتابه حدائق السحر .

* * *

تاريخ تأليف حدائق السحر

لا نعلم على وجه اليقين اسم الملك الذى ألف له رشيدُ الدين كتابَه حدائق السحر ، ولكن القرائن تدل على أن تأليفه كان فى عهد «ايل أرسلان بن أتسز» ٥٥١ — ٥٦٨ هـ ذلك لأن رشيد الدين عند ما ذكر «أتسز» فى مقدمة كتابه دعا له بقوله : «نور الله مضجعه» ، ثم اتبع ذلك بقوله : «إن عقود الفضل كانت منتظمة على أيامه كما كانت أبنية الجهل متهدمة» . ويستفاد من هذه العبارات أنه وإن كان «أتسز» هو الذى دل رشيد على «كتاب ترجمان البلاغة» ، إلا أن رشيد الدين لم يفرغ من إتمام كتابه الذى يعارض به هذا الكتاب إلا بعد موت «أتسز» وتولية ابنه «إيل ارسلان» .

وهناك قرينة أخرى تساعدنا على إثبات ذلك تفسيرها كالآتى :

ذكر رشيد الدين فى متن حدائق السحر بيتاً من الأشعار قاله عند إبعاده عن خدمة «أتسز» .

در خدمت تو اسب معالى بتاختم   وز نعمت تو نرد امانى بباختم[2]

وهذا البيت جزء من «تركيب بند» ذكرنا جزءاً منه فيما سبق ومطلعه كالآتى :

---

(١) ارجع إلى ص ٤٠ من هذه المقدمات

(٢) هذا البيت مذكور فى ص ١١ من الأصل الفارسى ومعناه :

— لقد سقتُ جواد المعالى فى خدمتك ، ولعبتُ نرد الأمانى فى نعمتك

اى شاه در فنون معالى مميّزى   انواع فضل را سبب وأصل حيّزى[1]

ولما كان « أتسز » قد أبعد رشيد الدين عن خدمته فى سنة ٥٤٧ هـ ، فمن المؤكد أن تأليف حدائق السحر غير متقدم على هذا التاريخ .

وإذا لاحظنا أن رشيد الدين قد عاد إلى خدمة أتسز فى نفس السنة التى أقصى فيها أو فى السنة التالية لها وبقى فى خدمة مولاه إلى حين وفاته فى سنة ٥٥١ هـ ، واستمر يصاحبه طوال هذه المدة فى غزواته التى أراد بها تسخير ممالك سنجر ، وذكر لنا صراحة أنه خرج فى صحبته فاجتاز المفازة بين خوارزم وخراسان فى منتصف ذى الحجة سنة ٥٤٨ ، ولاحظنا أنه دائم الشكوى من مصاعب السفر والانتقال ومصائب الحرب والقتال ، وأن إدارته لأمور الديوان لم تترك له مجالا للتأليف والتصنيف[2] ، ولاحظنا كذلك أنه كان ضعيفاً قد تقدمت به السن كثيراً على عهد سلطانشاه (٥٦٨ — ٥٨٩) ، وأضفنا ذلك كله إلى ما بيناه سابقاً من أنه لم يذكر فى حدائق السحر أحداً من الشعراء الذين عاشوا بعد أواسط القرن السادس الهجرى ؛ فإن هذه الملاحظات جميعها ترجح احتمال تأليف حدائق السحر أثناء الفترة التى تولاها السلطان « ايل أرسلان » ، أى فيما بين سنتى ٥٥١ و ٥٦٨ هجرية .

* * *

تقليد حدائق السحر وتفسيره

انتشر كتاب حدائق السحر وذاع صيته ، فأخذ أدباء الفرس يقبلون عليه فيطبقونه ويفسرونه ويقلدونه ، لما عرف عن رشيد الدين من علو المنزلة فى الأدب والإنشاء ، ولما عرف عن كتابه من حسن التأليف ولطف الموضوع .

وكان الشعر الفارسى فى ذلك الوقت آخذاً فى التدهور والانحراف عن الجادة التى اتبعها فصحاء الفرس الأولين ، وأخذ أغلب الشعراء فى التصنع والتكلف وعدم القول على السجية والطبيعة ، فكان ذلك سبباً من أهم الأسباب فى العناية بالصناعات البديعية ، حتى إذا كان القرن السابع والثامن ظهر جملة من الشعراء كانت جل عنايتهم ، فيما عدا القليل منهم ، مصروفة إلى إنشاء الأشعار المصنوعة التى تتضمن كثيراً من الصناعات اللفظية والمعنوية ، حتى ليمكن أن نقول إن هؤلاء قد انحرفوا بالشعر الفارسى الجميل عن رقة السبك التى امتاز بها الرودكى والدقيقى وشعراء الدولتين الغزنوية والسلجوقية .

---

(١) انظر ص ١٤ من هذه المقدمات ، ومعنى المطلع هكذا :
— أيها الملك أنت مميز فى فنون المعالى ، وأنت سبب وأصل وحيز لأنواع الفضل
(٢) مجموعة الرسائل العربية ص ٤٣ — ٤٥

وظهر منذ منتصف القرن السابع الهجرى جملة من الشعراء قضوا أعمارهم فى إنشاء البديعيات والقصائد المصنوعة والملونة ، وقد استطاعوا بقوة علمهم ، وسيطرتهم على فنهم ، وصبرهم على احتمال كثير من المصاعب والمتاعب ، أن ينظموا أشعاراً كثيرة فى مثل هذه الموضوعات ؛ ولكن من أسف أن أقوالهم جميعها خالية من الرقة والعذوبة والفائدة الأدبية . وفيما يلى نفر من أشهر هؤلاء الناظمين :

١ — قوامى الكنجوى

هو فخر الدين قوامى المطرزى الكنجوى ، من الشعراء الذين عاشوا فى أواخر القرن السادس الهجرى . وقد نظم قصيدة مصنوعة باسم « بدائع الأسحار فى صنائع الأشعار » .

٢ — ذو الفقار

هو السيد قوام الدين حسين بن صدر الدين على الشروانى المتخلص بـ « ذو الفقار » من شعراء النصف الأول من القرن السابع الهجرى ، صاحب قصيدة مصنوعة باسم « مفاتيح الكلام فى مدايح الكرام » أهداها إلى الصدر السعيد الماسترى من وزراء شروان فوصله بسبعة أحمال من الحرير الإبريسم كما يقول دولتشاه[1] .

٣ — بدر الجاجرمى

من شعراء « صاحب الديوان » المقتول فى سنة ٦٨٣ ، وابنه بهاء الدين محمد بن شمس الدين الجوينى المتوفى سنة ٦٨٧ ، وقد مدح هذا الشاعر « بهاء الدين » بكثير من القصائد المصنوعة التى يمكن قراءتها على أوجه مختلفة . وكثير منها موشحة أو مكررة أو من ذوات القوافى المتعددة .

٤ — شرف الدين القزوينى

هو شرف الدين فضل الله الحسينى القزوينى المتوفى فى حدود سنة ٧٤٠ هـ : وهو صاحب التاريخ المعروف باسم « المعجم فى آثار ملوك العجم » ، وله قصائد مصنوعة من جملتها قصيدته المسماة : « نزهة الأبصار فى معرفة بحور الأشعار » .

---

(١) انظر تذكرة الشعراء ص ١٢١

٥ — شمس فخرى الأصفهانى

من شعراء القرن الثامن وهو مؤلف القاموس المعروف باسم « معيار جمالى » وصاحب القصيدة المسماة « مخزن البحور » .

٦ — سلمان الساوجى

هو خواجه سلمان الساوجى ٧٠٩ — ٧٧٨ هـ صاحب القصيدة المصنوعة باسم « صرح ممرّد » جعلها تقليداً لقصيدة « السيد ذو الفقار الشروانى » .

٧ — أهلى الشيرازى

أنشأ قصيدة على نمط قصيدة سلمان الساوجى وأسماها « مخزن المعانى » ، وأرسلها من شيراز إلى الأمير عليشير نوائى بمدينة هرات ، وهو من رجال القرن العاشر الهجرى وتوفى فى سنة ٩٤٢ هـ .

ومثل هؤلاء جماعة آخرون من الشعراء أنشأوا كثيراً من القصائد على هـذا النمط والشكل .

* * *

أما ما كتب تقليداً أو تفسيراً لحدائق السحر فكثير أيضاً ، ولو ذكرناه بجملته لطال بنا الحديث وتشعب ، ومن أجل ذلك فنحن نقتصر فيما يلى على الإشارة إلى أهم الكتب التى وضعت فى هذا الموضوع :

١ — المعجم فى معايير أشعار العجم

تأليف شمس الدين محمد بن قيس الرازى فى أوائل القرن السابع الهجرى ، ويشتمل على الفنون الثلاثة المتعلقة بالعروض والقافيـة والصناعات الشعرية . وقد استمد مؤلف المعجم أكثر شواهده فى الجزء الثالث المتعلق بالصناعات الشعرية من كتاب حدائق السحر ، فجعله من أهم مصادره ومراجعه .

٢ — دقائق الحدائق (١)

تأليف « شرف الدين حسن بن محمد رامى التبريزى » مؤلف كتاب « أنيس العشاق » ،

(١) انظر فهرست المخطوطات العربية والفارسية والتركية بمدينة فينا ص ٢١ (Kraft's Cat)

وقد أهداه إلى الأمير شيخ أويس الايلكانى (٧٥٧ — ٧٧٦)، وقال فى مقدمته ما يلى :

« ... در اثنای بنده پروری بندگی حضرت سلطنت پناه خلد الله ملکه فرمود که رشید الدین وطواط قصیده ای مرصع در حدائق السحر گفته ، ومدعای او آنست که از اول تا آخر مرصع است ، ومفاخری نموده که در عرب وعجم کسی چنین قصیده انشاء نکرده است ، کنون بر تعریضی که او کرده است چه گوئی که جز مصارع مطلع مرصع نباشد . . بساط حضرت بوسیده گفتم : که حقا که نظر دقیق شاهد چنین نکته تواند بود ، وبتصدیق این ایراد از ناقلان خبیر وناقدان بصیر استماع افتاده که کتاب حدایق مجمل است وبتفصیل احتیاج دارد . فرمان جهان مطاع بشرحی مفصل نفاذ یافت ، واجب شد نسخه ای مشتمل بر امثله واشعار پارسی که در این عهد متداول است مسمی حقائق الحدایق مرتب گردانیدن والفضل للمتقدم .. »(١)

٣ — رقائق الشعر

تأليف « على بن محمد » المشتهر بـ « تاج الحلاوى » من شعراء القرن الثامن الهجرى . ويقول فى مقدمته :

« . . . بنده ضعیف نحیف علی بن محمد المشتهر بتاج الحلاوی ، احلی الله حلواه ، واحسن احواله را بر علم دقایق شعر عبوری افتاده بود ، وبر فن حقایق نظم عثوری حاصل شده ، بواعث همت ودواعی نهمت بعضی از مخادیم واصحاب تربیت تحریض نمود بر ساختن مجموعه ای که مستجمع مصنوعات دری ومستودع ابیات پارسی باشد ، اگرچه بزرگان در استحداث این انواع تطویل کرده اند ، ودر استخراج این اقسام اطناب نموده ، ورسوم وقوانین نهاده ، ودر آن معانی داد بیان دادند چنانکه مصنف کتاب حدائق السحر أستاذ رشید الدین الوطواط که مبارزان میدان ادب ومبرزان دیوان هنر اورا واضع قوانین این مناهج ورافع الویهٔ این مسالك دانند ، ودر نظم ونثر اورا ، قدرتی ظاهر وقوتی وافر

(١) الترجمة : « فى أثناء خدمتى للأمير خلد الله ملكه ، قال لى : إن رشيد الدين الوطواط أورد قصيدة مرصعة فى حدائق السحر وادعى أنها مرصعة من أولها إلى آخرها ، وفخر بأن أحدا من العرب أو العجم لم ينشد مثل هذه القصيدة ، فماذا تقول فى دعواه وليس المرصع من قصيدته إلا مطلعها بمصراعيه ... فقبّلت الأرض أمام الأمير وأجبته أن النظر الدقيق يمكن أن يكون شاهدا على صحة رأيه ، وأنى سمعت تصديقا على ذلك آراء الناقلين الخبيرين والناقدين البصيرين بأن كتاب حدائق السحر مجمل يحتاج إلى تفصيل .. فصدر أمره المطاع بكتابة شرح مفصل له ، ومن أجل ذلك رأيت واجبا على أن أقوم بترتيب نسخة مشتملة على الأمثلة والأشعار الفارسية المتداولة فى هذا العهد وأسميتها حقائق الحدائق والفضل للمتقدم ... »

شناسند ، اما سبب این مستشهدات که در این زمان غیر مصطلح ولغات وابیات که در این وقت غیر متداول است بیشتر خاطر ظرفا از تـکرار آن ملول گشته ونفرت گرفته ، این بندهٔ فقیر بنابر آنکه لـکل جدید لذة از اطا . . شمار استادان التقاطی کرد ، واز خرمن ایشان خوشه ای بر چید ، وآنچه در این باب از آن چاره نباشد ، وسخن شناسان ماهر اختیار کرده اند ، اعتبار کرد : لا تطویل ممل ولا تقصیر مخل . وفصلی چند جدا در معرفت ف. از جناس شـعر ودانستن عیوب قوافی وأوصاف نا محمود ردیف این مجموع ساخت ، و این بضاعت مزجات ونقد بی ارج را دقایق الشعر نام کرد .. »[1]

٤ — بحر الصنايع

نظمه شاعر اسمه « حسن » فی سنة ٧٣١ هـ ، جعل فيه علم البديع فی منظومة فارسية تشتمل على تعريف الصناعات المختلفة وإيرادالأمثلة عليها . وقد استشهد بأشعار أغلب الشعراء حتى بأشعار « سعدی » و « سلمان الساوجی » الذی لم يكن يزيد على الثانية والعشرين من عمره وقت تأليف هذا الـكتاب . وقد جاءت أشـعاره ركيكة واهية ولم نذكره إلا لغرابة أسلوبه ، وفيما يلی فصل من بداية هذا الـكتاب مرتبط بموضوع بحثنا[2] :

شبی در خـــلوتی بودم مفکر زبان فـکر در معــــنی مذکر
نـگه کردم بأنواع تآلیف نظر کـردم بأصناف تصانیف

---

(١) الترجمة : « . . . عبرت أنا العبد الضعيف النحيف علی بن محمد المشتهر بتاج الحلاوی — أحلى الله حلواه وحسن أحواله — بعلم دقائق الشعر وحصّلت ما استطعت من فن حقائق النظم ، فحرضنی بعض من أخدمهم ممن لهم الفضل فی تربيتی على أن أقوم بعمل مجموعة مستجمعة المصنوعات الدرية البليغة ، محتوية للأبيات الفارسية الفصيحة ، وقد سبقنی كبار الأفاضل فی استحداث هــذه الأنواع وأطنبوا فی استخراجها ووضعوا لها الرسوم والقوانين ويدونوها ما سمح لهم البيان كما فعل رشـيد الدين الوطواط مصنف كتاب حدائق السحر فقد اعترف له البارزون فی ميدان الأدب والمبرزون فی ميدان الفضل بأنه واضع القوانين فی هذه المناهج ورافع الألوية فی هذه المسالك وأن له قدرة ظاهرة وقوة وافرة على النظم والنثر ، ولـكن شواهده غير مصطلح عليها فی هــذا الزمان ، وألفاظه وأبياته غير متداولة فی هــذا الوقت فكان هذا كله سبباً فيما نحس به الخواطر من ملل ونفور عند سماعها وتـكرارها . وقد رأى هذا العبد الفقير صدق المثل القائل بأن لـكل جديد لذة ، فأخذ يجمع لطائف أشعار الفحول من الشعراء ويقتطف السنابل من بيادرهم ، ويضم ما لا يمكن أن يستغنى عنه فی مثل هذا الموضوع مما اختاره الأدباء والخبراء ، فجعل منها مجموعة ليس فيها شیء من التطويل الممل أو التقصير المخل ، ثم أتبع هذه المجموعة بفصول قليلة فی معرفة أجناس الشعر ومعرفة عيوب القوافی ، وأطلق على هذه البضاعة المزجاة والنقد التافه اسم « دقائق الشعر ... »

(٢) ترجمة الأبيات :

— فی ليلة كنت أفـكر وأنا فی خلوة ، وكان لسان فـكری مذكراً بمعانی صدری

— فتأملت أنواع التاليف ، ونظرت فی أصناف التصانيف

همی چیدم گل از باغ قدیمان   همی جستم نوای عندلیبان
در آن حالت ز بستان رشیدی   شنیدم بانگ مرغ من یریدی
که در عالم حدایق سحر باشد   چو شعری بر عروسان شعر باشد
نهادم دست دل را بر حدایق   نظر بردم بدان باغ دقایق
بهر شاخی هزاران دست دیدم   ز هر مرغی هزار آوا شنیدم
. . . .

در آن ساعت خرد گفتا : حسن خیز   براق خود در این میدان بر انگیز
مخواه از هیچ خانه شربت آب   منوش از کاسهٔ کس بادهٔ ناب
بساز از ذهن خود چیزی در این فن   که بادت آفرین بر ذهن روشن
حدودش را بطور مثنوی آر   همه ألفاظ نغز ومعنوی آر
غزلها گو بأمثالش سراسر   که با تو می نباشد کس برابر
اگرچه بد درین فن چست وطواط   چنانکه اندر علوم نبض بقراط
ولی وطواط مرغی بس حقیر است   بچنگ همچو تو بازی اسیر است
مگو کین دعوی من بس عظیم است   که فوق کل ذی علم علیم است
بنه نام خوشش «بحر الصنایع»   ادیبا نرا بده گنج بدایع

* * *

— وقطفت الورود من بساتين القدماء ، وتطلعت إلى سماع العنادل تشدو بالغناء
— فسمعت طائرا وأنا في حديقة رشيد الدين يتغنى قائلا على من يريدنى
— أن « حدائق السحر » في هذا العالم كالشعرى تزدان بها عرائس الشعر
— ومن أجل ذلك وضعت قلبي على الحدائق ونظرت ما بها من دقائق
— فرأيت على كل غصن آلاف الأفنان والورقات ، وسمعت من كل طير آلاف الألحان والنغمات
— ... ...
— حينذاك خاطبنى العقل قائلا : قم يا حسن واركب براقك فى هذا الميدان
— ولا تطلب فى منزل أحد جرعةً من الماء ، ولا تشرب فى كأس غيرك الخمر الصافية
— واصنع شيئا في هذا الفن بذهنك الوقاد ، بحيث يبقى الاستحسان لذهنك النير
— واجعل حدود ما تصنع فى شكل مثنوى ، واجعل ألفاظه لطيفة المعنى والمبنى
— واملأه بالغزل بأجمعه ، بحيث لا يباريك أحد فيما تقول
— والوطواط مبرز فى هذا الفن تبريز بقراط فى علوم الطب
— ولكن الوطواط طائر حقير ، وهو أسير فى مخلب صقر مثالك
— فلا تقل إن دعواى هذه عظيمة ، لأن فوق كل ذى علم عليم
— واجعل عنوان كتابك الجميل « بحر الصنائع » واعط به للأدباء كنوزَ البدائع

٥ — تأليفات المشهدي

وهي عبارة عن تأليفات الأمير السيد برهان الدين عطا الله بن محمود المشهدي المتوفى في سنة ٩١٩ هـ . وعلى الخصوص كتاباه اللذان أهداهما إلى الأمير عليشير نوائي وأحدهما معروف باسم « بدايع الصنايع » أكمله في سنة ٨٩٤ هـ ، والثاني معروف باسم « تكميل الصناعة » . وقد كرر المؤلف فيهما شواهد « حدائق السحر » ، واستشهد فيهما بكثير من أقوال رشيد الدين.

٦ — شرح مفصل لحدائق السحر

بقلم ميرزا أبو القاسم فرهنگ (١٢٤٢ — ١٣٠٩) ، وهو الابن الرابع لـ « ميرزا كوچك وصال الشيرازي » . وقد ألف هذا الشرح في سنة ١٢٩٧ ، وقد رأيت نسخة خطية منه في طهران مكتوبة بخط المؤلف تشتمل على ثلاث وخمسين ومائتين من الصفحات

* * *

وفيما عدا الكتب التي ذكرناها آنفاً ، هناك جملة من المؤلفات الأخرى كتبها أصحابها تقليداً لحدائق السحر ، أو متضمنة لبعض أبوابه ، حتى ليمكن أن نقول في اطمئنان : أن جميع من تعرضوا للتأليف في موضوع الصناعات البديعية اعتمدوا على كتاب « حدائق السحر » وجعلوه من أهم مصادرهم ومآخذهم .

* * *

طبعات حدائق السحر

طبع هذا الكتاب فيما يعلم كاتب هذه السطور خمس مرات ، مرتين على حدة ، وثلاث مرات مضموما إلى كتب أخرى :

١ — طبع طهران على الحجر بخط نستعليق جميل بتاريخ ١٢٧٢ هـ . وبه أغلاط ولكنه أجمل الطبعات .

٢ — طبع طهران على الحجر في سنة ١٢٩١ هـ بانضمام « منتخب اللغات » تأليف رشيدي وقد اكتفى الناشر بتلخيص كتاب حدائق السحر(١) .

٣ — طبع طهران على الحجر في سنة ١٣٠٢ بانضمام ديوان « ميرزا حبيب قاآني الشيرازي » وغزليات « ميرزا عباس فروغي البسطامي »(٢) .

---

(١) إنظر فهرست الكتب الفارسية المطبوعة بالمتحف البريطاني ، رقم ٣٧

Edward : A Cat. of Pers. printed books in the British Museum.

(٢) نفس المرجع رقم ٢٣٨

٤ — طبع طهران على الحجر بخط نستعليق بتاريخ ١٣٢١ هـ .

٥ — طبع بمباى سنة ١٣٢٢ فى أثر كتاب « منتخب اللغة » مع حذف المقدمة والأمثلة العربية ، وهو كثير الأغلاط لا يساوى شيئاً كغالب الكتب الفارسية المطبوعة فى الهند .

وقد تصور طابع هذه النسخة أن كتاب « منتخب اللغة » من تأليف رشيد الدين الوطواط أيضاً ، ومن أجل ذلك فقد جمع الاثنين معاً فى نشرة واحدة . والحال أن الكتاب المعروف باسم « منتخب اللغات الشاهجانى أو الرشيدى » ، هو من تأليف « عبد الرشيد الحسينى التتوى »[1] صاحب « فرهنگ رشيدى » ، وقد ألفه فى سنة ١٠٤٦ هـ ، وأهداه إلى « شاه جهان » أمبراطور المغول فى دهلى (١٠٣٧ — ١٠٦٨) .

وقد جار الناشر على هذا الكتاب لحذف مقدمته وأنقص متونه وحواشيه .

* * *

النسخة الخطية بالمكتبة الأهلية بباريس

النسخة التى قررتُ طبعها من كتاب حدائق السحر ، هى النسخة الخطيـة المملوكة للمكتبة الأهلية بباريس والموجودة ضمن مجموعة صغيرة تحت رقم ١٠٤٥ من ملحق المخطوطات الفارسية[2] فيما بين الورقة ٢٨ « ب » والورقة ٧٢ « ب » .

وهذه النسخة[3] تاريخها السابع من شعبان سنة ٦٦٨ . أى بعد موت الوطواط مؤلفها الأصلى بما يقرب من خمس وتسعين سنة . فهى بذلك أقدم نسخة فيما أعلم من كتاب حدائق السحر .

وغالب كلمات هذه النسخة مُعْربة ومنقحة ومصححة ، ولكن ورقتين من وسطها قد ضاعتا للأسف ، فأما الورقة الأولى فهى التى تشمل النص الفارسى المطبوع بين قوسين فى الصحيفة الأولى سطر ١٢ إلى الصحيفة الثالثة سطر ١٨ من طبعتى الحاضرة ، وأما الورقة الثانية فتشمل المطبوع بين قوسين فى الصحيفة ١١ سطر ١٥ إلى الصحيفة ١٣ سطر ١٥ ، وقد نقلنا محتويات هاتين الورقتين من نسخ أخرى[4] .

وبالإضافة إلى هذا القدر القليل الضائع الذى لا يعتبر شيئاً بالمقارنة إلى حجم الكتاب كله ، فإن نسخة باريس غير مرتبة ، مما نتج عنه أن بعض أوراقها الأولى استقرت خطأ

---

(١) انظر فهرست المخطوطات الفارسية بالمتحف البريطانى تصنيف « ريو » ج ٢ ص ٥١٠ .

(٢) انظر Supplement Persan 1405

(٣) نشر الأستاذ عباس إقبال صورة بالفتوغرافيا للصحيفة الأولى من هذه النسخة وصورة للصحيفة الأخيرة منها

(٤) هذا واضح فى الأصل الفارسى ولم نر حاجة إلى بيانه فى الترجمة العربية

فى نهاية الـكتاب ؛ وقد رقمّها إدارة المـكتبة الأهلية على هـذا النظام الذى وجدتها به ، فتركناها نحن على حالها فى هذه الطبعة بأرقامها المسجلة عليها .

وترتيب النسخة صحيح من الورقة ٤٣ « ب » إلى آخر الـكتاب ، وصفحاتها سليمة لا خرم فيها ، ولـكن الأوراق الأربع الرقيمة : ٣٩ و ٤٠ و ٤١ و ٤٢ ، مكانها الأصلى فى بداية الـكتاب ، وكان من الواجب وضعها بعد الصحيفة الأولى منه وهى الرقيمة ٢٨ « ب » بحيث يصبح ترتيب الأوراق على هذا النسق :

الورقة ٤٢ ثم الورقة ٤١ ثم الورقة ٤٣ ، ثم الورقة الأولى المفقودة ، ثم الورقات من ٢٩ — ٣٩ ثم بقية الـكتاب .

***

وكتاب حدائق السحر ، صغير الحجم ولـكنه مشتمل على بعض الخصائص اللغوية والصرفيـة والنحوية وعلى طائفة من المصطلحات كانت مستعملة فى لغة العصر الذى ألف فيه ، ولـكنها أصبحت الآن مهملة متروكة ، وكذلك تشتمل نسخة باريس لقدم عهدها على بعض قواعد الإملاء والـكتابة التى لم تعد متداولة فى أيامنا هذه ، ولـكننا فضلنا تركها على أصلها فى هذه الطبعة الحاضرة .

وفيما يلى أهم خصائص رسم الخط وقواعد الإملاء المتبعة فى النسخة المذكورة :

١ — فرقت النسخة فى جميع المواضع بين الدال المهملة والذال المعجمة ، فـكتبتها معجمة على حسب القاعدة القديمة بينما نحن نتلفظ بها الآن دالا مهملة .

٢ — كتبت لفظة « كه » الموصولة فى جميع الأماكن هكذا : « كى »

٣ — لم تلحق الهاء الغير ملفوظة بالـكلمات الآتية : « هركه »و« هرچه » و « آنـكه » و « آنچه » و « چونـكه » و « هر آنچه » و « چنانـكه »، بل كتبت هذه الـكلمات هكذا :

هرك	... فى ص ٤٠ و ٧٥	هرج	... ص ٧٧
جونك	... فى ص ٤٩	آنج	... ص ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٢
هرانج	... فى ص ٧١	آنك	... ص ٧٥
جنانك	... ص ٧٢ ، ٨٧		

وألحقت الهاء نادراً بهذه الـكلمات فـكتبت « هركه » بإلحاق الهاء بها فى الصحيفة ٤١

٤ — إذا ألحق ضمير « ش » بكلمة ، فإن ما قبل الشين مكسور دائماً ، وهـذا هو التلفظ القديم الصحيح ، وقد أثبتت ذلك صراحة النسخ المعربة القديمة المـكتوبة فى القرنين السادس والسابع ، واتبع الشعراء هذه القاعدة ، فقال الشاعر :

هر شب بر آید از دو بنا گوشش خرشید وگل گرفته در آغوشش
رخسار او ز باغ سمن دزدید آنك همی زند دو سیه پوشش
با عشق او صبوری کتواند با چرخ بر شده که کند کوشش(١)

٥ — الحروف الفارسية . پ ، چ ، ژ ، گ كتبت بصورتها العربية باء وزايا وجيما وكافا . ولكنها كتبت مثلثة النقط فى بعض المواضع ، وعلى الخصوص فى كلمة پارسى فإنها كتبت دائماً بباء فارسية ذات ثلاث نقط .

٦ — كلمة غلطيدن كتبت بالتاء بدل الطاء التى نستعملها الآن ، ص ٨٤ من الأصل الفارسى .

٧ — كتبت « ياء الخطاب » أو « ياء النكرة » بعد الهاء الغير ملفوظة على صورة الهمزة المفردة بعدها الياء (ءى) مثل « قطعه ءى » و « مهره ءى » . وكتبت أحيانا دون الياء مثل « خانهٔ » .

❁ ❁ ❁

أما الخصائص اللغوية الموجودة فى حدائق السحر فليست كثيرة لأن حجم الكتاب صغير ، وفيما يلى نذكر نتفة منها موجودة أيضاً فى الكتب الأخرى التى ألفت أيام تأليف حدائق السحر :

إلا كى وردت بمعنى جز اينكه : إلا ان ... ص ١٩ ، ٧٠
إلا « « جز : الا ، سوى ... ص ٨٥
بى از آن « « بى آن : بغير ذلك ... ص ٢٦
جه « « زيرا كه : لأن ... ص ٣٢و٤٢و٧٦
جه « « بلكه : بل ... ص ٧٧
افتادن « « زايل شدن ، مثل قوله : « جنانك شسنونده را تهمت وشبهت سرقه بيفتد » ... ص ٧٢

❁ ❁ ❁

(١) ارجع إلى المعجم فى معايير أشعار العجم ص ٢٩٤ ، وكذلك لباب الألباب ج ١ ص ٢٧٥ ، وحواشى راحة الصدور للراوندى ص ٤٨٢ . وترجمة عنه الأبيات هنا :
— فى كل ليلة يطلع الشمس والقمر حول صدغيه وقد أخذاه إلى أحضانهما
— وسرق خداه سنبل الطيب من البستان ، فمنه ماتأتى الطرفان السوداوتان
— فالذى يستطيع الصبر على عشقه ... كالذى يستطيع الجهاد مع الفلك الجامع ... !!!

رغما عدا ذلك فكتاب « حدائق السحر » يشتمل على بعض الاصطلاحات الفارسية التى استبدلت فيما بعد بعبارات عربية ، وهذه المصطلحات من أفصح الأقوال الفارسية القديمة ، وقد نسيناها الآن واستعملنا مكانها كلمات أخرى من العربية أو خلافها . مثال ذلك :

نمودار بمعنى نمونه : انموذج .. ص ٣ من الأصل الفارسى
باز بسين « آخرين : الآخير ... ص ٨ » »
پيشين « : قبل ... ص ١٩ » »
باشگونه او وازگونه بمعنى : مقلوب ومعكوس ... ص ١٦ و ٨٦ » »
دو رويه بمعنى موجّه : ... ص ٣٥ » »
بربند « وشاح : ... ص ٩٠ » »
درازنا « طول : ... ص ٦١ » »
پهنا « عرض : ... ص ٦١ » »
چهارسو « مربع : ... ص ٦١ » »
پاره پاره « مقطع : ... ص ٦٣ » »
پيوسته « موصل : ... ص ٦٤ » »
بخشش « تقسيم : ... ص ٧٦ » »

طهران فى شهر اسفند سنة ١٣٠٨ الهجرية الشمسية

القسم الثانى

كتاب
حدائق السحر فى دقائق الشعر

الترجمة العربية

للأصل الفارسى المطبوع بمطبعة المجلس فى طهران سنة ١٣٠٨ الهجرية الشمسية

ملحوظة : أبقينا الأمثلة الفارسية الواردة فى هذا القسم من الكتاب ، على حالها بإملائها القديم كما هى فى نسخة الأصل ، فلم نميز بين الباء العربية والفارسية « پ » ، ولا بين الجيم العربية والفارسية « چ » ، ولا بين الزاى العربية والفارسية « ژ » ، ولا بين الكاف العربية والفارسية « گ »

محتويات هذا القسم من الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة المؤلف

الحمد لله على ما أفاض علينا من نعمه المترعة الحياض ، ومننه المرعة الرياض ، والصلوة على خاتم أنبيائه ، وسيد أصفيائه ، محمد وآله الأبرار ، وأصحابه الأخيار .

وبعد يقول مؤلف هذا الـكتاب الأمير الإمام رشـيد الدين سعد الملك محمد بن محمد بن عبد الجليل الـكاتب ، إن الملك العادل « خوارزم شاه أتسز » نور الله مضجعه اسـتدعانى يوما من أيام دولته التى انتظمت فيها عقود الفضل وانهدمت فيها أبنية الجهل ، فأسرعت إلى تلبية أمره وأدركت سعادة خدمته ، فأطلعنى على كتاب فى معرفة بدايع الشعر الفارسى يسمونه : « ترجمان البلاغة » . فلما راجعته وجدت أن أبيات الشواهد المسطرة فى هـذا الـكتاب غير مستطابة ، وأنها جميعها متـكلفة النظم ، قد جمعت بطريق التعسف ، وأنهـا بالإضافة إلى ما بهـا من تـكلف وتعسف ، لا تخلو من أنواع الزلل وأصناف الخلل ، فرأيت من الواجب على — أنا الناشئ فى هـذه الأعتاب — أن أكتب هذا الـكتاب فى معرفة محاسن النظم والنثر فى كلتا اللغتين العربية والفارسية . وجميع ما أوردته فيه ، إن هو إلا غيض من الفيض الحاصل لملك الإسلام خلد الله ملـكه وسلطانه[1] فى أقسام الفصاحة وأساليب البلاغة ، ولـكن خدمة أهل الفاقة لا تـكون إلا بقدر الوسع والطاقة .

وإذا تأخر بى الأجل ، وأمهلتنى الأيام ولم تمض على عجل ، ونفذ التقدير الربانى وفقاً للمراد الإنسانى ، فسأكتب كتابا آخر محيطا بجميع أنواع الشـعر شاملا للعروض والألقاب[2] والقوافى والمحاسن والمعايب ، بحيث يبقى به ذكر ملك السلام — ثبت الله دولته — مخلداً ومؤبداً ، وبحيث لا يستطيع امتـداد الدهور والأيام ، وتعاقب الشهور والأعوام ، محو آثاره أو التعفية على أخباره .

وقد سمّيت هذا الـكتاب « حدائق السحر فى دقائق الشعر » . . . وإنى أدعو الله عز وجل أن يعصمنا من الخطأ والزلل ، والخطل فى القول والعمل ، إنه الموفق للسداد ، والميسر للمراد .

---

(١) الظاهر أنه يشير هنا إلى ملك آخر غير « أتسز » أهدى إليـه كتاب حدائق السحر لأنه فيما سبق أشار إليه بقوله : « نور الله مضجعه » فلا يعقل أن يشير إليه ثانية بقوله : « خلد الله ملـكه »

المقصود بها أسماء الزحافات المختلفة . انظر كتاب « معيار الأشعار » تأليف « خواجه نصير الدين طوسى » طبع طهران ص ٢٥ — ٧٢ ، وكذلك كتاب « المعجم فى معايير أشعار العجم » ، [illegible] شمس قيس ، ص ٢٥ — ٤٥

١
الترصيع

الترصيع فى اللغة بمعنى وضع الجواهر وغيرها فى الذهب .

ومعناه فى أبواب البلاغة : أن يقسم الكاتب أو الشاعر عباراته إلى أقسام منفصلة ، ثم يجعل كل لفظ منها فى مقابل لفظ آخر يتفق معه فى الوزن وحروف الروى .

وإذا تحدثنا عن النثر فقلنا : « حروف الروى » فما ذلك إلا من باب التوسع ، لأن « حروف الروى » لا تكون فى الحقيقة إلا فى الشعر .

ومثال الترصيع فى القرآن المجيد : « إن الأبرار لفى نعيم ، وإن الفجّار لفى جحيم »
ومثال آخر فى القرآن : « إن إلينا إيابهم ، ثم إن علينا حسابهم »
ومثاله من الكلام النبوى : « اللهم أقبل توبتى ، واغسل حوبتى »
ومثاله من نثر الفصحاء : « من أطاع غضبه ، أضاع أدبه »
ومثال آخر : « العاقل يفتخر بالهمم العالية ، لا بالرمم البالية[1] »

وإذا شاء شخص أن يجد خزانة مليئة بالمرصعات فى النثر العربى ، وجب عليه أن يحصل على رسائل « أبى الحسن الأهوازى »[2] فإنها برمتها مرصعة ، وإنى أنقل إليك فصلا من كلامه على سبيل المثال :

---

(١) هذه العبارة من قول أبى الفتح البستى ؛ انظر يتيمة الدهر ، ج ٤ ، ص ٣٠٦

(٢) هو — بحسب قول « القزوينى » مؤلف « آثار البلاد » — صاحب كلام مرصع ، منفرد الأسلوب له رسائل طيبة . وقد أشار إليه « محمد عوفى » فى كتابه لباب الألباب فى الجزء الأول ص ٨٥ ، فقال عند ذكر منشآت القاضى عمر بن محمود البلخى أن « حميدى » صاحب « المقامات » . قال إن عمر يراعى جانب السجع ، كما يلتزمه « الأهوازى » فى النثر العربى ، وكما يلتزم « رشيد الدين الوطواط » جانب الترسل

والأهوازى هو أبو الحسن محمد بن الحسن (أو محمد بن الحسين) الأهوازى ، كان شاعراً وأديباً وكاتباً من المعاصرين للثعالبى صاحب « يتيمة الدهر »

ولم أظفر بشىء عنه إلا فى كتاب « المحمدون من الشعراء » تأليف القاضى جمال الدين القفطى صاحب كتاب « تاريخ الحكماء » ، وفى المكتبة الأهلية فى باريس نسخة خطية من هذا الكتاب تحت رقم (٣٣٣٥ عربى) مذكور فيها عن الأهوازى ما يستفاد منه أن محمد بن الحسن أو محمد بن الحسين الأهوازى ، وأنه كان سباقا فى ميدان البلاغة من بين الأدباء والكتاب والشعراء . وقد اتفق له الوصول إلى خراسان وذهب إلى جوزجان ثم إلى بخارى فأقام هنالك مدة لم يصل فيها إلى بغيته ومراده ، فلما قصد الصاغانيين أكرموا وفادته وأجزلوا له العطايا ، ثم اختاروه للوزارة فبقى يتولاها إلى أن مات

ومن تأليفاته « كتاب الدرر » وكتاب « القلائد والفرائد »

ويذكر « ياقوت » فى معجم الأدباء ج ٥ ، ص ٤٠٩ اسم أهوازى آخر هو أبو الحسن =

« الحمد لله الدائم بقاؤُه ، اللازم قضاؤُه ، الثاقب برهانه ، الغالب سلطانه ، الذى أيّد الدين بعد ما ولّت وُلاته ، واستوات عداته ، وتضعضت أركانه ، وتصعصعت أعوانه ، وانقضّت كواكبه ، وانفضّت كتايبه ، وذل نصيره ، وقل مجيره ، بغيث الحياء ، وليث القضاء ، وكنه الآمال ، ووجه الإبطال ، وقلب الإقدام ، وقطب الإسلام ، ولباب العلى ، ونصاب التقى ، الداعى إليه وصلواته عليه حمداً لا يفني مدده ، ولا يحصى عدده ، وإليه الرغبة فى الصلوة على مُجلِّى الغُمّة ، ومُنَجّى الأُمّة ، محمد وآله الطاهرين وأصحابه الزاهدين . . . »

ومثال الترصيع فى اللغة الفارسية : مادر مرده ، وچادر برده

ومعناه : ميته الأم مكشوفة النقاب لا مأوى لها

ومثـال آخر : مى نخورده ، وقى كرده

ومعناه : شرب الخمر وأخذ فى القىء

ومثال من الشعر العربى قول « أبى فراس »[١] :

وأفعاله بالراغبين كريمة وأمواله للطالبين نهابُ

ويقول « الغَزّى »[٢] :

أنا طالبى إن خفت سطوة ظالمى بل لاجئى إن عفت جفوة لائمى

ومن قولى بالعربية :

يا بانى الفخــر الأشمْ يا ثانى البحـــر الخضمْ
أنت المقـدّم فى الهدى أنت المعظم فى الأمم
مغناك للـــراجى حمًى وذراك للاّجى حـــرم
الليث دونك فى الوغى والغيث دونك فى الكرم
تُلْـفَى بحضرتك المنى تُنفى بغُـرتك الظلـــم

* * *

= الأهوازى ، ولكنه يضبط اسمه على أنه « على بن محمد » ، ويقول إنه رأى له كتابا فى علل العروض فى عشرة أجزاء . ولا شك أن هذا الأهوازى غير صاحب الترسلات والمنشآت المرصعة

(من تعليقات ناشر الكتاب)

(١) هو أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان الحمدانى الأمير والشاعر المعروف ، وقد قتل فى سنة ٣٥٧ هـ . والبيت الوارد هنا مذكور فى يتيمة الدهر للثعالبى ج ١ ص ٤٨

(٢) هو أبو إسحق إبراهيم بن عثمان بن محمد الغزى الكلبى من أهالى غزه توفى سنة ٥٢٤ هـ ، وهو من مشاهير الشعراء فى العصر الغزنوى ، مدح جملة من كبار خراسان وكرمان فاشتهر من أجل ذلك فى إيران

ويقول « الرودكى »[1] بالفارسية :

كس فرستاذ بسر اندر عيّار مرا   كى مكن ياذ بشعر اندر بسيار مرا

ومعناه : — فأرسل إلينا سراً أحد الأشخاص يقول لنا لا تذكرنا فى الشعر كثيراً

ويقول « المنطقى »[2] :

بر سخاوت او نيل را بخيل شمار   بر شجاعت او بيل را ذليل انكار

ومعناه : — اعتبر النيل بخيلا بالمقارنة إلى سخائه ، واعتبر الفيل ذليلا إلى جوار شجاعته وبلائه

وأقول بالفارسية :

اى منور بتو نجوم جلال   وى مقرر بتو رسوم كمال

بوستانيست صدر تو از نعيم   وآسمانيست قدر تو ز جلال

ومعناه : — يا من تنير بك نجوم الجلال ، وتقرر بك رسوم الكمال

— إن صدرك روضة النعيم ، وقدرك كأوج السماء من حيث الجلال

٢

الترصيع مع التجنيس

صناعة الترصيع رفيعة الشأن فى ذاتها ، ولكنها إذا اقترنت بعمل آخر مثل «التجنيس» فإنها تزداد علوا ورفعة شأن .

ومثال الترصيع مع التجنيس فى العربية :

قد وطئت الدهماء أعقابهم ، وخشيت الأعداء أعقابهم

ومثال آخر : الكؤوس فى الراحات ، والنفوس فى الراحات

ومثاله فى الفارسية : يار سر كشته ، وكار بر كشته

ومعناه : الصديق منحرف والحال مضطرب

---

(١) الرودكى : هو أبو عبد الله جعفر بن محمد الرودكى من ناحية رودك من أعمال سمرقند ، وهو أول من يُعتبر من كبار الشعراء فى إيران ، عاش أيام السامانيين ومدح أمراءهم وخاصة نصر بن أحمد السامانى . وقد نظم أيضاً كتاب كليلة ودمنة وقالوا أنه توفى سنة ٣٢٩ هـ

(٢) المنطقى : هو المنصور بن على الرازى من الشعراء المعاصرين للصاحب إسماعيل بن عباد (٣٢٦ — ٣٨٥ هـ) ، والظاهر أنه توفى بين سنة ٣٦٧ هـ وسنة ٣٨٠ هـ أى فى الفترة التى تقع بين ابتداء وزارة الصاحب بن عباد والسنة التى التحق فيها بديع الزمان الهمذانى بخدمة الصاحب بن عباد (انظر يتيمة الدهر ج ٤ ص ١٦٨ ، وكذلك لباب الألباب ج ٢ ص ١٦)

ويقول « المؤملي الـكاتب »[(١)] بالعربية :

لم نزل نحن فى سداد ثغور ... واصطلام الأبطال من وسط لام

واقتحام الأهوال من وقت حام ... واقتسام الأموال من وقت سام

ومن قولي :

جلالك يا خير الملوك مساعيا ... على منبر المجد المؤثل خاطبُ

فللخطة النكراء سَيْبُك دافعٌ ... وللخطة العذراء سيفك خاطب

ويقول بعض المتكلفين :

بيارم وكار زار وتو در مانى ... بيم آرم وكار زار وتو در مانى

كويم كى بر آتشم همى كردانى ... كويم كى بر آتشم همى كردانى

ومعناه : — أنا مريض والحرب أمامى وأنت مقصر عنى
وأنا خائف وحالى مضطرب ولـكنك علاجى

— وإنى أقرر لك أنى أصطلى بالنـار إذا علمت بحالى
وأقرر لك أنك أنت الذى تقلبنى على اللهيب

ويقول آخر :

فنان من همه زان زلف وغمزكان كى همى ... بذين زرّه بيرى ، وبذان زره بيرى

ومعناه : — إن جميع آلامي ناشئة من طرتك وغمزاتك ،
فإنك تقطع علىّ الطريق بطرتك ، وتسلب درعى بنظراتك

---

(١) مؤملى الـكاتب : هو أبو الحسن أحمد بن مؤمل المؤملى كاتب الأمير أبو الحسن فائق (المتوفى سنة ٣٨٩) ، ويعتبر بين شعراء خراسان وكتابها ، وكان معاصراً للثعالبي ، وقد ذكره فى « يتيمة الدهر » ج ٤ ص ٧٣ ، وأورد له نفس البيتين السابقين وقرنهما ببيت آخر قبلهما نصه كالآتى :

إن أسيافنا القضاب الدوامى ... تركت ملكنا قرين الدوام

ويروى صاحب « يتيمة الدهر » أنه ترجم بيتين للرودكى وبيتين آخرين للشاعر « معروف البلخى » من الفارسية إلى العربية ، ولـكن هذه الترجمة فقدت للأسف . وينقل « العتبي » فى « تاريخ اليمينى » خمسة أبيات ينسبها للمؤملى فى رثاء أبى القاسم محمد بن الفضل بن أحمد الاسفرائينى . وكان العتبي معاصراً للمؤملى ، وقد ذكره فى جملة مواضع باسم أبى الحسن المؤملى الـكاتب . (انظر « تاريخ يمينى » طبع لاهور ص ٢٧٠)

وقد ذكره « الباخرزى » فى « دمية القصر » فى ذيل شعراء نيسابور . وكان « المؤملى » معاصراً « للمقدسى » صاحب كتاب « أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم » ، وهو الـكتاب الذى ألفه على ما يظهر فى سنة ٣٨٧ هـ فى عهد سلطنة نوح بن منصور السامانى (٣٦٦ — ٣٨٧) ، (انظر ص ٤٢١ من كتاب أحسن التقاسيم)

٣

التجنيسات

وتكون هذه الصنعة بتشابه الكلمات بعضها بالبعض فى النطق أو فى الكتابة ، سواء فى النثر أو فى النظم .

والتجنيسات سبعة أقسام :

١ — تجنيس تام
٢ — تجنيس ناقص
٣ — تجنيس زايد
٤ — تجنيس مركب
٥ — تجنيس مكرر
٦ — تجنيس مطرف
٧ — تجنيس خط

* * *

١ — التجنيس التام

ويكون بوجود كلمتين أو أكثر متشابهة الصورة فى النطق والكتابة ، ولكنها مختلفة فى المعنى ، ويجب أن تكون هذه الكلمات متفقة فى التركيب وفى الحركات دون زيادة أو نقصان .

ومثاله : زاير السلطان كزاير الليث الزاير

المرأة السَّليطة حَيَّةٌ تسمى ما دامت حيّةً تسمى

ومثاله الفارسى : خور كت زيان دا رذ جندان مخور كت زيان دارذ

ومعناه : لا تأكل الأكل الذى يضرك فإنه يؤذيك

ومثله قول أبى الفتح البستى[١] :

سَمّى وسَمِىّ بنى سامٍ وحامٍ   فليس كمثله سامٍ وحامٍ

ومثله قولى بالفارسية :

اى جراغ همه بتان خطا   دور بوذن ز روى تست خطا

ومعناه : — يا سراج حسان الخطا ، إن بعدى عن طلعتك خطأ[٢]

---

(١) هو أبو الفتح على بن محمد البستى المتوفى سنة ٤٠٠ ، كان كاتباً وشاعراً من أصحاب الماننين ، وقد قال البيت السالف فى قصيدة فى مدح السلطان محمود الغزنوى ، وهو يقول قبل هذا البيت :

بسيف الدولة اتسقت أمورٌ   رأيناها مبددة النظام

انظر « يتيمة الدهر » ج ٤ ص ٢٩٦ وتاريخ اليمينى ص ٨٢

(٢) كلمة « الخطا » الأولى بمعنى أقليم الخطا بتركستان اشتهر بجمال نسائه . وأما الكلمة الثانية فبمعنى الخطأ والغلط

ومثله أيضاً :

أيا غزال سراى وغزل سراى بديع بكير جمك بجنك وغزل بسراى

ومعناه : — يا غزال القصر ، يا مبدعا فى الغناء ، امسك القيثارة فى قبضة يدك وغن لى غزلا

* * *

٢ — التجنيس الناقص .

هو كالتجنيس التام فى اتفاق الحروف ، ولكنه يختلف عنه فى اختلاف الكلمات المتشابهة فى الحركات .

ومثاله : جُبَّةُ البُرْدِ جُنَّةُ البَرْدِ

فكلمة « بُرد » الأولى مضمومة الباء ، وأما الثانية فمفتوحة الباء ، ومن أجل هذا الاختلاف فى الحركة سُمى هذا النوع من التجنيس بالتجنيس الناقص ، ولو اتفقت حركات الحروف فى الكلمتين لكان تجنيساً تاماً .

ومثاله من قول النبى (صلعم) : اللهم حسَّنت خَلْقى فحسِّن خُلُقى .

ومثاله من قول معاذ بن جبل : الدَّيْن يهدم الدِّين

وقال أحد البلغاء : الجواد مُحتكِر بِرٌّ لا محتكر بُرٌّ

ويقول « الثعالبى »[1] : الصديق الصدوق أول العَقْد وواسطة العِقْد

وأمثال ذلك كثيرة فى العربية

ومثاله فى الفارسية : اى بلا كُزيده وپشت دست كَزيده

ومعناه : يا من اختارتك البلايا ، وعضضت ظهر يدك ندما

مثال آخر : راه كِشننده وكرماء كُشننده

ومعناه : قاطع الطريق قاتل الكرام

ومثاله من الشعر العربى قولى :

لمولانا كمال الدين مجدٌ أشمُّ ومنصبٌ عالٍ وعِزَّه

يحبُّ جوارَه زهرُ المعالى كحبِّ كُثَيِّرٍ أطلال عَزَّه

---

(١) هو الإمام أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابورى من كبار العلماء والكتاب واللغويين ، وله مؤلفات فى اللغة والأدب والتاريخ من بينها « يتيمة الدهر » و « فقه اللغة » و « غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم » و « ثمار القلوب » ... الخ وتوفى سنة ٤٣٠ هـ .

ويقول « قطران »[1] بالفارسية :

بياذه شود دشمن از اسب دولت   جو باشى بر اسب سعادت سوار

بر اسب سعادت سوارى ودارى   بساعد درون از سعادت سوار

ومعناه : — إن العدو يترجل عن جواد الدولة حينا تركت أنت جواد السعادة

— وإذا ركبت على جواد السعادة وفى يدك الحبل فهو فى ساعدك سوار من السعادة

* * *

٣ — التجنيس الزائد

ويسمونه أيضاً بالتجنيس « المذيّل » ، ويكون بتجانس الكلمتين فى الحروف والحركات ، ولكنّ إحدى الكلمتين تنتهى بحرف زائد .

ومثاله : هو حامٍ حاملٌ لأعباء الأمور ، وكافٍ كافلٌ لصالح الجمهور

أنا من زمانى فى زمانةٍ ، ومن إخوانى فى خيانة

ومثاله الفارسى : مو سياه تر از شب وشبه

ومعناه : شعر أكثر سواداً من الليل والفحم

وقال نصر بن الحسن المرغينانى[2] :

فديناه من خلٍّ مُوافٍ موافقٍ   ومن صاحبٍ وافٍ مُصافٍ مصافقِ

ومن قولى بالفارسية :

در حسرت رخسار تو اى زيبا روى   از ناله جو نال كشتم از مويه جو موى

ومعنا : — أيها الجميل إنى فى حسرة اشتياقى لتقبيل وجنتيك

قد أصبحت من الحزن مثل القصبة (البوصة) وأصبحت من البكاء مثل الشعرة

* * *

(١) قطران : هو من أهل تبريز على قول محمد عوفى فى اللباب (ج ٢ ص ٢١٤) ، ومن أهل ترمذ على قول دولتشاه فى تذكرة الشعراء (ص ٦٧) ، وكان أستاذاً لـ « رشيد السمرقندى » و « روحى » و « لوايجى » و « شمس سيمكش » و « عدنانى » و « پسرخماته » وكثير من شعراء بلخ وما وراء النهر . وكان رشيد الدين الوطواط يعتبره أشعر شعراء عصره ، ويعتبر غيره من الشعراء دونه فى المعرفة والعلم

(٢) هو الإمام أبو الحسن نصر بن حسن من أهل « مرغينان » من بلاد ما وراء النهر . وهو من شعراء أوائل القرن الخامس الهجرى وكان معاصراً لأبى القاسم عبد الحميد بن يحيى رئيس « زوزن » وكان من ندماء مجلسه ، ومن أهل الفضل والأدب ومن أصحاب الترسل

ارجع إلى شرح حاله وحال عبد الحميد الزوزنى (من المعاصرين لشمس الكفاة أحمد بن الحسن الميمندى المتوفى سنة ٤٢٤ هـ) إلى كتاب « دمية القصر » للباخرزى فى ذيل القسم الخامس وذيل القسم السادس

٤ — التجنيس المركب

وذلك بأن تـكون إحدى اللفظتين المتجانستين — أو كلتاهما — مركبة .

وينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : تتشابه فيه الـكلمتان فى اللفظ والخط

القسم الثانى : تتشابه فيه الـكلمتان فى اللفظ وتختلفان فى الخط ، وفى هذه الحالة يسمى بالـ « تجنيس المفروق » .

ومثال النوعين من النثر العربى :

ا — إن عَـلَـتْ دولةٌ أو غادٍ ، فصنعُ الله رايحٌ أو غادٍ

ب — كنت أطمع فى تجريبك ، ومطايا الجهل تجرى بك

ومثالهما من النثر الفارسى :

ا — تا زنده ام در راه مهر تو تا زنده ام

ب — من مرده نيم ولـكن مرد نيم

ومعنـاهما : إننى أسرع فى طريق محبتك ما دمت حيا

أنا لست ميتا ولـكنى لست إنـاناً

ومثال النوعين من الشعر العربى :

جعلتُ هديّتى لـكمُ سِـواكا	ولم أقصد به أحداً سِـواكا
بعثتُ إليك عوداً من أراكٍ	رجاءً أن أعود وأن أرَاكا[1]

ومثال التجنيس المفروق :

كلُّـكم قد أخذ الجامَ ولا جامَ لنا	ما الذى ضرَّ مُديرَ الجام لو جَـامَـلَـنا

ويقول « قطران » مثالا للنوعين :

من اندر غم وعده‌ٔ ديذن تو	كنم با دل خويش دايم شمارا
تو از مهر من يك زمان ياذ نارى	مكر مهربانى نباشـــد شمارا

ومعناه : — أنا فى حزنى ولوعتى لموعد رؤيتك ، أحاسب قلبي دائما وفى كل لحظة

— ولـكنك لا تذكر حبي أبدا ، كأنك لا تعرف الحب مطلقا ...!!

والجناس هنا فى كلمة « شمارا » فى البيت الأول والثانى

---

(١) قال هذين البيتين « أبو سـعد عبد الرحمن بن محمد بن دوست » من أعيان الفضلاء والأدباء المنسوبين إلى مدينة نيسابور ، وقد ذكره « الثعالبي » فى « يتيمة الدهر » ج ٤ ص ٣٠٤

ومثاله للتجنيس المفروق قوله :

سرو بالائى كه دارذ بر سر سرو آفتاب آفت دلهاست واندر ديذكان زان آفت آب

ومعناه : — هذا الحبيب المديد القامة الذى يطل كالشمس المنيرة تعلو قامة السرو
قد أضحى داء قلبى فأجرى الماء فى العيون المشوقة إليه

* * *

٥ — التجنيس المكرر

ويسمونه أيضاً « المُرَدَّد » أو « المزدوج » ، ويكون بأن يجعل الكاتب أو الشاعر فى نهاية الأسجاع أو أواخر الأبيات لفظين متجانسين ، ويجب أن يكون هذان اللفظان متتاليين . ويجوز أن تكون فى صدر اللفظ الأول منهما زيادة .

ومثاله :

ا — النبيذ بغير النغم غَمٌّ ، وبغير الدسم سُمٌّ
ب — من طلب شيئاً وَجَدَّ وَجَدَ
حـ — من قرع باباً ولجَّ وَلَجَ

ومثاله فى الفارسية :

ا — فلان با سروذ وروذ ست ومعناه : فلان مغن وعازف على العود
ب — فلان زار وزار ست ومعناه : فلان حزين رحزيل

ويقول « أبو الفتح البستى » :

أبا العباس لا تحسب بأنى لشيبى عن حُلِى الأشعار عارِ
فلى طبعٌ كسلسال مَعِين زلال من ذُرى الأحجار جارِ
إذا ما أكبت الأدوارُ زندا فلى زندٌ على الأدوار وارِ

ومثاله من الشعر الفارسى :

افتاذ مرا با دل مكّار تو كار وافكند درين دلم دو كلنار تو نار
سن مانده خجل ببيش كلزار تو زار يا اينهمه در دو جشم خونخوار تو خوار

ومعناها : — لقد اضطرب حالى بسبب قلبك المكار
وبسبب وجنتيك اشتعلت فى قلبى النار
— وبالمقارنة إلى طلعتك أحسست بالخجل والعار
وأمام عينيك القاتلتين أحسست بالذلة والصغار

وقد قال « قطران » قصيدة كاملة استعمل فيها برمتها هذه الصنعة ، ومطلع هذه القصيدة كما يلى : ·

يافت زى دريا دكر بار ابر كوهر بار بار

باغ وبستان يافت كونى ز ابر كوهر بار بار[1]

ومعناه : — تحمل السحاب الممطر بالأمطار بمروره على هذه البحار

فأينعت الحدائق والبساتين وتحملت بالثمار

ويقول « منوچهرى »[2] :

با رخت اى دلبر عيّار يار   نيست مرا نيز بكل كار كار

تا رخ كلنار تو رخشنده كشت   بر دل من ريخته كلنار نار[3]

ومعناه : — الهون لى أمام طلعتك البهية أيها الحبيب القادر

ولا شأن لى بصاحب هذه الورود والزهور

— فمنذ تلألأت طلعتك الوردية

وقد انصبت النيران على قلبي المكتوى

* * *

٦ — التجنيس المطرّف

ويكون باتفاق الكلمتين المتجانستين فى جميع حروفهما ما عدا الحرف الأخير منهما ومثاله من الحديث النبوى :

الخيل معقودٌ بنواصيها الخير إلى يوم القيامة

ومثال آخر : لفظُه دُرٌّ نضيد وخطُّه رَوْض نضير

ومثال ثالث : كما يجيءُ لا كما يجبُ

ومثال رابع : الخائنُ خايفٌ

ومثاله من الفارسية :

دل كريم از آزار آزاد باشد   ومعناه : قلب الكريم يخلو من الأذى

---

(١) هذه القصيدة مذكورة فى لباب الألباب الجزء ٢ ص ٢٧٤

(٢) منوچهرى : هو أبو النجم أحمد منوچهرى من أهالى « دامغان » ، وقد تخلص باسم منوچهرى نسبة إلى أول ممدوحيه فلك المعالى منوچهر بن قابوس بن وشمكير خامس الحكام الزياريين (٤٠٣ — ٤٢٠ هـ) . وقد مدح السلطان « مسعود الغزنوى » واختصه بقصائده وقالوا إنه مات فى سنة ٤٣٢ هـ

(٣) هذان البيتان مأخوذان من غزل مذكور برمته فى ديوان منوچهرى طبع باريس ص ٢١٣ ، مع فارق بسيط هو أن المصراع الأول من البيت الثانى مذكور فى الديوان هكذا :

« تا رخ رخشان تو كلنار كشت »

ويقول « أبو بكر القهستانى »[1] :

تمتّع بيوم مسعـد النجح مسعف ودع قول لاحٍ ُمعنت النصح ُمعْنف

وقصيدته هذه مليئة من بدايتها إلى نهايتها بهذه الصنعة وبغيرها من الصناعات .

---

(١) هو العميد أبو بكر على بن حسن القهستانى ، اشتهر بالفضل والأدب فى خراسان على عهـد السلطان « محمود الغزنوى » وأولاده . وأصله من قرية « رخج » من قرى « كابل » . اتصل فى بداية أمره بالأمير « محمد بن محمود » ٣٨٧ — ٤٣٢ هـ ، ثم صار رئيساً لديوانه وتولى له دار الإنشاء ، فلما تولى هـذا الأمير ولاية « گوزگانان » من قبل والده أخذه معه . (انظر « زين الأخبار » للـكرديزى ص ٧٤)

ذهب فى شبابه إلى بغداد واتصل بالخليفة القادر بالله (٣٨٢ — ٤٢٤) ، ثم اتصل بعـد ذلك بالسلاجقة ، وهو الذى قرأ فى شبابه الخطاب المرموز الذى أرسله الخليفة القادر بالله فى تهديد السلطان محمود الغزنوى واستطاع أن يكشف رمزه فـكافأه السلطان بخلعة طيّـبة وجعله من ندماء مجلسه (قابوس نامه ص ١٨٦ — ١٨٧)

وقد مدحه الشاعر « فرخى السجستانى » وأشار إلى ذلك الشاعر « سورنى » فى البيت الذى يقول فيه :

فَرّخى هنـدى غلامى از قهستانى بخواست سى غلام ترك داد ش خوش لقا وخوش كلام

ومعناه : طلب « الفرخى » غلاما أسود من القهستانى ، فنحه ثلاثين غلاما تركيا من أصحاب الجمال ممتازين بحسن اللقاء وحسن الـكلام والأداء

وفى ديوان « الفرّخى » قصيدة طويلة فى مدح « القهستانى » مطلعها كما يأتى :

دى بسلام آمد نزديك من ماه من آن لعبت سيمين ذقن

ومعناه : أتانى للسـلام علىّ أمس صبيح الوجه كالقمر الجميل

إلى أن يقول :

خواجهٔ بو بكر عميد ملك عارض لشكر على بن الحسن
آن ز بلا راحت هر مبتـلى وآن ز محن راحت هر ممتحن
خـدمت او نعمت ودفع بلاست طاعت او راحت ورفع محن
خانهٔ او أهـل خرد را مقر مجلس او أهـل أدب را وطن
هر كه سوى خدمت او راست است راه نيابد سوى او اهرمن
خدمت اورا چو درختى شناس دولت واقبال مر اورا رهن
هر كه بر او سايه فـكند اين درخت رَست ز تيمار وز كرب وحزن
يا رب چونانك بمن بر فتاد سايهٔ او بر همه گيتى فـكن

ومعنى هذه الأبيات :

— هو السيد الـكبير أبو بكر عميد الملك قائد الجيش على بن الحسن
— راحة لمن أصابه البلاء ، ولمن نـكبته الرزايا والمحن
— فى خدمته النعمة ودفع البلايا ، وفى طاعته الراحة ورفع الإحن
— أهل العقل يجعلون فى منزله المستقر ، وأهل الأدب يتخذون من مجلسه الوطن
— ومن التحق بخدمته عاش آمنا ولم يستطع أن يلحق به شرّ « اهرمن »
— وخدمته كالشجرة الظليلة ثمرها السعد والإقبال والحظ الحسن
— فإذا ألقت ظلالها على أحد ، أمن العناء والـكرب والشجن
— فيا رب أجعل ظلالها كما وقـعت علىّ ، ُتظيلّ العالمين بحلو المنن

ويقول « معزّى »(١) :

از شرار تيغ بوذى باذ سارا نرا شراب وز طعان رمح بوذى خاكسارانرا طعام

ومعناه — من وميض سيفه كان الشراب للمتكبرين

ومن طعان رمحه كان الطعام للأذلاء الحقيرين

* * *

= ويقول « ياقوت » إن أبا بكر القهستانى كان فلسفى المشرب يميل إلى تحصيل علوم الأوائل ومن أجل ذلك اتهمه بعض معاصريه بالمروق من الدين . وقد مدحه جماعة من شعراء عصره لما اشتهر به من فضل وكرم . ومن بين هؤلاء « على بن حسن الباخرزى » صاحب « دمية القصر » المتوفى سنة ٤٦٧ هـ

ومن أشعاره العربية اللطيفة التى نقلها صاحب معجم الأدباء الأبيات التالية :

قم يا خليلى فاسقنى كشعاع خدك من شراب
فلقد عبر العيش منقرضا ولا مر السحاب
فانعم بعيشك ما استطعت ولا تُضع شرخ الشباب
فلكم أضعت من الشباب وما استفدت سوى اكتئاب

ويذكره أيضاً « الميدانى » صاحب « مجمع الأمثال » عند كلامه عن « الحديث ذو شجون » فى ص ١٣٣ من الجزء الأول طبع مصر . وينسب إليه قول البيت الآتى :

تذكر نجدا والحديث شجون فجُنّ اشتياقا والجنون فنون

ونقل « الجوينى » قطعتين من الشعر ونسبهما إليه فى المجلد الأول من كتابه « جهانكشاى » ص ١٧٢ و ١٩٤ والأخيرة منهما كما يلى :

تمتع من الدنيا فأوقاتها تُخلس وعمر الفتى — مُليت — أكثره نفس
وسارع إلى سهم من العيش فائز فما ارتد سهم مر قط ولا احتبس
وقض زمان الأنس بالأنس وانتبه لحظك إذ لا حظ فيه لمن نعس
ولا تتقاضَ اليوم هم غد ودع حديث غد فالاشتغال به هوس
هى الروح كالمصباح والراحُ زيتها فدونك عنى إنما الرأى يُقتبس
أنبيك عن نفسى وعما اختبرتُ لا أحاديثَ تُروى عن قتادة عن أنس

ارجع فى تفصيل حاله إلى « دمية القصر » القسم الخامس

وكذلك تتمة اليتيمة للثعالبى

وكذلك « معجم الأدباء » لياقوت الحموى ج ٥ ص ١١٦ — ١٢١

وكذلك كتاب « قابوس نامه » طبع طهران ص ١٨٦ — ١٨٧

(١) مُعزى : هو محمد بن عبد الملك برهانى المتخلص بـ « مُعزى » ، ولد بمدينة نيسابور ، وكان أبوه عبد الملك شاعراً للملك السلجوقى « الب أرسلان » ، وقد توفى فى أوائل سلطنة « ملكشاه بن الب أرسلان » ، ويقولون أنه لما حضرته الوفاة بعث إلى « ملكشاه » ببيته المشهور الذى يقول فيه أنه استودع الله والسلطان ابنه محمدا :

من رفتم وفرزند من آمد خلف صدق اورا به خدا وخداوند سپردم

وقد قرب السلطان هذا الابن وزاد من درجته حتى لقبه بالأمير مُعزى لأنه هو نفسه كان يتلقب بلقب « معز الدنيا والدين »

ولما مات السلطان ملكشاه فى سنة ٤٨٥ أصبح معزى أميراً للشعراء فى عصر خليفته « سنجر » ، وتبلغ أشعاره خمسة عشر ألف بيت . ومات فى سنة ٥٤٢ هـ بسبب سهم أطلقه السلطان « سنجر » فأخطأ المرمى وأصابه فقتله

٧ — تجنيس الخط

ويسمونه أيضاً « المضارعة » أو « الشاكلة » ، ويكون بتشابه الكلمتين المتجانستين في الخط مع اختلافهما في النطق .

ومثاله من القرآن : « وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا »

مثال آخر : « والذى هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين »

ومثاله من الحديث النبوى : إياكم والمشارة فإنها تميت الغُرّة وتحيي العُرّة

أو كما ورد في كتاب « شهاب الأخبار »(١) : إياكم ومُشَارة الناس فإنها تَدفِن الغُرّة وتُظهر العُرّة

ومن كلام النبي أيضاً : عليك باليأس من الناس

ومن كلام أمير المؤمنين « على » ما قاله في الجراد : كُلُه كُلُه

ومن كلام الفصحاء ، وبعضهم ينسبه إلى أمير المؤمنين على ، قولهم :

غَرّك عِزُّك ، فَصَار قُصارُ ذلك ذُلَّك ، فاخْشَ فاحِشَ فِعْلِك فَعَلَّك تُهْدَى بهذا

ومن قولى : رُبَّ رَبِّ غِنىً غَبِيٌّ ، غَرّته شِرّته ، جَفاءه جَفاءً بَعْد بُعْد عِشرته عُسْرته

ومثال آخر : نعم النَسب النَشَب

ومثال آخر : المجالسُ أحلاها أخلاها(٢)

ومثال آخر : كلي ملهوف إليه فراره ولديه قراره

ومن الأمثلة الفارسية : شب تاريك وراه باريك ومعناه : الليل مظلم والطريق ضيق

ومن الشعر العربي قول نصر بن الحسن :

يا حسنَ دارٍ تعفت وطيبَ تلك المثاني كأنما هُنَّ لفظٌ وما لها من معاني

ومن قولي البيت الآتي :

به عادَ أعلامُ العلوم عواليا وأصبح أثمانُ الثناء غواليا

---

(١) المقصود به كتاب « شهاب الأخبار في الحكم والأمثال والآداب » من تأليف أبي عبد الله محمد بن سلامه بن جعفر بن على بن حكمون المعروف بالقاضي القُضاعي وهو أحد المحدثين ومن فقهاء الشافعية ، وكان قاضياً بمصر ومات بها في سنة ٤٥٤ ، والكتاب يحوى مجموعة من الأحاديث تبلغ الألف من الوصايا والآداب والمواعظ والأمثال وقد أوردها بعد حذف إسنادها

(٢) هذه العبارة ينسبها « الباخرزى » في « دمية القصر » إلى نصر بن الحسن المرغيناني

ومثال آخر :

لقطبِ الملوك تذلّ الرقابْ ونحو هواه تميـــلُ النفوس
عواطفه سابغاتُ الظّـلال وأنعُمُـه سائغات الـكؤوس

ومثاله من الشعر الفارسى البيت التالى من قولى :

در خدمت تو اسب معالى بتاختم وز نعمت تو نرد أمانى بباختم

ومعناه : — لقد سُقت جواد المعالى فى خدمتك ، ولعبت نرد الأمانى فى نعمتك

ومثال آخر بالفارسية :

همان خوشتر كه نوشى اندرين مدت مى صافى
همان بهتر كه بوشى اندرين موسم خز أدكن[١]

ومعناه : — من الخير أن تشرب فى هذه المدة خمراً صافية البهاء
وأن تلبس فى هذا الموسم الخز والملابس الدكناء

ومثال ثالث بالفارسية : تو مشكين خال ومن جنين مسكين حال

ومعناه : أنت مسكى الخال ، وأنا مسكين الحال

٤
الاشـــتقاق

ويسمونه أيضاً « الاقتضاب » ويعتبره أصحاب البلاغة نوعاً من أنواع التجنيس . ويكون بأن يورد الـكاتب أو الشاعر فى نثره أو نظمه ألفاظاً متقاربة الحروف فى النطق . وأمثلة الاشتقاق كثيرة فى كلام الله عز وجل وفى آثار السابقين .

ومثاله من القرآن : فأقم وجهك للدّين القـيّم

ومثال آخر : يا أسفى على يوسف

ومثال آخر : وأسلمتُ مع سليمان لله ربّ العالمين

ومثال آخر : وجَـنا الجنتين دان

ومثال آخر : لـنُريه كيف يوارى سوأة أخيه

---

(١) هذا البيت من قصيدة مروية فى مجمع الفصحاء ج ١ ص ٤٣٠ مطلعها هكذا :

هوا تيره است آن بهتر كه گيرى باده' روشن ز دست لعبت مه روى مشكين موى سيمين تن

ومعناه : — لقد اظلم الجو فمن الخير لك أن تأخذ الخمر ذات الشعاع المنير
من يد دميتك الجميلة ذات الشعر الأسود والوجه الفضى

ومثال آخر : قال إنى لعملكم من القالين

ومثال آخر : فروحٌ وريحانٌ وجنّةُ نعيم

ومثال آخر : وإن يُردكَ بخير فلا رادَّ لفضله

ومثال آخر : أو آوى إلى ركنٍ شديد

ومثال آخر : إثّاقلتُم إلى الأرض أرضيتُم بالحيوة الدنيا من الآخرة

ومن أخبار الرسول (صلعم) : عُصيةٌ عصَتْ الله ورسوله

ومثال آخر : ومُضرُ مضّرها الله فى النار وغفّارُ غفرها الله

ومثال آخر : الظُلمُ ظُلماتٌ يوم القيامة

ومن كلام على رضى الله عنه : يا حمراء يا بيضاء احمرّى وابيضّى وغرّى غيرى

ومن كلام البلغاء قولهم : اللهمَّ سلّط عليهم الطّعن والطاعون

ومثال آخر : له خُلقٌ خَلِق ، وشأنٌ شائن ، وشيمة مشومة ، وخِيمٌ وخيم

ومثاله من النظم العربى :

وقائلةٍ لِمْ عَرَتْكَ الهمومْ ... وأمرُكَ مُمْتَثَلٌ فى الأمم

فقلت دعينى على غُصّتى ... فإنَّ الهموم بقدر الهمم[1]

ويقول « النوقاتى »[2] :

هنيئاً لساداتنا فى العراق ... لقاء الكرام وماء الكروم

ففى مقلتى منذ فارقتهم ... غمامٌ يجود بماء الغموم

ويقول نصر بن حسن المرغينانى :

إن ترى الدنيا أغارت ونجوم السعد غارت ... فصروف الدهر شتّى كلما جارت أجارت[3]

ويقول « اليزيدى »[4] فى الأصمعى :

وما أنتَ هل أنتَ إلا امرؤٌ ... إذا صحَّ أصلُك من باهله

---

(١) من قول الصاحب اسماعيل بن عباد . انظر « يتيمة الدهر » ج ٣ ص ١٠٨

(٢) هو أبو الحسن عمر بن أبى عمر السجستانى من أهل نوقات فى ولاية سجستان ، وقد مدح الأمير خلف بن أحمد الصفارى (٣٠٢ — ٣٩٩ هـ) ولازم الصاحب إسماعيل بن عباد (٣٢٦ — ٣٠٨) وكان والده أبو عمر بن أحمد النوقاتى من الأدباء ، وله تصانيف كثيرة . (انظر يتيمة الدهر ج ٤ ص ٢٣٨ — ٢٤٠ ، وكذلك معجم الأدباء ج ٦ ص ٣٣٤ ومعجم البلدان فى كلمة « نوقات »)

(٣) انظر « دمية القصر » للباخرزى ضمن ترجمة حال المرغينانى

(٤) المقصود به أبو محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة المعروف باليزيدى المقرىء من علماء اللغة والنحو ، وكان يربى أولاد يزيد بن منصور بن عبد الله بن يزيد الحميرى خال الخليفة المهدى ، فاشتهر بلقب اليزيدى . وقد أوكلوا إليه ، أيام خلافة هارون الرشيد ، تربية المأمون وتعليمه ، فاتصل فى هذه الفترة بالكسائى (+ ١٨١) والخليل بن أحمد (١٠٠ — ١٧٠ هـ) والأصمعى (١٢٣ — ٢١٦) ومات فى سنة ٢٠٢ هـ =

والباهليّ على خــبزه كتابٌ لآكله آكلةٌ

ومن الشعر الفارسي الأبيات الآتية :

نواى تو اى خــوب ترك نو آئين در آورد در صبر من بى نوائى
رهى كوى خوش ورنه بس راهوى زن كه هرگز مباذم ز عشقت رهائى
ز وصفت رسيذ ست شاعر بشعرى ز نعتت كرفتست راوى روائى

ومعنى هذه الأبيات :

— إن نغماتك أيها التركى الغض الأهاب لتبث دموع صبرى من مآقى أنا المسكين
— فاضرب لى لحنا جميلا أو العب لى نغمة شائقة ، ولا كان لى الخلاص من عشقك الدفين
— فبوصفك تحققت للشاعر شاعريته ، وبنعتك حاز الراوى جمال الأسلوب الرصين

ويقول « الرودكى » :

اكرت بدره رساند همى ببدر منير مبادرت كن وخامش مباش جنديتا

ومعناه : — إذا أوصلتك البدرة إلى البدر المنير فبادر إليه ولا تصمت هكذا

٥

الأسـجاع

الأسجاع ثلاثة أنواع :

١ — الأسجاع المتوازية
٢ — الأسجاع المطرفة
٣ — الأسجاع المتوازنة

* * *

النوع الأول : الأسجاع المتوازية

وذلك إذا وُجدت ، فى جملتين أو أكثر ، كلماتٌ متفقة فى الوزن وعدد الحروف والرويّ .

ومثالها من القول النبوى : اللهم أعطِ مُنفِقاً خَلَفا ، وأعطِ مُمسِكاً تَلَفا

فالشاهد هنا فى لفظى « خلف » و « تلف » فهما يتفقان فى وزن الحروف والروى .

= والبيتان المرويان هنا من قوله مذكوران فى « كتاب الصناعتين » لأبى هلال العسكرى فى باب التجنيس (ص ٣١٨ من طبع مطبعة صبيح بمصر)

مثال ثان : أبردُ من البردِ فى زمن الوَرْد
مثال فارسى : كوى باخته ، واسب تاخته — ومعناه : لعب الكرة وأجرى الجواد

النوع الثانى : السجع المطرّف

وذلك إذا وُجدت ، فى آخر جملتين أو أكثر ، كلماتٌ متفقة الروىّ ولكنها مختلفة من حيث الوزن وعدد الحروف .

ومثاله من فواصل القرآن الكريم : ما لكم لا تَرْجُون لله وقاراً وقد خَلَقكم أطوارا
ويجب ملاحظة أنه لا يجوز تسمية أواخر آيات القرآن « أسجاعا » بل يجب تسميتها « فواصل » كما قال عز وجل : « كتاب فُصِّلت آياتُه »

ومثال السجع المطرف من قول الفصحاء : جنابُه مَحَطُّ الرِّحال ، ومُخَيَّمُ الآمال
فالشاهد هنا فى « رحال » و « آمال » فإن هاتين الكلمتين متفقتان فى حرف الروى وهو « اللام » بعد « الألف » ولكنهما مختلفتان من حيث الوزن فإن كلمة « رحال » على وزن « فعال » بينما كلمة « آمال » على وزن « أفعال » .

ومثاله فى اللغة الفارسية قولهم : فلانرا كرم بسيارست وهنر بى شمار
ومعناه : فلان مكارمه كثيرة وأفضاله لا تحصى

النوع الثالث : السجع المتوازن

وليس هذا النوع مختصاً بالنثر وحده بل يمكن أن يرد فى الشعر أيضاً ... ويكون بأن ترد ، فى أول الجملتين أو آخرها ، أو فى أول المصراعين أو آخرها ، كلماتٌ تتفق مع بعضها من حيث الوزن ولكنها تختلف فى حروف الروى

ومثاله من كلام الله : وآتيناهما الكتابَ المُسْتبين ، وهديناهما الصراطَ المستقيم ، فنى مقابل « آتيناهما » نجد « هديناهما » ، وفى مقابل « كتاب » نجد « صراط » ، وكذلك مقابل « المستبين » نجد « المستقيم » . وكل كلمة من هذه الكلمات موافقة من حيث الوزن لنظيرتها .

ومثاله من نثر البلغاء : قد اتَّسع المجالُ بعد التضايق ، واتَّجه المرادُ بعد التَّمانع
ويقول أبو بكر القهستانى :

فما ذقتُ إلاَّ ماءَ جفنىَّ مشرباً — وما نلت إلا لحمَ كَفىَّ مطعما[1]

---

(١) هذا البيت مروى فى دمية القصر ويسبقه بيت آخر ، هو الآتى :
فردت وما ردت جواب تحيتى — وما ضر سلمى لو أجابت مسلما

ومن قولى :

هو الشمس قدراً والملوكُ كواكبٌ   هو البحرُ جوداً والكرامُ مذانب

ومثاله فى الفارسية :

شاهى كه رخش اورا دولت بوذ دليل   شاهى كه تيغ اورا نصرت بوذ فسان

اندر پى كمانش زه بكسلذ يقين   وندر دم يقينش ر بفكند كمان[1]

ومعناها : — إنه ملك ، تصبح السعادة دليلا لجواده ، وسلطان يصير النصر حكاية لسيفه

— فى قوسه وتر يقطع باليقين ، وفى أنفاس يقينه نفحات تبعد الخيال

ويمكن أن تقع الموازنة فى بيتين ومثاله قولى :

آنك مال خزاين كيتى   نيست باجود دست او بسيار

وانك كشف سراير كردون   نيست در پيش طبع او دشوار

ومعناها : — خزائن العالم ليست كثيرة إلى جوار أكفه الكريمة

— وكشف سرائر الغيب ليس صعبا أمام طبعه الخيّر

٦

المقـــلوبات

هى من جملة الصناعات الغريبـة البديعة التى يتخذونها فى النظم والنثر ، وتدل على قوة الشاعر أو الكاتب وسلامة طبعه وخاطره .

وأنواع « المقلوبات » كثيرة ، ولكننا نكتفى بأن نذكر هنا أربعة أنواع هى الأكثر اشتهاراً ، وهى :

١ — مقلوب البعض   ٣ — المقلوب المجنّح

٢ — مقلوب الكل   ٤ — المقلوب المستوى

---

(١) هذان البيتان من قول « مسعود بن سعد سلمان » كما قال صاحب « المعجم فى معايير أشعار العجم » انظر ص ٣٠٩ وهو يروى الشطرة الأخيرة منهما هكذا : « وندر پى يقينش ره كم كند كمان » ، وهما من قصيدة معروفة للشاعر « مسعود بن سـعد سلمان » فى مدح « علاء الدولة مسعود بن إبراهيم » (٤٩٢ — ٥٠٨) ومطلع هذه القصيدة هكذا :

دولت جوان وبخت جوان وملك جوان   ملك جهان گرفتن ودادن كنون توان

ومعناه : — الملك غض ، والدولة مقبلة ، والحظ موافق سعيد

وبهذه الأشياء يمكنك الآن أن تأخذ ملك العالم أو تعطيه لمن تريد

النوع الأول : مقلوب البعض

ويكون بأن توجد ، فى النظم أو النثر ، كلمتان أو أكثر يكون فيهما تقديم أو تأخير فى بعض الحروف ، بحيث لا يشمل ذلك الاختلاف الحروف كلها .

ومثاله من الألفاظ العربية المفردة : رقيب ، قريب . . . ، شاعر ، شارع

ومثاله من الألفاظ الفارسية المفردة : سُكُره (وعاء أو طبق) . پسركه (خَلّ) رِشْك (الحسد) . شَكَر (السُكر)

ومثاله من الكلام النبوى : اللهمّ استر عَوْراتِنا ، وآمن رَوْعاتِنا

ومثاله من قول البلغاء : من يُخْرم يُرْحَم ، ومن يُجْرِم يُرْجَم

ومن قول أبى فراس :

فعنـدى خصبُ رُوّادِ وعنـدى رِىُّ وُرّادِ

ومن قولى بالفارسية :

از آن جاذوانه دو جشم سياه دلم جاوذانه عديل عنا ست

ومعناه : — بسبب هاتين العينين الفاتنتين ، أضحى قلبي إلى الأبد قرينا للعناء

النوع الثانى : مقلوب الكُلّ

ويكون بأن يحصل التقديم والتأخير فى جميع حروف الكلمة من أولها إلى آخرها .

ومثاله من الألفاظ العربية المفردة : سيل ، ليس . . . ، تاريخ ، خيرات

ومثاله من الألفاظ المفردة الفارسية : كَسْ (شخص) ، سَك (كلب) ريش (ذقن) ، شير (أسد)

ومثاله فى العربيـة : كفُّه بحر وجنابُه رحبٌ

ومثاله فى الفارسية : يا رب مارا آرام ده ومعناه : اللهم أعطنا الراحة والهناء

ومن قولى بالعربية :

حسامُك منه للأحباب فَتْحٌ ورمحُك منـــه للأعداء حتف

ويقول « العنصرى »[١] :

بكنج اندرش ساخته خواسته بجنك اندرش لشكر آراسته

ومعناه : — بالمال يحقق الأمل المطلوب ، وبالحرب يهيء الجيش المرغوب

---

(١) العنصرى : هو أبو القاسم حسن بن أحمد العنصرى ، ولد حوالى سنة ٣٥٠ هـ ، وأصله من مدينة « بلخ » اشتغل فى حداثة سنه بالتجارة ، فكان يتنقل ببضائعه بين البلدان ، فسطا عليه جماعة من قطاع الطريق ونهبوه فترك التجارة وأخذ يشتغل بالدرس والتحصيل حتى استطاع أن يلتحق =

النوع الثالث : المقلوب المجنَّح

وهو عبارة عن « مقلوب الكل » ، ولكنهم يحتفظون بالكلمتين اللتين تقع فيهما هاتان الصنعتان فيضمون واحدة منهما فى أول البيت والأخرى فى نهايته .

ومثاله قولهم :

ساق هذا الشاعرُ الجُبْنَ إلى من قلبُه قاس
سارَ حىُّ القومِ فالهمُّ علينا جبلٌ راس

ومن الأمثلة الفارسية :

أبداً بنده مطواعم آنرا كه بطبع بنمايذ ز بديهت بتمامى ادبا

ومعناه : — إنى أبداً عبد مطواع لمن هو بطبعه يظهر أدبا على بديهته

وربما ألحقوا هذه الصنعة بأول المصراع وآخره . ومثاله من الشعر الفارسى :

زان دو جاذو نركس مخمور باكشىّ وناز زار وكريان وغريوانم همه روز دراز

ومعناه : — إنى بسبب هاتين النرجستين (العينين) الفاتنتين المخمورتين صاحبتى الغنج والدلال قد أضحيت أبكى وأنتحب وأشتكى فى هذه الأيام الطوال

ويسمون « المقلوب المجنح » أحيانا بـ « المعطَّف » .

النوع الرابع : المقلوب المستوى

ويكون بأن تستطيع أن تقرأ جملةً منثورة مركبةً من بضعة ألفاظ ، أو مصراعا من الشعر أو بيتاً كاملا منه ، بحيث إذا قلبت الجملة أو المصراع أو البيت كان كل واحد من هذه الثلاثة متفق الأصل مع مقلوبه .

ومثاله من القرآن : كلٌّ فى فلك . . . ربَّك فكبر

ومثاله من النثر العربى : سارِكبُ كاس

ومثاله فى الفارسية : دارم همه مراد معناه : عندى جميع مرادى

= بخدمة السلطان محمود الغزنوى وأصبح كبير شعرائه فلقبوه بـ « ملك الشعراء » . وأكثر أشعاره عبارة عن قصائد فى مدح هذا السلطان ومدح أخيه الأمير نصر وابنه السلطان مسعود ، وله أيضاً مثنويات ذكرها صاحب « لباب الألباب » ج ٢ ص ٣٢ . وربما كان البيت الوارد هنا من جملة الأبيات المذكورة فى منظومته لقصة « وامق وعذرا » فإن الأبيات الباقية منها على وزن المتقارب المقصور مثل هذا البيت ، ويمكن الاطلاع على بعض هذه الأبيات فى « فرهنگ اسدى » طبع Paul Horn تحت اسم Asadi's Neupersisches Wörterbuch Lughat-i Furs. ، وكذلك فى سائر المعاجم اللغوية .

ومثاله من الشعر العربى :

أراهُنَّ نادَمْنَه ليلَ لهوٍ وهل لَيْلُهُنَّ مُدانٍ نهارا

ومثال آخر :

عُجْ تَنَمْ قُرْبَكَ دَعْدٌ آمنا إنما دعدٌ كبرقٍ مُنْتجع

ومثاله بالفارسية :

زير كا كبكا كريز زيت را نان آر تيز

ومعناه : — أيها الماهر السريع الحركة أسرع بإحضار الخبز والزيت

ويقول « النطنزى »[1] :

ز نطنز آمد رخت خرد ما ز نطنز ز نطنزم ز نطنزم ز نطنزم ز نطنز

ومعناه : — إن عدة عقلى أقبلت إلى من مدينة نطنز

فأنا من « نطنز » من « نطنز » من « نطنز » من « نطنز »

٧

رد العجز على الصدر

يعتبر « رد العجز على الصدر » من العلوم المختارة والصناعات المحببة المقبولة فى باب البلاغة ويقصدون بالعجز آخر البيت وبالصدر أوله .

والبيت المردود عجزه على صدره يسميه شعراء الفارسية بالمطابق أو المُصَدَّر .

وتكون هذه الصنعة بأن يذكر الكاتب أو الشاعر فى أول كلامه المنثور أو بيته المنظوم لفظةً معينة ، ثم يذكرها ثانية فى آخر العبارة أو البيت ، وهذه الصنعة على ستة أنواع :

---

(١) النطنزى : هو أبو عبد الله حسين بن إبراهيم بن أحمد النطنزى من الأدباء والشعراء ومن أصحاب اللسانين . توفى سنة ٤٩٩ هـ . وهو مؤلف كتاب بالفارسية فى نحو اللغة العربية اسمه « دستور اللغة العربية » ، وقد أهداه للخليفة العباسى المقتدى (٤٦٨ — ٤٨٧) أو « المستظهر بالله » (٤٨٧ — ٥١٢) ، وتوجد من هذا الكتاب نسخ متعددة إحداها موجودة فى مكتبة باريس الأهلية تحت رقم Mss. Persan 944 . وربما سُمى هذا الكتاب باسم آخر هو كتاب « الخلاص » الذى ورد ذكره فى هذين البيتين :

كتاب الخلاص كتاب به خلاص النطنزى يوم الحساب

أراح به الخلق عن كدهم فجاء بمقصودهم فى كتاب

وله تأليف آخر فى اللغة الفارسية باسم « المرقاة فى اللغة الفارسية » وتوجد منه نسخة فى مكتبة باريس الأهلية تحت رقم Mss. Pers. 945

النوع الأول : من رد العجز على الصدر

وفيه يكون اللفظ المذكور أولا هو بعينه المذكور أخيراً من حيث الصورة والمعنى وبغير تغيير أو تفاوت .

مثل : طلب مُلْكَهم فسلب ما طلب . . ؛ ونَهَبَ مالهم فوهب ما نهب

الحيلةُ تركُ الحيلة . . ؛ القتل أنفى للقتل

ومثاله بالفارسية :

كوهر شناس داند قدر كوهر[1] ومعناه : الصائغ يعرف قدر الجواهر

ومثاله من الشعر العربي :

سكرانِ سُكر هوىً وسكر مدامةٍ أنّى يفيقُ فتىً به سُكرانِ

ويقول « أديب الترك » :

تمنّت سُليمى أن أموتَ صبابةً وأهونُ شيء عندنا ما تمنّت

ويقول الشاعر :

سريعٌ إلى ابن العم يشتم عرضَه وليس إلى داعى النّدى بسريع

ويقول الشاعر « الغضايرى »[2] :

عصا بر كرفتن نه معجز بوذ همى اژدها كرد با يذ عصا

ومعناه : — لم يكن إمساكه للعصا معجزا وقد وجب أن تصير ثعبانا

ولى قصيدة التزمت فيها هذه الصنعة من أولها إلى آخرها ، وإنى أذكر منها هذه الأبيات :

قرار از دل من ربوذ آن نكار بذان عنبرين طرهٔ بى قرار
نكارست رخسارهٔ من ز خون[3] ز هجران رخسارهٔ آن نكار
خماريست در سر مرا بى شراب در اندوه آن نركس پر خمار
كنار من از دوست باشد تهى مرا پر شذ از خون ديده كنار
شمار غم او ندانم از آنك برون شذ غم او ز حد شمار

---

(١) هذا شبيه بقول الفرخى فى مدح السلطان محمود الغزنوى :

قدر كهر جز كهر شناس نداند اهل ادب را اديب داند مقدار .

ومعناه : — لا يعرف قدر الجواهر إلا الصائغ ولا يعرف قدر أهل الأدب إلا الأديب

(٢) الغضايرى : هو أبو زيد محمد بن على الغضايرى الرازى من شعراء الدولة الغزنوية ، وكان يلقب بأمير شعراء العراق . وله مدائح كثيرة فى السلطان محمود الغزنوى .

(٣) فى المعجم ص ٣١١ : « بخون » .

ومعنى هذه الأبيات :

— إن هذا المعشوق الجميل سلب الراحة من قلبي والقرار ، بهذه الطرة العنبرية السوداء التي ليس لها قرار

— ونخضب وجهي بدماء عيني بسبب هجري لوجه هذا المعشوق الجميل

— والخمار يلعب برأسي من غير شراب ، بسبب ما أحسه من لوعة لعيني معشوقي المليئة بالخمار

— وقد نأيت عن وصل الحبيب ولكن عيني امتلأت إلى حافتها بالدماء

— ولست أعرف حسابا للوغى عليه ، لأن لهفتي عليه قد جاوزت حدود الحساب ...!!

* * *

النوع الثاني : من رد العجز على الصدر

وهو كالصنعة السابقة إلا أن اللفظ المذكور أولا يكون في صورته كاللفظ المذكور أخيراً ، مع اختلافه عنه من حيث المعنى .

وهذه الصنعة هي بعينها « التجنيس التام » ولكنهم اعتبروها من باب « رد العجز على الصدر » ، لأن إحدى الكلمتين المتجانستين ترد في الصدر بينما ترد الأخرى في العجز .

وهذا النوع أجمل من النوع الأول وأكثر صعوبة في القول .

ومثاله : كافرُ النعمة كالكافر[1] . سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل

ويقول السَريّ الموصلي[2] :

يسارٌ من سجيتها المنايا ويُمنَى من عطيَّتها اليسار

ويقول نصر بن الحسن المرغيناني :

ذوائبُ سودٌ كالعناقيد أُرسلت فمن أجلها منَّا النفوسُ ذوائبُ

وأيضاً :

ونشرى بجميل الصنع ذكراً طيِّبَ النشر

ونقرى بسيوف الهند من أسرف في النقر

ونجرى في شرى الحمد على شاكلة النَّجر

---

(١) مذكور في نسخة خطية من تاريخ أبي الفضل البيهقي ، إن الشاعر « معروف البلخي » ترجم هذه العبارة إلى الفارسية نظما هكذا :

كافر نعمت بسان كافر دين است سعى كن وجهد كن بكشتن كافر

ولكن هذا البيت غير موجود في النسخة المطبوعة في طهران

(٢) السريّ الموصلي : هو أبو الحسن السري بن أحمد الكندي المعروف بالسري الرفاء ، وهو من المادحين لسيف الدولة بن حمدان المتوفى سنة ٣٥٦ والوزير المهلبي (٢٩١ — ٣٥٢) ، وكانت وفاته على أشهر الأقوال في سنة ٣٦٠ هـ .

ويقول العلوى الزينبى[١]

هواى ترا ران كزيذم بعـالم   كى با كيزه تر از سرشك هوائى
كر آئى واين حال جاكر ببينى   كنى رحم ودر وقت زى من كرائى
جرا كاه من بوذ شيرين لبانت   جرائى تو از من رميذه جرائى

ومعنى هذه الأبيات :

— إننى اخترت هواك فى هذا العالم لأنه أنقى من نسمات الهواء (قطرات الندى)

— فلو أنك أتيت ورأيت حال مريدك لرحمتنى وأحببتنى والتفت إلىَّ فى التو والساعة

— ومرعاى كائن فى شفتيك المعسولتين ، فلماذا انزعجت منى وفررت من أمامى !!

ويقول أبو الفرج الرونى[٢] :

بيمين تو ملاك داذه يسار   بيسار تو عدل خورده يمين

ومعناه : — لقد أيسر الملك على يمينك ، وأقسم العدل على يسارك

* * *

النوع الثالث : من رد العجز على الصدر

ويكون بأن يرد اللفظ الذى فى عجز البيت ، بصورته ومعناه فى حشو المصراع الأول وليس فى صدره .

ومثاله :

أما القبورُ فإنها مأنوسةٌ   بجوار قبرك والديار قبور

ومن قولى :

لقــــد حازَ أقسامَ الفضائلِ كلها   فأمسىٰ وحيــداً فى فنون الفضائل

ومثاله فى الفارسية :

همه عشق او انجمن كرد من   همه نيكوى كرد او انجمن

ومعناه : — جعلتْ عشقى له حديث المجالس ، وأما حسنه فجعله شهرة المجامع

وكذلك قوله بالفارسية :

اكر بتكر جنان بيكر نكارذ   مرزاذ آن خجسته دست بتكر[٣]

---

(١) يكتبه « عوفى » صاحب اللباب « زينتى » ، ولـكن الأصح « زينبى » وهو من شعراء السلطان محمود الغزنوى ومن أقران العنصرى والفرخى والمسجدى .

(٢) أبو الفرج الرونى : هو على قول صاحب اللباب أحد شـعراء العراق الذين عاشوا أيام السلاجقة ج ٢ ص ٢٣٨

(٣) من قصيدة للدقيقى فى مدح أحد أمراء الـ « چمانيان » المعروف بالأمير أبو سعد المظفر

وكر آزر جنو دانست كردن   درود از جان من بر جان آزر

ومعنى هذين البيتين :

— إذا استطاع صانع الدمى أن يصور صورته فلا شلت يده المباركة

— وإذا استطاع « آزر »[١] أن يصنع مثله فبارك الله روحه بتحية منى

* * *

النوع الرابع : من رد العجز على الصدر

وهو كالنوع الثالث إلا أن معنى اللفظ الذى يرد فى النهاية يكون مخالفاً لمعناه فى الحشو[٢]

ومثاله قول الثعالبى :

وإذا البلابل أفصحت بلغاتها   فانفِ البلابلَ باحتساءِ بلابِل

فكلمة « بلابل » فى المصراع الأول جمع « بُلبل » ، وأما كلمة « بلابل » فى عجز المصراع الثانى فجمع « بلبلة » .

ومن قولى بالفارسية :

كريما بده داذ من از فلك   جو ايزد ترا هيج بايست داذ

ومعناه : — أيها الكريم أنصفنى من أفعال الفلك ما دام الله أعطاك كل ما يلزم لك

* * *

النوع الخامس : من رد العجز على الصدر

وفيه يكون اللفظان الواردان فى البداية والنهاية مشتقين من كلمة واحدة ومتفقين فى أصل المعنى ولكنهما مختلفان قليلا من حيث الصنعة .

وينقسم هذا النوع إلى قسمين :

ا — قسم يكون فيه أحد اللفظين فى الصدر والثانى فى العجز

ب — وقسم يكون فيه أحد اللفظين فى حشو المصراع الأول والثانى فى عجزه

ومن أمثلة القسم الأول فى القرآن : « استغفروا ربكم إنه كان غفارا »

ومثاله فى الشعر العربى :

وَهَت عزماتك لما كبرت   وما كان من شأنها أن تَهِى

---

(١) « آزر » هو والد سيدنا إبراهيم أو عمه

(٢) اتفق العروضيون على تسمية بداية المصراع الأول بالـ « صدر » وآخره بالعروض ، وأول المصراع الثانى بالابتداء ، وآخره بالضرب ، بينما يسميه أصحاب الصناعة الشعرية بالعجز . وأما ما يقع وسط المصاريع فيسمونه « حشوا » .

ومن قولي بالفارسية :

بيازردى مرا بى هيچ حجت   ز من هرگز ترا نابوده آزار

ومعناه : — لقد آذيتني بغير سبب ولم أكن لأوذيك مطلقا

ومثال القسم الثاني من القرآن المجيد : « ولقد اسْتُهزىء برسلٍ من قبلك فحاقَ بالذين سخروا منهم ما كانوا به يَسْتَهزئون » .

مثال آخر : « ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى »

ومثال ثالث : « انظر كيف فضّلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا » .

ومن كلام النبي صلعم : من مَقَتَ نفسه آمنه الله من مَقْتِه .

ويقول أبو تمـام :

دمن أَلَمَّ بها فقال سلامُ   كم حلَّ عقدةَ صبرِه الإلمام

ويقول أبو فراس :

وما إن شبتُ من كِبرٍ ولـكن   لقيتُ من الأحبـة ما أشابا

ويقول « أبو الفتح البستي » القطعة التالية ويجمع فيها كلا النوعين :

يا غالبَ الناسِ بعُدوانه   أنت على التحقيقِ مغلوبُ

ثلبُـك أهل الفضلِ قد دلّني   أنّـك منقوصٌ ومشـــلوب

ومثاله بالفارسية قول الشاعر :

اميرا گر مرا معزول كردى   سر انجام همه عمّال عزلست

بتوقيع تو ايمن بوذم از عزل   ندانستم كى توقيع تو هزلست

ومعناها : — أيها الأمير ولو أنك عزلتني ولـكن نهاية جميع العمال العزل

— وقد كنت آمن العزل بتوقيعك ، ولـكني لم أكن أعرف أن توقيعك هزل

والشاهد هنا موجود في البيت الأول .

ويقول المنصري :

تا جهان بوذست كس بر باذ نفشانده است مشك

زلف يارم هر شبي بر باذ مشك افشان بوذ[1]

ومعناه : — منذ وجد العالم لم يعطر أحد نسيم الصبا بالمسك والطيب

لأن ذؤابة حبيبي تنثر الطيب في كل ليلة على مر النسيم الرطيب

* * *

---

(١) من قصيدة قالها في مدح السلطان محمود الغزنوي ، مطلعها :

تا همى جولان زلفش گرد لالستان بود   عشق زلفش را بگرد هر دلى جولان بود =

النوع السادس : من رد العجز على الصدر

وهو شبيه بالنوع الخامس إلا أن الكلمتين الواردتين فى البداية والنهاية لا تكونان مشتقتين من كلمة واحدة ، وتكونان مختلفتين من حيث المعنى . وهو أيضاً على قسمين :

مثال القسم الأول من القرآن المجيد : « قال إنى لعملكم من القالين »

فإن لفظ « قال » الأول مشتق من القول ، وأما كلمة « قال » الأخيرة مشتقة من « قلا » بمعنى أبغض أو كره .

ومثاله من قول السرىّ :

ضرايب أبدعتَها فى السماح ... فلسنا نرى لك فيها ضريبا[1]

ومثاله بالفارسية :

نالم از عشق آن صنم شب وروز ... وينك از ناله كشته ام جون نال

ومعناه : — أننى أبكى من ألم عشق لهذه الدمية ليلا ونهاراً ،
حتى أصبحت من بكائى نحيلا هزيلا كالقصبة الخاوية

ومثال القسم الثانى من القرآن المجيد :

« وإذا أنعمنا على الإنسان أعرضَ ونأى بجانبه وإذا مسّه الشرُّ فذو دعاء عريض » ؛

« فنادى فى الظُلُمات لا إله إلا أنتَ سبحانَكَ إنى كنت من الظالمين » .

ويقول أبو فراس :

منحناها الحرايب غير أنا ... إذا جارت منحناها الحِرابا

ومثاله بالفارسية :

كرت زمانه نداند نظير شايد از آنك ... تو از خداى برحمت زمانه را نظرى

ومعناه : — إذا لم يعرف الزمان نظيراً لك ، مُحقٌّ له ، لأن الله الرحيم جملك نظرا للزمان (أى عينا ترى أحوال الزمان ولا تستطيع أن ترى نفسها)

= ومنها البيتان المشهوران اللذان أصبحا مضربا للمثل :

هركه نا شاعر بود چون قصد مدح او كند ... شاعرى گردد كه شعرش روضهٔ رضوان بود

ز آنكه جودش جمع گردانيد معنيهاى نيك ... چون معانى جمع گردد شاعرى آسان بود

ومعناها :

— والشخص الذى لا يكون شاعراً متى قصد مدحه ، يصبح شاعراً ويصبح شعره روضة الرضوان

— لأن جوده قد جمع المعانى كلها ، ومتى اجتمعت المعانى سهل الشعر على اللسان

(١) البيت التالى يسبق البيت المذكور آنفاً وهو :

بعيــد إذا رمت إدراكه ... وإن كان فى الجود سهلا قريبا

ويقول الثعالبي إن « السرى » سرق معنى بيته من قولى البحترى :

بلونا ضرائب من قد نرى ... فما إن رأينا لفتح ضريبا

٨
المتضـاد

ضدّ فى الفارسية بمعنى « آخشيج » ، ويكون المتضاد بأن يذكر الـكاتب أو الشاعر فى نثره أو نظمه ألفاظا يكون الواحد منها مضاداً للآخر مثل :

حار وبارد ؛ النور والظلمة ؛ دُرشت و نَرمْ (الغليظ والناعم) ؛ سـياه وسبيد (الأسود والأبيض) .

وقد سمى الخليل بن أحمد هذا النوع بالمطابقة .

ومثاله : « فأما من أعطى واتقىٰ وصـدق بالحسنى فسنيسّـره لليسرى ، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسّره للعُسرى » .

فقد اجتمع هنا الإعطاء والبخل ، والتصديق والتكذيب ، واليسر والعسر ، وكل كلمة من هذه الـكلمات مضادة لقرينتها .

مثال آخر : « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شىء قدير » .

مثال آخر : « ولـكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب » .

مثال آخر : « من يهدى الله فهو المهتدى ومن يضلل الله فلا هادى له » .

وأمثلة هذا النوع فى القرآن المجيد كثيرة ولا يحتمل هذا المختصر إيرادها بجملتها .

ومثاله من قول النبى صلوات الله عليه : « إنكم لتقـلّون عند الفزع وتـكثرون عند الطمع »

مثال آخر : روى عن النبى أنهم قالوا له إن فلانا خبير بعلم الأنساب ، فقال : « علم لا ينفع ، وجهل لا يضر » .

ومن كلام على رضى الله عنه : إن أعظم الذنوب ما صغر عند صاحبه .

ومن كلام الحسن البصرى حينما قالوا له إنك تفرط فى تخويف الخلق أنه قال : « إن من خوفك حتى تبلغ الأمن خير ممن آمنك حتى تبلغ الخوف » .

ومثاله من الشعر :

رمى الحدثان نسوة آل حربٍ   بمقدارٍ سمدنَ له سمودا
فردّ شعورهن السود بيضا   وردّ وجوههن البيض سودا

ويقول المتنبى :

أزورهم وسواد الليـل يشفع لى   وأنثنى وبياض الصبح يغرى بى

ومن قول ابن المعتز :

يا رُبَّ مبكيةٍ فى طيّ مضحكة ورُبَّ مؤلمة فى ثنْى لذّات

ومن قولى وقد أوردت فيه ذكر المناصر الأربعة فى بيت واحد فى آخر القطعة التالية من الشعر :

سقى بلخَ سقياً نافعاً كلَّ بُكْرة ومن بحوالى بلخَ أنْدى سحابها
ديارٌ إذا ما حلّها الحرُّ ساعةً أتته الأمانى بعد طولِ اجتنابها
ألمّت بنفسى منذُ فارقتُ أرضها نوائبُ يؤذينى أليمُ عذابها
جُفونى يُذكّى ماؤُها نارَ حسرتى إذا الريحُ جاءتنى بريّا ترابها

ويقول « القمرى »[1] بالفارسية :

— بد بذ ارست عدل وظلم بنهان مخالف اندك وناصح فراوان

ومعناه : — العدل واضح ، والظلم مختف ، والمخالف قليل ، والناصح كثير

ومن قولى بالفارسية :

— ولى را وفاق تو سازنده آبى عدو را خلاف تو سوزنده نارى

ومعناه : — وفاقُك يجلب الخصب للولىّ ، وخلافك يشعل النار فى العدو

ومن قولى أيضاً :

— از آب دار خنجر آتش نهيب تو جون باذ كشته دشمن ملك تو خاكسار

ومعناه : — من ماء خنجرك الصقيل المخيف كلهيب النار ، أضحى عدو ملكك ذليلا كهباء الريح

ومن قول مسعود بن سعد[2] :

— اى سرد وكرم جرخ كشيذه شيرين وتلخ دهر جشيذه

ومعناه : — يا من احتملت الفلك بحَرّه وقره ، وتذوقت الدهر بحلوه ومُرّه

---

(١) هو أبو القاسم زياد بن محمد القمرى الجرجانى ، وكان مداحا لشمس المعالى قابوس بن وشمكير (٣٦٦ — ٤٠٣)

(٢) هو أبو الفخر مسعود بن سعد سلمان وكان معاصرا لعنصر المعالى منوچهر بن قابوس وله أشعار بالفارسية والعربية . انظر « تذكرة الشعراء » لدولتشاه ص ٤٧ — ٤٩ ، وكذلك « لباب الألباب » لمحمد عوفى ج ٢ ص ٢٤٦ — ٢٥٢

٩
الإعنـــات

ويسمونه أيضاً « لزوم ما لا يلزم » ؛ ويكون بأن يتكلف الكاتب أو الشاعر شيئاً ليزيّن به كلامه ، ولا يكون هذا الشيء لازما ، ويستقيم الكلام ويتم بدونه ، كأن يلتزم فى آخر الأسجاع أو آخر الأبيات حرفا قبل حرف الروى أو الرديف ، بحيث إذا لم يلتزمه لم يكن هنالك ضرر من ذلك ، لأن غرضه من التزامه لم يكن إلا لتنميق الكلام وتزيينه .

ومثاله تاء « كتاب » و « عتاب » ، وقاف « نقم » و « رقم » ، فلو أنه جعل كلمة « كتاب » مقفاة مع كلمة « صواب » لجاز ذلك ، ولجاز له أيضاً أن يجعل كلمة « رقم » مقفاة مع كلمة « علم » ، ولكنه بالتزامه التاء فى الكلمتين الأوليين ، والقاف فى الكلمتين الأخيرتين يرمى إلى جعل الكلام أكثر جمالا وقبولا .

مثاله من القرآن : « فأما اليتيم فلا تقهر ، وأما السائل فلا تنهر »

ومثاله من قول النبى : اللهم بك أحاول وبك أصاول

ومثال آخر : إذا استشاط السلطانُ تسلطٌ الشيطان

مثال آخر : شرٌ ما فى الرجل شحٌّ هالع وجُبن خالع

مثال آخر : الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف

مثال آخر : زر غِبًّا تزدد حبًّا

ومن قول الفصحاء : وجهه وسيم وفضله جسيم

ومثاله شعراً :

يقولون فى البستان للعين لذّةٌ ... وفى الخمر والماء الذى غيرِ آسن
إذا شئت أن تلقى المحاسن كلّها ... ففى وجه من تهوى جميعُ المحاسن

ومن قولى :

غَرَف الإمامُ الفردُ عبد الواسع ... من كلّ علم بالإناء الواسع
قرْمٌ رفيع القدر رايةُ مجده ... مضروبةٌ فوق الرّقيع التاسع
هو منهلُ الآمال أبناء المُنَى ... يَردُونَه من كل قطر شاسع
ما ضرّ من يحميه حرزُ ثنائه ... لسعاتُ أحداثِ الزمان اللاسع

ولأبى العلاء المعرّى كتاب كل الأشعار الواردة به من باب « لزوم ما لا يلزم » .

ومثاله فى الشعر الفارسى قول « مسعود الرازى »[١] :

از بس كى تو در هند ودر ايران زده ی تيغ
واز بس كى درين هر دو زمين ريخته ء ی خون
زين هر دو زمين هرجه كيا رويد تا حشر
بيخش همه روئين بود وشاخ طبر خون[٢]

ومعناها : — لكثرة ما ضربت بالسيوف فى الهند وإيران ، ولكثرة ما أهرقت من دماء فى هذين البلدين

— أصبح كل ما ينمو فى هذين القطرين إلى يوم الحشر ، أحمر الجذور عنابى الأغصان

ومن قولى بالفارسية :

سهم تو در زمين كشيده سپاه قدر تو بر فلك نهاده قدم
ناصح ملك تو قرين طرب حاسد صدر تو نديم ندم

ومعناها : — إن رهبتك قد قادت الجيوش فى الأرض ، وقدرك قد وضع الأقدام على الأفلاك
— وقد أصبح ناصحُ ملكك قرينا للطرب ، وأصبح حاسدُك نديماً للندم

١٠
تضمينُ المزدوج

ويكون بأن يورد الشاعر أو الكاتب فى عباراته أو أبياته لفظين أو أكثر مزدوجين وذلك بمراعاته لحدود الأسجاع والقوافى .

ومثاله من القرآن : « وجئتك من سبأ بنبأ يقين »

ومثاله من قول النبى : المؤمنون هيّنون ليّنون

ومثال آخر : المؤمن دَعِب لَعِب

ومن قول البلغاء : فلان زيّنَ بعلمه الجمّ وبجده الأشمّ زمانَه ، وفاق بفضله الباهر وحسبه الزاهر أقرانَه .

فكلمتا « زمانه » و « أقرانه » اللتان وقعتا فى نهاية الجملتين مسجعتان ، واعتماد الجملتين عليهما . أما هذه الألفاظ المتفقة الأواخر التى وقعت خلال كل جملة منهما مثل « علمه الجم » و « مجده الأشم » و « فضله الباهر » و « حسبه الزاهر » فمزدوجة .

---

(١) من شعراء الدولة الغزنوية اشتهر أمره أيام السلطان مسعود بن محمود الغزنوى (٤٢١ — ٤٣١) وقد ورد ذكره فى كتاب لباب الألباب ج ٢ س ٦٣ ، وكذلك فى تاريخ أبى الفضل البيهقى (س ٦٠١ من طبعة طهران)

(٢) كلمة « طبرخون » بمعنى شجرة الصفصاف الحمراء ، وكذلك العناب وتستعار للون الأحمر

واستعمال المزدوج يزيد العبارة جمالا ورواء ، ولو أنه لا حاجة إليه إذا اعتبرنا حدود الأسجاع الأصلية .

مثالٌ فارسي : فلان بسيرت گزيده معروفست ، وبخد متكارى دولت وطاعت دارى حضرت موصوف .

ومعناه : فلان بالسيرة النقية والطوية المرضية معروف ، وبخدمة الدولة وطاعة الحضرة موصوف

وقالوا فى مرثية إسماعيل بن عباد :

مضى الصاحبُ الكافى ولم يبقَ بعدَه كريمٌ يُروِّى الأرضَ فيضُ غمامه

فقدناه لما تمَّ واعتمَّ بالعُلى كذاك خسوفُ البدرِ عنه تمامه(١)

فالشاهد هنا فى لفظى « تمّ » و « اعتمّ » فهما مزدوجان .

مثال آخر من قولى :

تعوَّد رسمَ الوهبِ والنهبِ فى العُلى وهذان وقتَ اللُّطفِ والعُنفِ دابُهُ

فنى اللطف أرزاقُ العفاةِ هباته وفى العنفِ أعمارُ العداة نهابُهُ

فالشاهد فى هذين البيتين موجود فى الازدواج الواقع فى « وهب » و « نهب » وكذلك فى « لطف » و « عنف » .

ويقول « الفَرُّخى » :

جو جين قرطه بهم بر شكسته جعدِ كشن جو حلقهاء زره بُركره دو زلف دو تاه(٢)

ومعناه : — وقد اضطربت طُرته وتثنى شعره السكثّ المجعد مثل طيات ردائه

وامتلأت ذؤابتاه الملتفتان بالعُقَد مثل حلقات درعه ووقائه

ويقول شاعر آخر : هزاران جنبر از عنبر بروى روز بر بندى

ومعناه : إنك تعقد على صفحة النهار (أى وجهك الصبيح) كثيرا من الفلالات العنبرية (أى من الشعر الأسود الفاحم)

---

(١) هذان البيتان من قول أبى الفتح البستى وهما مرويان أيضا فى « تاريخ اليمينى » ص ٨٦ طبع لاهور

(٢) من قصيدة فى مدح السلطان محمود الغزنوى مطلعها :

ز بهر تهنيت عيد بامداد پگاه بر من آمد خورشيد نيكوان سپاه

ومعناه : — من أجل التهنئة بالعيد السعيد طلعت علىّ فى وقت الفجر شمس الحسان والملاح

وفرخى : هو أبو الحسن على بن جولوغ المتخلص بالفرخى من أهل سجستان . كان يجيد الشعر والموسيقى ، التحق بخدمة أمراء الصاغانيين (آل محتاج) مدة ثم التحق بالسلطان محمود الغزنوى فمدحه هو وأولاده ، وله بالإضافة إلى أشعاره كتاب فى نقد الشعر اسمه « ترجمان البلاغة » لم يصل إلينا ولكن « رشيد الدين الوطواط » حدثنا فى مقدمته أنه رآه وأنه استفاد منه فى تأليف « حدائق السحر » انظر ص ٦٩ ، ٨٩

ومثال آخر :

ز دينار كون بيذ وار سبيذ   زمين كشته زرين وسيمين سما

ومعناه : — بالدينار ابيضت صفحة الصفصاف والسحاب الأبيض
وأضحت الأرض ذهبية والسماء صافية فضية

فشواهد الازدواج نجدها فى هذه الأبيات فى الألفاظ « زره » و « كره » و « جنبر » و « عنبر » و « سبيذ » و « بيذ » .

١١
الاستعارة

الاستعارة فى اللغة بمعنى طلب العارية ، ومعناها اصطلاحا أن يكون للفظ معنى حقيقى فينقله الشاعر أو الكاتب من معناه الحقيقى إلى معنى آخر يستعمله فيه على سبيل العارية .

وهذه الصنعة موجودة بكثرة فى سائر اللغات والألسنة ، وإذا كانت الاستعارة مطبوعة ولم تكن بعيدة متصنّعة ، فإن رواء الكلام يكمل بها وتتم حليته بواسطتها .

ومثالها من القرآن : « واخفض لهما جناح الذلّ من الرحمة »

مثال آخر : « واشتعل الرأس شيبا »

مثال آخر : « فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون »

ومن قول النبى : « الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها »

ولعمرو بن العاص بن وائل السهمى خطبة فصيحة فى مدح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكلها استعارات مليحة ، ويقول فيها :

« إن ابن حَنْتمة بعَجت له الدنيا معاها ، وألقت إليه أفلاذ كبدها ، وانتقت له مُخّها ، وأطعمته شَحْمَتها ، وأمطرت له جوداً سال منه شِعَابُها ، ودفقَتْ فى محافِلها فمصّ منها مَصًّا ، وقَمَص منها قَمْصاً ، وجانب غَمْرَتها ، ومشى فى ضَحْضَاحها وما ابتلّتْ قَدَماه ، ألا كذلك أيها الناس . . قالوا نعم رحمه الله » .

ومثالها من النثر الفارسى :

بايذ كى سايهٔ شفقت فلان بر سر فلان كستراند ودامن عفو بر كناهان او بوشاند

ومعناه : يجب أن يُظلّ بشفقته رأس فلان ، وأن يسحب أذيال عفوه على أخطائه وجرائره

ويقول الشاعر :

ومن العجايب أن بيضَ سيوفنا تلد المنايا السُّودَ وهى ذُكُورُ

ويقول الأبيوردى[١] :

وفتيان صدقٍ يصدرون عن الوغى وأيدى المنايا دامياتُ الأظافر

فحاجتهم إحدى اثنتين من العُلى صدورُ العوالى أو فروعُ المنابر

ويقول « مسعود بن سعد » :

محمدت را همى فرو شُد سر كى عطارا همى بر آمد دم

آخر اين روزكار ناقص دوست لكذى زد كال را محكم

شد ز مردم تهى كنار جهان خاك را بر نشد هنوز شكم

ومعنى هذه الأبيات : — وقد انتكست رأس المحامد منذ لفظ عطاء بن يعقوب[٢] أنفاسه

— وبموته لطمت يد الزمان الغادر جبين « الكمال » لطمة محكمة

— وخلت الدنيا من الرجال ، ولم يمتلىء بهم إلى الآن جوف الثرى

ومثال آخر بالفارسية : خاك عمل از عنبر معزولى به

ومعناه : ترابُ العمل خير من عنبر البطالة والعزل

---

(١) الأبيوردى : هو أبو المظفر محمد بن أحمد الأبيوردى الأموى ، كان متفوقاً فى جميع العلوم وخاصة النحو واللغة والأنساب وقد توفى فى إصفهان سنة ٥٠٧ هـ
انظر معجم البلدان ج ١ ص ١١١ ، وكذلك معجم الأدباء ج ٦ ص ٣٤١ — ٣٥٨

(٢) هو عطاء بن يعقوب : من شعراء الدولة الغزنوية وعمالها ، كان معاصراً للسلطان إبراهيم بن مسعود (٤٥١ — ٤٩٢ هـ) ، وكذلك للشاعر المعروف مسعود بن سعد سلمان ، وقد رثاه «مسعود» بقصائد من بينها القصيدة التى روى منها « رشيد الدين » الأبيات الثلاثة السابقة

وكان عطاء بن يعقوب من أصحاب اللسانين يقول الشعر بالعربية والفارسية ولم يبق من ديوانيه فى هاتين اللغتين إلا قطع قليلة موجودة فى لباب الألباب ج ١ ص ٧٢ وكذلك دمية القصر . ويروى صاحب اللباب أن ديوانه العربى كان يشتمل على قصيدة عربية فى نعت سيد المرسلين على منوال قصيدة الأعشى ومطلعها :

أأعبد للدنيا الدنية أعبدا وفضل إلهى ماج كالبحر مزبدا

عطاء حبانا لا يحيط بسده حساب عطاء ألف عام مرددا

ومن لطيف قوله فى ذم الياسمين :

إليك الياسمين الغض عنى إليك فإن فيه شرّ فال

فنصفه منه يأس من وصال ونصف منه مين من خيال

وتوفى عطاء بن يعقوب فى سنة ٤٩١ هـ .

١٢
حسنُ المطلع

ويكون بأن يجتهد الشاعر فى أن يجعل أول بيت من قصيدته مطبوعاً مصنوعاً مشتملا على ألفاظ لطيفة ومعانى غريبة بديعة ، وأن يحترز من أن يورد به كلمات لا تكون مطابقة للفأل الحسن ، بحيث ترتاح الآذان لسماع هذا البيت وتنشط الطباع لإدراكه .

يقول المتنبى :

المجدُ عُوفى إذ عوفيتَ والكرمُ   وزال عنك إلى أعدائك الألم[1]

ويقول الأبيوردى :

تحيةُ مُزْنٍ بات يقرأها الرّعدُ   على منزلٍ جرّتْ به ذيلَها دعد

ويقول مسعود بن سعد :

ثق بالحسام فعهدُهُ ميمونُ   أبداً وقُلْ للنصر كُنْ فيكونُ

وقد حكى لى الإمام « أبو محمد الخرقى »[2] إن « شبل الدولة »[3] ذهب إلى كرمان قاصداً « مكرم بن العلاء » فدحه بقصيدة مطلعها :

دع العيس تذرعُ عرَضَ الفلا   إلى ابن العــلاء وإلاّ فلا

---

(١) هذا مطلع قصيدة قصيرة فى مدح سيف الدولة الحمدانى (انظر ديوان المتنبى ص ٢٧٦)

(٢) أبو محمد الخرقى : هو بهاء الدين أبو محمد الخرقى الذى ورد ذكره فى كتاب نزهة الأرواح وروضة الأفراح للشهرزورى على أنه من حكماء وقته ، وأن له تأليفات فى علم الهيئة والمقولات ، ويروى ابن الأثير فى حوادث سنة ٥٣٦ أن « أتسز خوارزمشاه » عند ما أغار على مرو قتل كثيراً من أهلها ، ولكنه استبق من بها من العلماء فنقلهم معه إلى خوارزم ، وكان من بينهم الفيلسوف أبو محمد الخرقى . وكانت وفاته سنة ٥٤٠ هـ . وهو ينسب إلى قرية كبيرة من توابع مرو اسمها « خره » عربت على « خرق »

(٣) شبل الدولة : هو أبو الهيجاء مقاتل بن عطية بن مقاتل البكرى الحجازى من شعراء النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى . كان من أمراء العرب وجاء إلى بغداد ثم نزح إلى خراسان وغزنين والتحق بعد رجوعه بالوزير السلجوقى نظام الملك (٤٠٨ — ٤٨٥) ، وما زال يتقرب إليه حتى قبل تزويجه ابنته فبقى معه فى خراسان طيلة حياته . فلما قتل الوزير رجع إلى بغداد ثم عزم على الخروج إلى كرمان فكلفه الخليفة المستظهر بالله (٤٨٧ — ٥١٢) أن يوصل كتابه إلى وزير كرمان أبى عبد الله مكرم بن العلاء . فلما أوصله إليه أكرم وفادته وأجزل صلته فدحه « شبل الدولة » بقصيدته التى ذكر مطلعها فى متن الكتاب . وتلاقى هنالك بمؤلف « حدائق السحر »

وقد ذهب « شبل الدولة » فى نهاية أيامه إلى ما وراء النهر وخراسان ووقع فى حب فتاة فى مدينة « هرات » ، فاستمر يقول فيها الشعر إلى أن اعتلت صحته ومات بمدينة « مرو » فى سنة ٥٠٠ هـ .

فلما سمع « مكرم بن العلاء » هذا البيت التفت إلى « شبل الدولة » وطلب إليه ألا ينشد باقى القصيدة ، ثم طلب غلاما وأمره بأن يحضر ألف دينار وناولها إلى « شبل الدولة » ، ثم قال له : إذا كانت جميع أبيات القصيدة فى جودة مطلعها لوجب مجازاة كل بيت من أبياتها بألف دينار ، ولست أملك فى خزانتى من الذهب ما يكفى لذلك . . . ! ! »

ولحسن المطلع أثر بليغ فى هَزِّ الممدوح الكريم .

ويقول أبو الفرج الرُونى :

ترتيب ملك وقاعدهٔ دين ورسم داذ   عبد الحميد أحمد عبد الصمد نهاذ

ومعناه : — لقد وضع عبد الحميد بن أحمد بن عبد الصمد أسسَ الملك وقواعد الدين ورسوم العدل والإنصاف

ومثال آخر من قولى :

منت خذايرا كى بتأييد آسمان   آمذ بمستقرِّ جلالت خذايكان(١)

ومعناه : — فالمنة لله أن أقبل المليك إلى مستقر جلاله مؤيداً بتأييد السماء

ولى أيضاً :

اى غريو كوس در كوش تو بانك ارغنون   چرخ فام از كرد جيشت كنبذ فيروزه كون

ومعناه : — يا من يصبح دقُّ الطبول كأنغام الأرغنون فى أذنك ، وتصبح السماءُ الزرقاء مسودة فى غبار جيشك

ولى أيضاً :

اى لب تو كونهٔ شراب كرفته   وعدهٔ تو عادت سراب كرفته

ومعناه : — يا من أخذت شفتك لون الشراب ، وأخذت وعودك عادة السراب

ويقول معزّى(٢) :

اى تازه تر از برك كل تازه ببر بر   برورده ترا خازن فردوس ببر بر

ومعناه : — يا من أنت أنضر عوداً من الورد الغض الرطيب ، ويا من غذاك خازن الفردوس بلبن صدره الحليب

---

(١) الجزء الأكبر من هذه القصيدة موجود فى كتاب « المعجم فى معايير أشعار العجم » ص ٢٠٧ — ٢٠٨

(٢) معزّى : هو أبو عبد الله محمد بن عبد الملك المعزّى النيسابورى أمير الشعراء على عهد السلطان سنجر السلجوقى . ومن الأقوال المشهورة التى يرويها صاحب اللباب ج ٢ ص ٦٩ أن معزى واحد من ثلاثة أشخاص نال كل منهم أعلى درجات الرفعة فى ثلاثة عصور متوالية ، فالرودكى بلغ الأوج على أيام السامانيين ، والعنصرى أيام الغزنويين ، والمعزى أيام السلاجقة . وقد مات فى سنة ٥٤٢ هـ

١٣
حُسنُ التخلُّص

وتكون هذه الصنعة بأن ينتقل الشاعر من الغزل أو النسيب إلى مدح ممدوحه بحيث يكون انتقاله على وجه مستطاب وطريقة مستملحة ، وأن يراعى فى ذلك سلاسة اللفظ ونفاسة المعنى ، وقد برّز « المتنبى » فى هذا السبيل ومن قوله :

نُوَدِّعهمْ والبينُ فينـــا كأنّـهُ   قَنا ابنِ أبى الهيجاء فى قلبِ فيلق[1]

ومن قوله أيضاً :

مرَّتْ بنا بين تِرْبَيْها فقلتُ لها   مِن أينَ جانسَ هذا الشادنُ العَرَبا
فاستضحكتْ ثم قالت كالمُغيث يُرَى   ليثَ الشرى وهو من عِجلٍ إذا انتسبا[2]

ويقول العنصرى[3] :

گر گلستان بباد خزان زرد شد رواست   بايد كى سرخ مانند روى خدا يگان

ومعناه : — جدير بالرياض إذا اصفرت بفعل رياح الخريف ، أما وجه المليك فيجب أن يبقى نضيراً محمراً

وأكثر « تخلصات » العنصرى طيبة جيلة ، وهو عند الفرس فى هذه الصنعة كالمتنبى عند العرب .

ويقول « كمالى »[4] فى مثال آخر جيــل ينتقل فيه من وصف القلم إلى مدح الممدوح ،

---

(١) من قصيدة مطلعها :

لعينيك ما يلقى الفؤادُ وما لقى   وللحب ما لم يَبق منى وما بقى

(انظر العرف الطيب ج ٢ ص ٣٥٨ — ٣٦٢ ، وكذلك الديوان طبع مصر سنة ١٨٩٨ ص ٢٦٢)

(٢) من قصيدة فى مدح المغيث بن على بن بشر العجلى مطلعها :

دمع جرى فقضى فى الربع ما وجبا   لأهــله وشفى أنى ولا كربا

(العرف الطيب ج ١ ص ٩٢ — ٩٦ وكذلك ديوان المتنبى ص ٧٠)

(٣) انظر ما سبق ذكره عن العنصرى فى ص ١٠٨

(٤) كمالى البخارائى : هو الأمير العميد كمال الدين جمال الكتاب كمالى البخارائى من كبار الكتاب والشعراء على عهد السلطان سنجر السلجوقى ، وكان يمتاز إلى تبريزه فى الأدب بالعزف على البربط وبكتابة الخطوط الجيلة . ويروى عوفى فى كتابه « لباب الألباب » (ج ١ ص ٨٦ — ٩١) أنه شرب ليلة فى مجلس السلطان سنجر حتى لعبت الخمر برأسه فأمره السلطان أن يعزف على البربط فرفض إطاعة أمره لما به من سكر شديد ، وغضب عليــه السلطان وأمر بإخراجه من مجلسه ، فلما أفاق فى الغداة أرسل إلى السلطان هذه الأبيات معتذراً :

از فضلهٔ نبيذ بمالى بساط شاه   آگه نبود بنده ز سود وزيان خويش
واكنون همى بترسم ز آن گفتهٔ خطا   زين جرم جز دو چيز نبينم امان خويش =

وفى اعتقادى أن أحداً من العرب أو العجم لم يستطع أن يأتى بما هو أجمل من هذا التخلص الذى يعتبر من أبدع آثار هذا الشاعر :

رخ تيره سر بُريده نـكونسار ومشك بار   كويذ كى نوك خامه دستور كشورم

ومعناه : — أسود الوجه ، مقطوع الرأس ، مقلوب الكيان ، يفوح بالطيب وكأنى قلم الوزير الكبير

ومن قولى :

كرفت ديذه من بيشه در جذائى تو   بسان كف خذاوند كوهر افشانى

ومعناه : — وقد احترقتْ عينى من فراقك لى ، ونثرت الدرر كما تفعل كف المليك

١٤
حُسن المَقْطَع

تكون هذه الصنعة بأن يجعل الشاعر آخر أبيات القصيدة مستملحا مستعذبا ، وأن يختمها بألفاظ فصيحة ومعانى لطيفة لأن أقرب أبيات القصيدة إلى سمع السامع هو آخر أبياتها ، فإن كان مليحا بقيت لذّته وأصبحت الأبيات السابقة ، مهما قلّتْ جودتُها وكانت رديئة ، نسيا منسيا .

ومن قول المتنبى[1] :

قد شرّف اللهُ أرضاً أنت ساكنُها   وشرّف الناسَ إذ سوّاك إنسانا

ويقول الغزّى :

بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله   وهذا دعاء للبرية شامل

= اول علاج آنكه بيرم دل از شراب   يك چيز ديكر آنكه ببرم زبان خويش

ومعناه : — بسبب فضلة من شراب نبيذٍ فى حضرة المليك ، لم أستطع أن أميز بين نفعى وضررى — والآن فى خشية من خطأ مقولتى ، لا أرى أمانا لى إلا بأحد شيئين

— أولهما أن أمنع نفسى عن الشراب والثانى أن أقطع لسانى عن كل قول

وكان « كمالى » معاصراً لـ « أوحد الدين على بن محمد بن إسحق الأنورى » الشاعر المعروف الذى توفى سنة ٥٨٧ هـ .

(١) من قصيدة فى مدح سعيد بن عبيد الله بن الحسن الأنطاكى . انظر ديوان المتنبى ص ١٤١ — ١٤٤

ويقول مسعود بن سعد :

تا دهد باغ وراغ را هر سال ‌ ‌ ‌ ربيع وخريف زينت حـور

زلف شاهسفرغم وروى سمن ‌ ‌ ‌ جشم باذام وديده انكور

باد عيشت بخرّمى موصوف ‌ ‌ ‌ باد روزت بفرّخى مذكور

روزكارت رهى وبخت غلام ‌ ‌ ‌ مملكت بنده وجهان مأمور

ز ازل دولت ترا توقيع ‌ ‌ ‌ تا ابد نعمت ترا منشور

تر وتازه خزان تو جو بهار ‌ ‌ ‌ خوش وخرّم رواح تو جو بكور

ومعنى هذه الأبيات :

— طيلة ما تعطى الحور زينتها للرياض والبساتين فى كل سنة أثناء الربيع والخريف

— بذؤابات الشاهسفرم ونقاء وجه الياسمين وحدقات اللوز وعيون الأعناب

— ليكن عيشك مقرونا بالهناء وليكن يومك مذكورا بالصفاء

— وليخضع لك الزمان وليطعك الحظ السعيد ، ولتخضع لك المملكة ولتأتمر بأمرك الدنيا

— وليصبح خريفك فى نضرة الربيع ، ولتصبح أمسياتك فى رقة البكور

ومثل هذا الدعاء الذى يقال فيه ما دام كذا ... لتبق أنت كذا ... ويسمى فى الفارسية بـ « دعاء التأبيد » ومثاله من قولى :

مباذا صدر تو بى من كى نارذ تا كه محشر

نه ممدوحى جهان جون تو نه مدّاحى فلك جون من

ومعناه : — لا أبعدنى الله عن جنابك فإن الدنيا لا تجلب ممدوحا مثلك ، ولا الفلك مداحا مثلى

١٥

حسنُ الطلب

وتكون هذه الصنعة بأن يطلب الشاعر فى بيتٍ من أبيات قصيدته ، شيئاً من ممدوحه ، على وجهٍ لطيف وبطريقة حلوة ، وأن يجتهدَ فى تهذيب الألفاظ والمعانى وأن يراعى شرائط التعظيم والاحترام فى خطابه .

ومن قول المتنبى[1] :

أبا المسك هل فى الكاس فضلٌ أنالُه ‌ ‌ ‌ فإنى أغنّى منــذُ حينٍ وتشربُ

---

(١) من قصيدة قالها المتنبي فى شوال سنة ٣٤٧ فى مدح أبى المسك كافور ، مطلعها :

أغالبُ فيك الشوق والشوقُ أغلب ‌ ‌ ‌ وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب ‌ =

ففي هـذا البيت نجد أن خصائص « حسن الطلب » جميعها حاصلة ، من حيث سلامة اللفظ ولطف المعنى وغرابة الأسلوب ، ولـكنه مع ذلك مقصّر من حيث تعظيم الممدوح .

وله أيضاً :

وفى النفس حاجات وفيك فطانةٌ ... سكوتى بيانٌ عنـدها وخطاب[١]

ومن أمثلته بالفارسية :

أدب مكير وفصاحت مكير وشعر مكير ... نه من غريبم وشاه جهان غريب نواز[٢]

ومعناه : — دع الأدب والفصاحة والشعر فلست غريبا بينما الملك يرعى كل غريب

ولأبى المعالى الرازى[٣] :

نواى من همه همچون زمانه باشذ زآنك ... همى نـكردذ زو كار مـن رهى بنوا

جه جيز باشذ زان خوبتر كى همّت تو ... ز يكديكر برهانذ زمانه را و مرا

ومعناها : — إن حظى جميعه أضحى كالزمان لا يصلح لى فيه أمر ولو مرة واحدة

— ولـكن أى شىء أجمـل من أن همتك وحدها تستطيع أن تخلصنى من الزمان وتحررنى من ربقته

= وفى هذه القصيدة يشير المتنبي إلى عقيدة المـانوية الذين يعتقدون أن الخير جميعه مصدره النور ، وأن الشر جميعه مصدره الظلمة فى بيته المشهور :

وكم لظلام الليل عنـدك من يد ... تخبر أن المـانوية تـكذب

(انظر ديوان المتنبي ص ٣٠٢)

(١) من قصيدة قالها فى مدح كافور فى شوال سنة ٣٤٩ مطلعها :

منى كنّ لى أنّ البياضَ خضاب ... فيخفى بتبييض القرون شـباب

وفى هذه القصيدة يقول بيته المعروف :

أعز مكان فى الدنى ظهر سابح ... وخير جليس فى الزمان كتاب

(انظر ديوان المتنبي ص ٣٦٠)

(٢) هذا البيت ينسبه صاحب « المعجم فى معايير أشـعار العجم » إلى « أبى شكور البلخى » — انظر ص ٣٨٣ ، طبع بيروت سنة ١٩٠٩ م .

(٣) أبو المعالى الرازى : أو « بلمعالى رازى » هو دهخدا أبو المعالى الرازى من شعراء آل سلجوق . وقد ذكر صاحب « اللباب » قصيدتين له فى ج ٢ ص ٢٢٨ — ٢٣٦ ، وذكر له « مجمع الفصحاء » منتخبات من قصيدة ثالثة فى الجزء الأول ص ٨٠ ، أما القصيدة الأولى فطلعها :

خروش من همه از چيست از نعيب غراب ... كه دور ساخت مرا از ديار وار احباب

ومطلع القصيدة الثانية :

حبـذا خسرو ايران ونشستنگه بار ... كه كند ديدن او ديده پر از رنگ ونـگار

ومطلع القصيدة الثالثة :

گر مشك زره دار بود ماه زره در ... ورسيم سمن بوى بود سرو سمن بر

ماهست ترا چهرة ومشكست ترا زلف ... سرو است ترا قامت وسيمست ترا بر

وقد مدح أبو المعالى فى هذه القصيدة « فخر الملك أبا الفتح مظفر » بن « نظام الملك الطوسى » =

١٦
مراعاة النظير

ما تدخله هذه الصنعة يسمّونه أيضاً بالمتناسب ... وتكون بأن يجمع الشاعر في بيت من أبياته جملة أشياء من جنس واحد كالشمس والقمر ، والسهم والقوس ، والشفة والعين ، والوردة وزهرة اللعل .

يقول الشاعر وقد أجاد القول :

أأخا الفوارس لو رأيتَ مواقفي والخيلُ من تحت الفوارسِ تَنْحَطُ
لقرأتَ منها ما تَخُطُّ يدُ الوغى والبيضُ تشكُلُ والأسِنَّةُ تَنْقُطُ

فقد جمع في البيت الأول موقف الحرب مع الخيل والفوارس وجميعها متناسبةٌ ومتناظرة . وجمع في البيت الثاني الوغى مع البيض والأسنة ، كما جمع « قرأت » و « شكل » و « نقط » وجميعها متناسبة ومتقاربة ، وبذلك جاوز هذان البيتان حدَّ الإعجاب وبلغا حد الإعجاز .

ويقول أبو المعالي الرازي :

از مشك همى تير زند نركس جشمت زان لا لهٔ روى تو زره ساخت ز عنبر

ومعناه : — إن نرجسة عينك تقذف بسهام من المسك ، ومن أجل ذلك فإن وجهك الشبيه بشقائق النعمان جعل من العنبر (أي من شعرك) درعا

ومثال آخر من قولي :

جون فنـــدق مهر تو دهانم بر بست بار غم تو جو كوز بشتم بشكست
هر تير كي از جشم جو باذام تو جست در خسته دلم جو مغز در بسته نشست

ومعناها : — إن حبي لك قد عقد فمي كالبندقة ، وأحمال لوعتي عليك قد كسرت ظهري كما تكسر الجوزة . . . ! !
— وكل سهم انبعث من عينك الشبيهة باللوز ، قد استقر في قلبي الجريح كما استقرّ لب الفستقة في داخل قشرها

ولستُ أستطيع مدح نفسي لقولي هذين البيتين ، لأن ذلك نوع من الرعونة ، ولكني ذكرتُ في هذين البيتين أربعة أنواع متناسبة من الفاكهة ، وكذلك أربعة أعضاء من أعضاء الإنسان . وقلما يخلو شعر عربي أو عجمي من هذه الصنعة ، ولكن درجات الحسن تتفاوت فيه وتختلف .

= وزير بركيارق (٤٨٦ — ٤٩٨) والسلطان سنجر (٤٧٩ — ٥٥٢ هـ) . وقد قتل « أبو المعالي » في سنة ٥٠٠ هـ على يد الباطنيّة .

١٧

المدحُ المُوَجَّه

. يقصد بالمُـوَجَّـه فى الفارسية : ما يحتمل أن يكون على وجهين[١] . . . وتكون هذه الصنعة بأن يمدح الشاعر ممدوحه بصفة من الصفات الجيدة بحيث يقرنُ بهـا صفةً حميدة أخرى من صفاته ، فيحصل بذلك مدح الممدوح على وجهين .

يقول المتنبي :

نهبتَ من الأعمار ما لو حويتَـهُ   لهُـنِّئت الدنيـا بأنَّـك خالد[٢]

فقد مدح الشاعر فى بداية هذا البيت ممدوحه بالشجاعة والإكثار من قتل الأعداء كما مدحه فى نهايته بكمال العظمة والشرف حيث قال إنهم يهنئون الدنيا لدوامه وخلوده ، ويقول « ابن جنى »[٣] لو لم يمدح « المتنبي » « سيفَ الدولة » إلا بهذا البيت لـكفاه فخراً لا يستطيع الزمانُ أن يُبلى جدتـه .

وللمتنبي أيضاً[٤] :

عمرُ العـدوِّ إذا لاقاه فى رهجٍ   أقلُّ من عمر ما يحوى إذا وهبا

ففى بداية البيت مدحه بفرط الشجاعة وفى آخره بفرط السخاء .

وله أيضاً[٥] :

تُشرقُ تيجانُـه بغرَّتِـه   أشراق ألفاظه بمعناها

فقد مدحه فى بداية البيت بالصباحة ، كما مدحه فى نهايته بالفصاحة .

---

(١) عبر عن هذا المعنى بالعبارة الفارسية التالية : « پارسى موجَّـه دو روبه با شد »

(٢) من قصيدة للمتنبي مطلعها :

عواذل ذاتِ الخال فىَّ حواسد   وإنَّ ضجيعَ الخودِ منى لماجد

(انظر ديوان المتنبي ص ٢٤٢)

(٣) ابن جنى : هو أبو الفتح عثمان بن جنى صاحب التأليفات العـديدة فى اللغة والأدب وقد توفى فى سنة ٣٩٢

(٤) من قصيدة قالها فى مدح المغيث بن على العجلى مطلعها :

دمع جرى فقضى فى الربع ما وجبا   لأهـله وشفى أنى ولا كربا

(انظر الديوان ص ٧٠)

(٥) من قصيدة فى مدح عضد الدولة الديلمى مطلعها :

أوهِ بديلٌ من قَـولتى واها   لمن نأت والبـديل ذكراها

(انظر الديوان ص ٤٠١)

ومن قولى بالفارسية :

آن كنذ تيغ تو بجان عدو　　كى كند جود تو بكان گهر

ومعناه : — إن سيفك يفعل بروح الأعداء ما يفعله جودك بمعدن الجواهر

ومن قول شاعر آخر :

ز نام تو نتوان آفرين گسست جنانك　　گسست نتوان از نام دشمنت نفرين

ومعناه : — لا يجوز فى الإمكان الانقطاعُ عن الإعجاب باسمك ، كما لا يجوز فى الإمكان الانقطاع عن شتم خصمك

١٨
المحتمل للضدّين

ويسمونه أيضاً بـ « ذى الوجهين » ، ويكون بأن يقول الشاعر بيتاً من الشعر يحتمل معنيين أحدهما للمدح والآخر للهجاء .

ويروى « جرابُ الدولة »[١] فى كتابه أن أحد الظرفاء من أهل الفضل قال لحائك ثياب اسمه « عمرو » كانت له عين واحدة : « لو أنك استطعت أن تَحيك لى ثوباً بحيث لا يقدر أحد أن يتبين إن كان قباء أو جُبَّة فإننى سأقول فيك بيتاً بحيث لا يستطيع أحد أن يتبين إن كان مدحا أو هجاء . . . ! » فحاك له عمرو هذا الثوب ، وقال فيه هذا الشاعر الظريف البيت التالى :

خاط لى عمروٌ قَبَـا　　ليتَ عينيــــه سَوَا

ففى هذا البيت تمنى الشاعر لو كانت عينا عمرو سواء ، وليس يعلم أحدٌ أيريدهما سواء فى الإبصار أو فى عدم الإبصار لأن الشطرة الأخيرة تحتمل المعنيين .

ومن قول العنصرى :

اى بر سر خوبان جهان بر سرهنك　　پيش دهنت ذرّه نمايذ خرجنك

ومعناه : — يا من أنت القائد على رأس الحسان
وأمام فمك (أمرك) يبدو ضئيلا السرطان

---

(١) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن علوية من أهل سجستان الدين عاصروا آل بويه والخليفة المقتدر (٢٩٥ — ٣٦٧) ، وله تأليف اسمه « ترويح الأرواح ومفتاح السرور والأفراح » ، انظر معجم الأدباء ج ٢ ص ٦٢ — ٦٣

ومن قولى :

ای خواجه ضیا شوذ ز روی تو ظلم　　با طلعت تو سور نمایذ ما تم

ومعناه : — أيها السيد إن الظلام ليصبح نورا على طلعتك ، وبطلعتك ينقلب المأتم عرسا
أو — أيها السيد إن الضياء ليصبح ظلمة على طلعتك ، وبطلعتك ينقلب العرس مأتما

ويقول الشاعر :

روسبي را محتسب داند زدن　　شاذ باش ای روسبي زن محتسب

ومعناه : — إن المحتسب يعرف كيف يضرب العاهرات ، فاهنأ أيها المحتسب الذى يعاقب العاهرات
أو — إن المحتسب يعرف كيف يضرب العاهرات ، فاهنأى بالا أيتها العاهرة يا امرأة المحتسب

---

١٩ .
تأكيدُ المدح بما يُشبه الذمّ

ويكون ذلك بأن يؤكد الكاتب أو الشاعر مدحه لشيء بأن يذكر شيئاً آخر فى مناقبه ومحامده بطريقةٍ تجعل السامع يظن أنه يريد أن يذمّه وأن يرجع عن مدحه

ومثاله : هم بحار العلم إلا أنهم جبال الحلم

ومثاله فى الفارسية : فلان مردى فصيح است جز آنك خط نيكو دارذ

ومعناه : — فلان فصيح القول إلا إن خطّه جميل

ويقول النابغة الذبيانى :

ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفهم　　بهنّ فلولٌ من قراع الكتائب

ويقول النابغة الجعدى :

فتًى كملت أخلاقُه غيرَ أنّه　　جوادٌ فما يُبقِى من المال باقيا

والبيت التالى من قول بديع الزمان الهمذانى ، وقد أبدع كل الإبداع فى صنعته ، وقد قرأته فى مدينة بلخ أمام « الغزّى » فمكث يعمل فيه فكره أكثر من أسبوع وهو يحاول أن يقول مثله ، وفى النهاية اعترف بعجزه عن محاكاته ، وقرر أن أحداً قبل بديع الزمان لم يقل مثل هذا البيت وأن أحداً من بعده سوف لا يستطيع مثله :

هو البدرُ إلاّ أنه البحر زاخر　　سوى أنه الضّرغام لكنه الوبل

ويقول « قمرى » :

همى بفرّتو نازند دوستان لـكن بى نظيرى تو دشمنان دهند اقرار

ومعناه : — إن الأصدقاء يباهون بعظمتك ، ولـكن الأعداء يقرون بأنه لا نظير لك

ويقول « الدقيق » :

زلف كژّ ولـكنْ بقدّ وقامت راست بتن درست ولـكن بجشمكان بيمار

ومعناه : — معوج بذؤابته ولـكنه معتدل بقده وقامته ، صحيح الجسد ولـكنه سقيم العيون

ومن قولى :

ترا پيشه عدلست لـكن بجود كند دست تو بر خزاين ستم

ومعناه : — إن دأبك العدل ، لـكن يدك فى الجود تظلم الخزائن

٢٠
الالتفـــات

تـكون هذه الصنعة — كما يقول بعض أهل العلم — بأن تنتقل بالعبارة من المخاطبـة إلى المغايبة أو من المغايبة إلى المخاطبة ، وكلا النوعين موجود فى القرآن .

فمثل الانتقال من المخاطبة إلى المغايبة قوله تعالى : « حتى إذا كنتم فى الفُـلك وجَـرَيْن بهم »

ومثل الانتقال من المغايبة إلى المخاطبة قوله تعالى : « مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين » ، وقد ينتقل من المغايبة إلى المتكلم ، قال عزَّ من قائل : « والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فَسُـقْـنَاه ... »

وقال بعض أهل العلم إن الالتفات يكون بأن يقول الـكاتب معنى من المعانى ويتمه ، ثم يلتفت إلى هــذا المعنى فيذكر بعضه إما صراحة أو كناية ، على سبيل المثل أو الدعاء أو أى وجه آخر .

ومثاله من القرآن : « وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا »

ومن كلام الفصحاء : قَصم الفقرُ ظهرى ، والفقر من قاصمات الظهر

ومثاله بالفارسية : نيكى بايد كرد ودر جهان به از نيكى جيست

ومعناه : يجب عمل الإحسان فليس فى العالم خير من الإحسان

ومن قول « جرير » بالعربية وفيه التفات :

إذا بدتْ الخيامُ بذى طلوحٍ سقيتِ الغيثَ أيَّتها الخيامُ

أتنسى يوم تفصل عارضَيْها   بفرع بَشَامةٍ سُقى البَشَامُ

ومن قول أبي تمام :

وأنجدتُم من بعدِ إتهامِ دارِكم   فيادمعُ انجدنى على ساكنى نَجْدِ

ويقول جرير :

طرب الحمام بذى الأراك فشاقنى   لا زلتَ فى عَلَلٍ وأيْكٍ ناضر

ويقول « منجيك »[1] :

مارا جكر بتير فراق تو خسته شد   اى صبر بر فراق بتان نيك جوشنى

ومعناه : — لقد جُرحت كبدى بسهام فراقك ، فيا صبرا لفراق الحسان

ويقول شاعر آخر :

كاش من از تو برستمى بسلامت   اى فسوسا كجا توانم رستن

ومعناه : — يا ليتنى نجوت منك بالسلامة ، ولكن وا أسفاه كيف يمكن لى النجاة منك .!!

٣١

الإيهام

الإيهام فى اللغة بمعنى التخييل ، ولذلك يسمون هذه الصنعة بالتخييل أيضاً . وتكون بأن يذكر الكاتب أو الشاعر فى نثره أو نظمه ألفاظا يكون لها معنيان ، أحدهما قريب والآخر غريب . فإذا سمعها السامع انصرف خاطره إلى المعنى القريب بينما يكون المراد منها هو المعنى الغريب .

ومثال الإيهام قول الحريرى فى إحدى مقاماته :

« لم يزل أهلى وبعلى يَحُلُّون الصدرَ ، ويسيرُون القلب ، ويَمْطُون الظَّهر ، ويولون اليدَ ، فلما أردى الدهرُ الأعضادَ ، وفجعَ بالجوارح الأكبادَ ، وانقلب ظهراً لبطن ،

---

(١) قسم أبو هلال العسكرى الالتفات إلى قسمين ، عرف الضرب الأول منهما بأن يفرغ المتكلم من المعنى ، فإذا ظننت أنه يريد أن يجاوزه ، يلتفت إليه فيذكره بغير ماتقدم ذكره به . وعرف الضرب الثانى بأن يكون الشاعر آخذا فى معنى وكأنه يعترضه شك أو ظن أن راداً يرد قوله أو سائلا يسأله عن سببه فيعود راجعاً إلى ما قدمه ، فإما أن يؤكده ، أو يذكر سببه ، أو يزيل الشك عنه . (انظر الصناعتين ص ٣٨١ — ٣٨٢)

نبا النّاظرُ ، وجفا الحاجبُ ، وذهبت العينُ ، وفُقِدت الرّاحةُ ، وصَلَدَ الزند ، ووَهنت اليمينُ ، وضاع اليسار ، وبانت المرافق ، ولم تبق لنا ثَنِيّةٌ ولا ناب ...»[1]

فجميع الألفاظ المذكورة فى هذا الفصل ، ينصرف ذهن السامع إلى أن المقصود بهـا أعضاء الحيوان وأطرافه بينما المراد بها أشياء أخرى .

وفى حكاية عن «أبى على بن سينا» أنه جلس يوماً فى السوق فاجتاز به قروى يحمل على كتفه حَمَلا لبيعه ، فسأله أبو على : بكم هذا الحمل . . ؟ فقال القروى : بدينار . فقال أبو على : اترك الحمَلَ هنا واحضرْ بعد قليل لأعطيك ثمنه . وكاد القروى ينزل الحمل عن كتفه ولكنه علم أنه يحادث أبا على بن سينا ، فالتفت إليه وقال : «إنك حكيم عالم فلمَ جهلتَ أنّ «الحمَل» دائما فى مقابل «الميزان» وما دمت لم تزن الحمل فلن تأخذه إلى بيتك . . .» وتعجب أبو على من هذا الكلام وضاعف للقروى ثمن حَمَله ... ! وذلك أنه إذا نظرنا إلى لطف هذا الكلام وجدنا أن خاطر السامع ينصرف إلى «الحَمَل» الذى هو من صغار الضأن ، وإلى الميزان الذى يزنون به الذهب والفضة ، بينما قصد القروى بكلامه «برج الحمل» و «برج الميزان» اللذين يتقابلان دائما ، فقال فى ذلك نادرة مناسبةً لعلم الحكماء تليق بأبى على .

ويقول أبو العلاء المعرّى :

إذا صدق الجَدُّ افترى العمُّ للفتى مكارم لا تَكرى وإن كذب الخالُ

فكل من سمع الألفاظ الثلاثة «جد» و «عم» و «خال» انصرف ذهنه إلى الأقارب بينما المقصود بها أشياء أخرى .

مثال آخر من الشعر العربى قول الشاعر :

رمتنى بسهمٍ ريشُه الكحلُ لم يُضرْ ظواهرَ جلدى.وهو فى القلب جارحى

رمى الله فى عينَىْ بثينةَ بالقـذى وفى الغُرّ من أنيابها بالقوادح

فالشاهد فى هذه القطعة موجود فى ألفاظ البيت الثانى ، فليس المقصود بالعين والناب والقوادح هذه المعانى المعروفة التى تتعلق بأعضاء الجسد وإنما المقصود بها أشياء أخرى .

ويقول مسعود بن سعد[2]

وليلٍ كأنّ الشمس ضلّت مَمَرّها وليس لها نحو المشـارقِ مرجعُ

---

(١) انظر المقامة الثالثة عشرة البغدادية ، ص ١٢٠ من مقامات الحريرى طبع المطبعة الحسينية المصرية سنة ١٣٢٦ هـ .

(٢) يقرر عوفى فى كتابه لباب الألباب ج ١ ص ٢٤٦ أن «مسعود بن سعد» كان يقول الشعر =

نظرت إليـه والظـــلام كأنه | على العين غربانٌ من الجو وُقّعُ
فقلتُ لقلبي طال ليلي وليس لى | من الهم منجاةٌ وفى الصبر مَفْـزعُ
أرى ذنب السِّـرحان فى الجوساطعاً | فهل ممكنٌ أنَّ الغزالةَ تَـطلعُ

فالشاهد فى هــذه القطعة موجود فى البيت الأخير منها ، فـكل من سمع « ذنب السرحان » و « الغزالة » انصرف ذهنــه إلى « ذنب الذئب » أو إلى « الغزالة » بمعنى انثى الغزال ، بينما المقصود بهما أشياء أخرى .

ويقول الشاعر فى مثال آخر :

إنى رأيت عجباً فى بلادكم | شيخاً وجاريةً فى بطن عصفور(١)

ومثال الإيهام بالفارسية قول الشاعر :

من ز قاضى يسار مى جستم | او بزركى نموذ وداذ يمين

ومعناه : — إنى طلبتُ « اليسار » من القاضى فتعاظم وأعطى « اليمين »

فهنا يظن السامع أن المقصود باليسار واليمين ، اليـد اليمنى واليسرى بينما قصد الشاعر باليسار : المـال ... ، وباليمين : القَسَم

مثال آخر بالفارسية قوله :

اى سرو بلنـد پيش بالاى تو پست | در شاخ تو آويخته ام برگت هست

ومعناه : — يا شجرة السرو الفرعاء أن الرفيع أمام قدك وضيع
ولقد تعلقت بأغصانك ، وأنت القصد

فقد يُظَـن هنا أن المقصود بكلمة « شاخ » الغصن ، وبكلمة « برك » أوراق الشجر .

وكنت فى وقت من الأوقات بمدينة « ترمذ » ، وكان الأنبارى الشاعر دائم الاتصال بى وبقربى ، وكان يعرض علىَّ أشعاره ، ويسألنى عن الصالح منها والفاسد ، فجلس يوماً فى السوق فمر عليه غلام طباخ فأعجبه جماله فقال فيه هذا البيت :

آن كودك طبّاخ بر آن جندان نان | مارا بلبى همى ندارد مهمان

ومعناه : — إن هذا الغلام الطبّاخ لا يستضيفنا على قضمة واحدة من هذا الخبز الـكثير الذى معه

ثم التفت إلىّ وسألنى عن اسم هــذه الصنعة فأخبرته باسمها . وكان غرضه من كلمة

= فى ثلاث لغات : الفارسية والعربية والهندية . وأن له ديوانا فى كل لغة من هذه اللغات » . ويؤكد مسعود نفسه هذا المعنى فى بيته المعروف .

در پارسى وتازى در نظم ونثر كس | چون من نشان نيارد گويا وترجمان

ومعناه : — لا يستطيع أحد أن يأتى بمثيل لى فى قول الفارسية والعربية سواء فى النظم أو النثر

(١) عصفور بمعنى خشبة الهودج والمقصود بها هنا الهودج نفسه .

« لبى » شفة المحبوب بينما يظن السامع أن المقصود بهـا هو : « لب نان » بمعنى قضمة من الخبز .

وقد قال الأنبارى أمثلةً كثيرة لهذه الصنعة ، ولـكنها صادرة كلها عن طريق الطبع لا عن طريق التعلّم والتصنّع .

٢٢
التشبيهات

وتـكون هذه الصنعة بأن يشبه الـكاتب أو الشاعر شيئاً بشىء آخر فى صفةٍ من صفاته . ويسمى أهلُ اللغة الشىء الذى يشبهونه بالـ « مُشَبَّه » والذى يشبهون به بالـ « مُشـَبَّه به » .

وأجمل التشبيهات وأكثرها قبولا لدى الطباع ، هى تلك التى إذا انعكست وشُبِّـه فيها المُشَبَّهُ به بالمُشَبَّه فإن الـكلام يستقيم ، مع صحة المعنى وسلامته ، وصواب التشبيه وصحته ، مثل تشبيه الطُرَّة بالليل . فإنهم إذا شبهوا الليلَ بالطُرَّة ، كان التشبيه كذلك جيلا مقبولا .

ومثل تشبيه الهلال . بنعل الجواد ، فإنهم إذا شبهوا نعلَ الجواد بالهلال ، كان التشبيه كذلك حسناً .

أما إذا انعكس التشبيه ولم يبلغ درجة كماله من الحسن ، فإنه يجب أن يراعى — إذا كان « التشبيه » موجوداً حاصلا فى الأعيان — أن يكون « المشـبه به » كذلك موجوداً حاصلاً فى الأعيان . . . ؛ فلا شك أنه لا يستحسن ما اتبعه جماعة من الشـعراء وما زالوا يتبعونه من تشبيه شىء بشىء لا وجود له فى الخيال ولا فى الأعيان كما يشبهون « الفحم المشتعل » ببحر من المسك أمواجُـه من ذهب . فلا شك أنه لا وجود مطلقاً لبحرٍ من مسك أمواجُـه من ذهب . . ! ! وقد أُعجب أهلُ العصر بتشبيهات « الأزرق »[1] وفتنوا

---

(١) الأزرق : هو أبو بكر زين الدين الأزرق المروى عاش فى أيام طغان شاه بن الب أرسلان السلجوقى حاكم خراسان وقال فيه مدائح كثيرة .

وينسبون إليه نظم « كتاب السندباد » كما ينسبون إليه تأليف كتاب « ألفيه وشلفيه » ، وهو كتاب كتبه لمولاه طغان شاه الذى كان يشكو من ضعف فى قواه الجنسية فـكتب له « الأزرق » هذا الـكتاب حتى إذا قرأه ونظر إلى ما به من أشكال وتصاوير تحركت غرائزه الجنسية ونشطت .
ولا تعرف سنة وفاته ولـكنه مات فى أغلب الأحوال قبل سنة ٤٦٥ هـ .

بها افتتانا ، ولكنهم نسوا ، لما عليه من جهل ، أنّ تشبيهاته جميعها من هذا النوع ولا يجوز اتباعها .

وقد قسموا التشبيهات فى كتب صناعة الشعر إلى سبعة أقسام :

١ — تشبيه مطلق
٢ — تشبيه مشروط
٣ — تشبيه كناية
٤ — تشبيه تسوية
٥ — تشبيه عكس
٦ — تشبيه إضمار
٧ — تشبيه تفضيل

* * *

١ — التشبيه المطلق

ويكون بتشبيه شىء بشىء آخر بواسطة أداة التشبيه وبدون شرط أو عكس أو تفضيل أو ما شابه ذلك .

وأدوات التشبيه فى العربيــة هى « الـكاف » و « مثل » و « تحاكى » و « تشابه » وما إلى ذلك من الألفاظ .

وأدوات التشبيه فى الفارســية هى : « مانند » وممناها « مثل » و « گونى » وممناها « كأن » و « پندارى » وممناها « تَـظُـنُّ أن ، أو كأنما » ... وأشباه هذه الألفاظ .

وأمثلة التشبيه المطلق من القرآن :

« والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبهُ الظمآنُ ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً »

« مَثَلُ الذين كفروا بربِّهم أعمالُهم كرمادٍ اشتدَّتْ به الريحُ فى يومٍ عاصفٍ لا يقدرُون على شىء مما كسبوا » .

« والقمرَ قدَّرْناه منازلَ حتى عاد كالعرجونِ القديم »

« وله الجوار المنشآتِ فى البحر كالأعلام »

« كأنهم أعجازُ نخلٍ خاوية فهل ترى لهم من باقية »

« مثل الذين اتخذوا من دونِ الله أولياء كمَثَلِ العنكبوتِ اتخذت بيتاً وإنّ أوهن البيوتِ لبيتُ العنكبوت لو كانوا يعلمون »

وقد ألف « على بن عيسى »[1] صاحب كتاب الاشتقاق كتابا فى إعجاز القرآن ، أورد

(١) على بن عيسى : هو أبو الحسن على بن عيسى الرمانى الوراق . من فحول النحويين وعلماء الكلام من المعتزلة .

به جميع التشبيهات الموجودة فى القرآن ونبّه على ما بها من دقائق الحسن وغوامض اللطف

وأمثلة التشبيه المطلق من الكلام النبوى :

. . أصحابى كالنجوم بِأيّهم اقتديتُم اهتديتُم

. . الناسُ سواءٌ كأسنانِ المشط

وأمثلته من كلام الترسلين :

. . هو كالليثِ يومَ نزالهِ وكالغيثِ وقت نواله

. . أوجهُهم كالبدور الزاهرة ، وأكفُهم كالبحور الزاخرة

وباب التشبيهات المطلقة واسع عريض

ومن قول البحترى :

كأنما تبسم عن لؤلؤٍ منضّدٍ أو بَرَدٍ أو أقاح[1]

وللصاحب اسماعيل بن عباد فى تشبيه أبيات أرسلها إليه بعض أصدقائه :

أتتنى بالأمس أبياتُه تُعلّلُ روحى بروح الجِنان

كبَرْدِ الشّراب وبُرْدِ الشباب وظلٍّ الأمانِ ونيل الأمانى

وعَهْدِ الصِّبا ونسيمِ الصَّبا وصفوِ الدِّنان ورجعِ القِيان

ولأبى عثمان الخالدى[2] :

وليلةٍ ليلاءَ فى اللون كلون المفرق

كأنما نجومُها فى مغربٍ ومشرق

دراهمٌ منثورةٌ على بساطٍ أزرق[3]

= وهو مؤلف كتاب «أعجاز القرآن» وكذلك كتابين فى الاشتقاق باسم «الاشتقاق الكبير» و «الاشتقاق الصغير» .

(انظر معجم الأدباء ج ٥ ص ٢٨٠ — ٢٨٣ ، وابن خلكان ج ١ ص ٣٠٩ وبغية الوعاة للسيوطى ص ٣٤٤) .

(١) هذا البيت من قصيدة البحترى فى مدح عيسى بن إبراهيم مطلعها :

بات نديماً لى حتى الصباحْ أغيدُ مجدولُ مكانِ الوشاحْ

(٢) أبو عثمان الخالدى : هو أبو عثمان سعيد بن هاشم بن وعلة الخالدى . وقد اشتهر هو وأخوه أبو بكر محمد بن هاشم بن وعلة الخالدى باسم «الخالديّان» فقد كان كلاهما شاعرا من خواص سيف الدولة الحمدانى وهما من قرية «الخالدية» من قرى الموصل . وتوفى أبو عثمان حوالى سنة ٤٠٠ هـ وتوفى أبو بكر وهو أكبر الأخوين قبل ذلك فى سنة ٣٨٦ .

وقال فيهما صاحب يتيمة الدهر (ج ١ ص ٥٠٨) ما يأتى :

«إن هذين لساحران ، يغربان بما يجلبان ، ويبدعان فيما يصنعان ، وكان ما يجمعهما من أخوة الأدب مثل ما ينظمهما من أخوة النسب ، فهما فى الموافقة والمساعدة يحييان بروح واحدة ، ويشتركان فى قرض الشعر وينفردان ، ولا يكادان فى الحضر والسفر يفترقان ...» (انظر أيضاً فوات الوفيات ج ١ ص ١٧٣ — ١٧٩ وج ٢ ص ١٧٢ ، وكذلك الفهرست لابن النديم)

(٣) هذه الأبيات موجودة فى يتيمة الدهر ج ١ ص ٥٢٦

ويقول «أبو المعالي شابور» :

رفعتْ إلى الفَـمِ كاسها   كالشمسِ قَـبَّـلها القمرْ

ويقول الشاعر الفارسي :

بيار آن مى كى بندارى مكر ياقوت نابستى
ويا جون بر كشـيذه تيغ بيش آفتابستى

ومعناه : — احضر إلى هذه الخمر التى تشبه الياقوت الصافى
أو التى تحاكى السيف المرفوع أمام أشعة الشمس

ويقول «عَـمْعَـق»(٢) :

جهان جو جشم نـكاران خركهى كردذ
كى از خمار شبانه نشاط خواب كنند

ومعناه : — والعالم معقود الخيام كأعين الحسان التى تميل إلى النعاس بسبب خمار الليل

ويقول «أبو الفرج الرونى»(٣) :

شاخ امروذ كوئى وامروذ   دسته وكرد ناى طنبورست

ومعناه : — وكأنما غصن الـكمثرى طنبور ، وكأنما ثمار الـكمثرى مفاتيح أوتاره

ومن قولى :

رمح وحسام تو جو قلم بذ سكال را   سينه همى شكافذ وكردن همى زند

ومعناه : — إن رمحك وحسامك كقلم النمام ، يشق الصدور ويضرب الرقاب

* * *

(٢) عمعق البخارى : هو شهاب الدين عمعق البخارى من رجال القرن الخامس الهجرى ، وقد عاصر السلطان سنجر السلجوقى ، وعاش فيما وراء النهر لدى ملوك الدولة الأفراسيابية المعروفين بال «إيلك خانيين» وخاصة الملك «شمس الملك نصر» (٤٦٠ — ٤٧٢ هـ) والملك «خضر خان» .
وقد روى صاحب تذكرة الشـعراء أن عمعق البخارى نظم قصة يوسف عليـه السلام بحيث يمكن قراءتها على وزنين من أوزان الشعر . وقال إنه كان مبرزا فى قول المراثى وهو الذى رثى «ماه ملك خاتون» بنت السلطان سنجر بقوله :

هنكام آنـكه كل دمد از صحن بوستان   رفت آن كل شكفته ودر خاك شد نهان
هنكام آنـكه شاخ شجر نم كشد ز ابر   بى آب ماند نركس آن تازه بوستان

ومعنى هذين البيتين :

— فى الوقت الذى تتفتح فيه الورود فى صحن البستان
ذهبت هذه الوردة تحت أطباق الثرى واختفت عن العيان
— وفى الوقت الذى يبلل فيه الندى الأغصان والأفنان
ذوتْ نرجسة الحديقة الغضّة ، وأصبحت فى خبر كان ... !!

(٣) من قصيدة مطلعها :

روزكار عصير انـكور است   خم از ومست وچنك مخمور است

ومعناه : — الدهر كعصير الأعناب سكرت به الدنان وثملت به الأوتار والعيدان

٢ — التشبيه المشروط

ويكون بتشبيه شيء بشيء آخر بشرط من الشروط ، فيقولون : لو كان هذا لكان ذاك .

ومثاله : لا أشبه وجه مولانا إلا بالعيد المُقبل لو كان العيد تبقى ميامنه وتدوم محاسنه

. . هو كالبدر فى ارتفاع قدره وكالبحر فى اتساع صدره ، لو أن البحر لا يتغير ماؤه والبدر لا ينتقص ضياؤه

ومثاله فى الفارسية قولهم : فلان جون شير است اكر شير عقل دارد ، وجون ابر ست اكر ابر كوهر بارد

ومعناه : فلان كالأسد لو كان للأسد عقل ، وكالسحاب لو كان للسحاب من الجواهر وبل

ومن قولى :

عزماتُه مثلُ النجومِ ثواقباً　　لو لم يكن للثاقبات أُفُول

ومن قولى بالفارسية :

بماه و سرو از آنت نمى كنم تشبيه　　كى اين سخن بير عاقلان حطا باشذ

توبى جو ماه اكر ماه را كلاه بوذ　　توبى جو سرو اكر سرو را قبا باشذ

ومعناها : — لا أستطيع أن أشبهك بالقمر أو شجرة السرو لأن هذا التشبيه يكون خطأ عند العقلاء

— ولكنك كالقمر لو كان للقمر تاج ، وكشجرة السرو لو كان للسرو قباء

ويقول عَمْعَق البخارى :

اكر مورى سخن كويذ وكر مويى روان دارذ

من آن مور سخن كويم من آن مويم كى جان دارذ[1]

ومعناه : — إذا استطاعت النملة أن تتحدث ، واستطاعت الشعرة أن يكون فيها روح ، فإنى أنا هذه النملة المتحدثة وهذه الشعرة التى تدب فيها الحياة

* * *

٣ — تشبيه الكناية

وتكون هذه الصنعة بأن يكنّى عن « المشبه » بلفظ « المشبه به » بغير أداة من أدوات التشبيه .

---

(١) بقية هذه القصيدة موجودة فى كتاب لباب الألباب لمحمد عوفى ج ٢ ص ١٨١ وهى قصيدة مصنعة تبلغ الخمسة عشر بيتاً

ومثاله ما قالوه فى وصف قصيدة من القصائد :

عُرِضَتْ عليَّ تلك الغادةُ الحسناء والخريدة العذراء

وما قالوه فى وصف خطاب :

شاهدتُ من مساطر كلامه ومقاطر أقلامه روضاتِ حَزْنٍ بل جنَّاتِ عَدْنٍ

أو قوله : أعجبتنى عقودُ دُرِّه وعُقَدُ سحره

وقال قصاصّو العجم ووصَّافوهم :

« فلان در رزمگاه آمد ، بر شير شرزه نشسته ، وگرزه مارى در دست گرفته ، از زبرجد جزع ظاهر ميكرد ، واز نيلوفر ارغوان بيدا مى آورد »

ومعناه : جاء فلان إلى الموقعة وقد ركب أسدا هصورا وأمسك فى يده ثعبانا فتاكا ، فأظهر الجزع[1] من الزبرجد ، والأرجوان من النيلوفر »[2]

فراده من هذا الكلام تشبيه الجواد بالأسد الهصور ، وتشبيه الرمح بالثعبان الفتَّاك ، وتشبيه نعل الجواد بالزبرجد ، وتشبيه الغبار بالجزع ، وتشبيه السيف بالنيلوفر ، وتشبيه الدم بالأرجوان[3] . . . فحذف أداة التشبيه فى جميع هذه التشبيهات ، وكنىَّ عن المشبه بالمشبه به .

ومثاله من شعر المتنبى قوله :

بدت قَمراً ومالت خَوطَ بانٍ   وفاحتْ عنبراً ورَنَتْ غزالا[4]

ومن قول « أبى الفرج الوأواء » :[5]

قلنا وقد قَتَلَتْ فينا لواحظُها   كم ذا ، أما لقتيل الحُبِّ من قَوَدِ

---

(١) الجزع : نوع من الخرز الأسود والأبيض

(٢) « النيلوفر » زهر أزرق اللون يسمى بالعربية « قاتل النحل » ، والأرجوان تعريب كلمة « أرغوان » وهو زهر أحمر اللون

(٣) ننقل هنا أصل هذه العبارة بالفارسية لفائدته فى التطبيق على المثال :

« مراد ازين فصل تشبيه اسب است بشير شرزه ، ونيزه بگرزه مار ، وسم اسب بزبرجد ، وغبار بجزع ، وتيغ بنيلوفر ، وخون بأرغوان »

(٤) من قصيدته فى مدح أبى الحسين بدر بن عمار الطبرستانى ومطلعها :

بقائى شاء ليس هم ارتحالا   وحسنَ الصبر زموا لا الجمالا

(٥) أبو الفرج الوأواء : هو محمد بن أحمد أو محمد بن محمد الغسانى الدمشقى المعروف بالوأواء من المعاصرين لسيف الدولة الحمدانى وقد توفى ما بين سنتى ٣٩٠ و ٣٩٩ هـ ، وكان الوأواء مناديا فى دار البطيخ بدمشق ينادى على الفواكه وما زال يقول الشعر حتى جاد شعره وسار كلامه . وقد برز فى الاستعارات والتشبيهات حتى لقد كتب الحريرى إحدى مقاماته (وهى المقامة الثانية الحلوانية) فبناها على البيت الثانى من البيتين السابقين . (انظر فوات الوفيات ج ٢ ص ١٤٦ — ١٤٨ ويتيمة الدهر ج ١ ص ٢١٤ ، وكذلك دمية القصر)

فأمطرت لؤلؤا من نرجسٍ فسقت ورداً، وعضت على العُنّابِ بالبَرَدِ[1]

ويقول «العُنْصُري» بالفارسية:

كاه بر ماه دو هفته كرد مشك آرى بديذ
كاه مر خورشيد را در غاليه پنهان كنى
كه زره پوشى وكه جوكان زنى بر ارغوان
خويشتن را كه زره سازى وكه جوكان كنى[2]

ومعناها: — فأحياناً تُظهر المسك (أى طرتك السوداء) حول البدر المنير (أى وجهك المشرق) وأحياناً تُخفى الشمس (أى وجهك) فى الغالية (فى شعرك)
— وأحياناً تلبس الدرع وأحياناً تضرب الأرغوان (الخدود الحمراء) بالصوالج (الطرر الملتفة) وأحياناً تجعل من نفسك الدرع وأحياناً الصولجان.

ويقول «مُعِزّى».

عنّاب شكر بار تو هركه كى بخنديذ شايذ كى بخندند بعنّاب وشكر بر[3]

ومعناه: — كلما ضحك عُنابك (شفتك) الذى ينثر السكر، جاز لهم أن يضحكوا (يسخروا) من العناب والحلوى

ويقول «أبو العلاء الشوشترى»:

همى كرست وهمى نركسانش لا له كذاخت بيرك لاله بكذاخته نهفته زرير

ومعناه: — فيبكى وذاب اللعل (أى الدم) من نرجساته (أى عينيه) وذابت الصفراء من أوراق لمله (من مآقيه الحمراء)

***

٤ — تشبيه التسوية

وتكون هذه الصنعة بأن يأخذ الشاعر صفة من صفاته وصفة من صفات مقصوده، ويشبه الاثنتين بشىء واحد لأنهما من قبيله

ومثاله من قولى:

صُدْغُ الحبيبِ وحالى كلاهما كالليالى
ثُغورُه فى صفاء وأدْمُعى كاللآلى

---

(١) فى يتيمة الدهر «فتكت» بدل «قتلت» و «أسبلت» بدل «أمطرت» ج ١ ص ٣٠٨

(٢) من قصيدة فى مدح «أحمد بن الحسن الميمندى» مطلعها:

اى شكسته زلف يار از بس كه تو دستان كنى دست دست تست اگر با ساحران پيمان كنى
(ديوان عنصرى ص ١٣٤)

(٣) من قصيدة مطلعها:

اى تازه تر از برك كل تازه ببر بر ماه تو بزير اندر وسيمت بزبر بر
وقد ورد جزء من هذه القصيدة فى مجمع الفصحاء، ج ١ ص ٥٨٢

ويقول « المنطق » بالفارسية :

يك نقطه آيد از دل من وز دهان تو   يك موى خيزد ازتن من و ز ميان تو

ومعناه : — إن قلبي كثغرك أضحى نقطة واحدة (صيئلا كالنقطة)
وإن جسدى كوسطك أضحى شعرة واحدة (أى نحيلا كالشعرة)

ومن قولى بالفارسية :

درّ ست در دهانت وتيمار تو نهـــاذ   در ديذهٔ من آنج كى اندر دهان تست

ومعناه : — إن الدرر فى فمك ، ولـكن لوعى عليك وضعت ما فى فمك فى عينىّ

وللشاعر الفارسى « الفَرُّخِى » :

كفتم : ز دل خويش دهان سازمت اى دوست
كفتا : نتوان ساخت ز يك نقطه دهانى
كفتم : ز تن خويش ميان سازمت اى ماه
كفتا : نتوان ساخت ز يك موى ميانى(1)

ومعناها : — قلت : يا صديق ... سأجعل لك من قلبي فما
فأجاب : لا يمكن أن تجعل من النقطة الضيئلة فماً ...!!
— قلت : يا قرى الجيل ... سأجعل لك من جسدى وسطا ... !!
فأجاب : لا يمكن أن تجعل من الشعرة النحيلة وسطا ... !!

والبيتان التاليان من قولى وهما من لواحق هذه الصنعة :

تابنده جو ماه آسمانى   كردنده جو جرخ آسمانم
در حسن جو نقش برنيانى   در ضعف جو تار برنيانم

ومعناها : — أنت وضّاء كقمر السماء ، وأما أنا فدائر كفلك الجوزاء
— وأنت فى الحسن كرقائق الحرير ، وأنا فى الضعف كخيط من حرير

* * *

• — تشبيه العكس

وتـكون هذه الصنعة بأن يُشَبَّه شيئان مختلفان ببعضهما .

ومثاله : فـكم دمٍ أهرقناه فى البَرّ ، وشخصٍ أغرقناه فى البحر ، فأصبح البرُّ بحراً بدمائهم ، والبحرُ بَرًّا بأشلائهم

ويقول الرواة بالفارسية :

فلك از كرد ستوران جون زمين تيره فام شذ ، وزمين از حملهٔ سواران جون فلك بى آرام كشت .

(1) هذان البيتان من قصيدة قالها « الفرخى » فى مدح الأمير محمد بن محمود الغزنوى
(انظر ص ١٢٧ من كتاب حدائق السحر ، الأصل الفارسى)

ومعنى هذه العبارة بالعربية :

اسود الفلك بغبار الدواب فأضحى كالأرض سوداء الأديم ، ومادت الأرض بحملات الفرسان فأضحت كالفلك الدوار

ومثاله من الشعر العربي قول « الصاحب الكافى » :

رقَّ الزُّجاجُ ورقَّتْ الخمرُ فتشابها فتشاكلَ الأمرُ
فكأنَّهُ خمرٌ ولا قدحٌ وكأنَّها قدحٌ ولا خمرُ(١)

ومن قول القاضى منصور المروى(٢) :

الراحُ مثلُ الماءِ فى كاساتها والماء مثلُ الراحِ فى الغُدْران

و « لأبى المعالى شابور » قطعة جميلة من الشعر ، جميعُ أبياتها نادرة وعجيبة ، وفى آخرها بيت احتفظ فيه بهذه الصنعة دون استعمال أداة التشبيه ، وهذه القطعة هى التالية :

ما وحوشٌ آنسات فى الرضا حمرُ العيونِ
ترتدى كلَّ رداءٍ مُذْهَبٍ غيرِ مصونِ
تتَّقى القِرْنَ إذا دا رتْ رحى الحربِ الزَّبُونِ
بقُرونٍ من شفاهٍ وشفاهٍ من قرونِ

ويقول « المنصرى » بالفارسية :

ز سمّ ستوران وكرد سپاه زمين ماه رو وزمين روى ماه

ومعناه : — من حوافر الدواب وغبار الجيوش ، أضحت الأرض كوجه القمر وأضحى وجه القمر كالأرض

ومن قولى بالفارسية .

پشت زمين چو روى فلك كشته از سلاح روى فلك چو پشت زمين كشته از غبار
از سمّ مركبان شده مانند غار كوه وز شخص كشتكان شده مانند كوه غار

ومعناها : — لكثرة السلاح أضحى ظهر الأرض كفلك السماء (مضيئا)
ولكثرة الغبار أضحى وجه الفلك كظهر الأرض (مظلما)
— ومن حوافر الخيل أضحى الجبلُ كالغار (عميقا)
ولكثرة القتلى أضحى الغار كالجبل (مرتفعا)

***

(١) أورد الثعالبى فى يتيمة الدهر ج ٣ ص ٩٤ هذين البيتين ونسبهما إلى الصاحب بن عباد ؛ والظاهر أن الشاعر الفارسى أبا الحسن الكسائى المروزى الذى عاش فى أواخر أيام السامانيين وبداية الدولة الغزنوية استمد هذا المعنى وصاغه بالفارسية فى البيت الآتى المروى فى لباب الألباب ج ٢ ص ٣٥ :

آن صافئى كه چون بكف دست بر نهى كف از قدح ندانى ونه از قدح نبيذ

(٢) القاضى منصور المروى : المقصود به واحد من اثنين . الأول الحاكم أبو منصور المروى . وكان من المعاصرين للثعالبى صاحب « يتيمة الدهر » ، وقد ورد ذكره فى جزء ٤ ص ٢٤٣ ؛ والثانى القاضى أبو أحمد منصور بن محمد المروى وقد ذكره الميدانى المتوفى فى سنة ٥١٨ هـ فى « مجمع الأمثال » ج ٢ ص ١٤٥ من الطبعة المصرية

٦ — تشبيه الإضمار

وتكون هذه الصنعة بأن يُشبِّه الشاعرُ شيئاً بشيء آخر بحيث يبدو من ظاهر العبارة أن المقصود شيء آخر وليس هذا التشبيه ، بينما الذى يقصده الشاعر فى ضميره هو نفس هذا التشبيه .

ومثاله من قول المتنبي :

ومن كنتَ بحراً له يا عَـــلِى لم يقبل الدرَّ إلا كِبارا[1]

فقـد بدا من ظاهر البيت أن المقصود هو طلبُ الدرّ الثمين بينما كان مقصود الشاعر تشبيه الممدوح بالبحر .

ومن قولى :

إن كان وجهُـك شَـمْـعاً فـما لجِـسمى يذوبُ

ومن قول « مُعِـزِّى » بالفارسية :

كر نور مه و روشنى شمع تراست بس كاهش وسوزش من از بهر جراست
كر شمع توئى مرا جرا بايد سوخت كر ماه توئى مرا جرا بايد كاست

ومعناها : — إذا كان لك أنت نور القمر وضياء الشمع
فلماذا يكون لى أنا ، النقص والاحتراق ....!!
— وإذا كنت أنت الشمع ، فلمَ يجب علىّ أن أحترق ...؟!
وإذا كنت أنت القمر ، فلمَ يجب علىّ النقصان ...؟!

فظاهر البيت الأخير يوحى أن الشاعر يتعجب من ذوبان جسده ، بينما مقصوده الذى يضمره ، هو تشبيه وجه المعشوق بالشمع .

ومن قولى بالعربية :

وأَمْـرَعُ آمالى بفيضِ يمينه وهل تُـجْـدِبُ الآفاقُ والغيثُ هاطلُ

ويقول « مَنْـجيك » بالفارسية :

كر انـكبين لبي سخن تو جراست تلخ ور ياسمين برى تو بدل جونك آهنى

ومعناه : — إذا كنت معسول الشفاه ، فلماذا كلامك مرير ....؟!
وإذا كنت أبيض الصدر كالياسمين ، فلماذا قلبك كالحديد الصلد ..؟!

---

(١) من قصيدة المتنبي فى مدح سيف الدولة مطلعها :
أرى ذلك القربَ صار ازورارا وصارَ طويل السلام اختصارا
(انظر ص ٢٧٧ من ديوان المتنبي طبع مصر سنة ١٨٩٨)

ويقول شاعر آخر بالفارسية :

شوريده شوم من كى بجنبانى زلفين   ديوانه بشورذ كى بجنبانى زنجير

ومعناه : — كلما حركت ذؤابتيك ثرت كالمجنون ، لأن المجنون يثور إذا حركتَ سلاله

* * *

٧ — تشبيهُ التفضيل

وتكون هذه الصنعة بأن يشبه الشاعر شيئاً بشيء آخر ، ثم يعود فيفضّل المشبَّه على المشبه به .

ومثاله من الشعر العربى قول الشاعر :

حسبتُ جماله بدراً مضيئاً   وأين البدر من ذاك الجمال

ومن قول « أبى الفرج هندو »[1] :

من قاسَ جَدْوَاكَ بالغمام فما   أنصفَ فى الحكم بين هذين

أنتَ إذا جُدْتَ ضاحك أبداً   وهو إذا جادَ دامع العَيْن

ومن الشعر الفارسى قول « الفرُّخى » :

بقد كوئى سروست در ميان قبا   بروى كوئى ماهست بر نهاذه كلاه

جو ماه بوذ وجو سرو ونه ماه بوذ ونه سرو   كر نبندذ سرو وكله ندارذ ماه

ومعناها : — وكأنما قد المحبوب ، شجرة السرو التفت فى قباء

وكأنما وجهه ، القمر قد علاه التاج

— فهو كالقمر وكالسرو ؛ ولكنه ليس قمرا ولا سروا

لأن شجرة السرو لا تتمنطق على وسطها ، ولأن القمر لا تاج له على رأسه

ويقول « مسعود بن سعد » بالفارسية[2] :

طاهر ثقة الملك سپهرست وجهانست   نه راست نكفتم كى نه اينست ونه آنست

نى نى نه سپهرست كى خورشيذ سپهرست   نى نى نه جهانست كى اقبال جهانست

ومعناها : — إن ثقة الملك طاهر ، عالم كبير وفلك دائر

ولكننى لم أقل حقا ، لأنه ليس هذا ولا ذاك ... !!

— فهو ليس فلكا ... لأنه شمس الفلك ... !!

وليس عالما ... لأنه إقبال العالم ... !!

---

(١) أبو الفرج هندو : هو الحسين بن محمد بن هندو من المعاصرين للصاحب بن عباد واشتغل مدة بديوان الإنشاء لعضد الدولة (٣٦٦ — ٣٧٢) ، وقد توفى فى جرجان فى سنة ٤٢٠ هـ . انظر يتيمة الدهر ج ٣ ص ٢١٢ ، وكذلك فوات الوفيات ج ٢ ص ٤٥ — ٤٧

(٢) هذان البيتان واردان فى بداية قصيدة قالها مسعود بن سعد أثناء حبسه يستعطف بها « ثقة الملك طاهر ابن على بن مشكان » وزير السلطان مسعود بن إبراهيم (٤٩٢ — ٥٠٨) حتى يخلصه من محبسه (انظر حواشى « چهار مقاله » بقلم الأستاذ العلامه ميرزا محمد خان قزوينى)

٢٣

سِياقَةُ الأعداد

وتكون هذه الصنعة بأن يسوق الكاتب أو الشاعر ، فى نثره أو نظمه ، عدداً من الأسماء المفردة على نسقٍ واحد ، بحيث يكون كل واحد من هذه الأسماء له معنى قائم بذاته ، ويكون اسما كذلك لشيء آخر .

وهذه الصنعة أكثر قبولاً وأشد أسراً إذا اقترنت بازدواج اللفظ ، أو التجنيس أو التضادّ أو أى صنعة أخرى من صناعات البلاغة .

ومثالها مع التضادّ والسجع :

دفَعْنا إليه ، ووضعنا فى يديه ، زمام الحلّ والعَقْد ، والقُبولِ والردّ ، والأمر والنهى ، والإثبات والنفى ، والبسطِ والقبض ، والإبرام والنقض ، والهدمِ والبناء ، والمنع والإعطاء .

ومثالها من النثر الفارسى مع صنعة السجع :

بنده را تن وجان ، وخان ومان ، وزن وفرزند ، وخويش وپيوند ، فداى خدا وندست

ومعناه : ما أمتلكه من جسد وروح ، ونفس ومتاع ، ونساء وأولاد ، وأقارب وأصهار ، جميعهم فداء لمولاى

ومثالها من النثر الفارسى مع صنعة الازدواج :

فلان در علم وحلم ، ونسب وحسب ، ورشاد وسداد ، وكفايت وهدايت ، وتدين وتصوّن ، نادرهٔ زمان ، وواسطهٔ عقد أقرانست .

ومعناه : فلان نادرةُ الزمان ، وواسطةُ عقد الأقران ، من حيث العلم والحلم ، والنسب والحسب ، والرشاد والسداد ، والكفاية والهداية ، والتدين والتصون

ومثالها من الشعر العربى قول المتنبى :

فالخيلُ والليلُ والبيداء تعرفنى والطّعنُ والضربُ والقرطاسُ والقلمُ[١]

ومن قول « الفرخى » بالفارسية :

جائى زند او خيمه كى آنجا نرسد ديو جائى برد او لشكر كانجا نخزد مار

---

(١) من قصيدة له فى مدح سيف الدولة مطلعها :

وأحرّ قلباهُ ممن قلبه شبمُ ومن بجسمى وحالى عنده سقم

مالى أكتم حبا قد برى جسدى وتدعى حب سيف الدولة الأمم

(انظر ص ٢٠٢ من ديوان المتنبى ، طبع مطبعة هندية سنة ١٨٩٨ م)

اسب و كهر وتيغ بدو كيرد قيمت تخت وسبه وتاج بذو يابذ مقدار

ومعناها : — حيثما يضرب خيامه ، لا يستطيع أن يصل إليه شيطان ... !!
وحيثما يزحف بجيشه لا يستطيع أن يزحف ثعبان ... !!
— وبه تزيد قيمة الخيل والجواهر والسيوف
وبه يعلو قدر العرش والتاج والجيوش والصفوف

٢٤
تَنْسِيقُ الصِّفات

وتكون هذه الصنعة بأن يذكر الكاتب أو الشاعر شيئاً بجملة أسماء أو جملة صفات متوالية.

ومثاله من القرآن :

« هو الله الذى لا إله إلا هو الملكُ القدُّوسُ السلامُ المؤمنُ المهيمنُ العزيزُ الجبارُ المتكبِّرُ سبحانَ الله عمَّا يُشْرِكون »

ومثالٌ آخر من القرآن :

« يا أيُّها النبيُّ إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً »

ومثالٌ ثالث من القرآن :

« ولا تُطِعْ كلَّ حَلَّافٍ مَهينٍ همازٍ مشاء بنميمٍ ، مَنَّاعٍ للخير مُعْتَدٍ أثيمٍ ، عُتُلٍّ بعد ذلك زَنيم »

ومثاله من قول النبى :

« ألا أخبركم بأحبِّكم إلىَّ وأقربِكم منى مجالساً يومَ القيامة ، أحاسِنُكم أخلاقاً ، المُوَطَّأون أكنافاً ، الذين يألَفُون ويؤلفون ؛ ألا أخبِركم بأبغضِكم إلىّ وأبعدكم منى مجالساً يومَ القيامة ، أسْوَأُكُم أخلاقاً الثرثارون المُتَفَيْهِقُون »

ومن أمثلته قولهم :

فلانٌ حسنُ السِّيرة ، نقىُّ السريرة ، طيِّبُ الأعراق ، كريم الأخلاق ، طاهر النَّسَب . زاهر الحسَب ، حميدُ الشَّمايل ، كثيرُ الفضايل

ومن أمثلته بالفارسية قولهم :

فلان راست كفتار ونيكو كردارست و كوتاه دست وخويشتن دار

ومعناه : فلان صادق القول جميل الصنع ، طاهر اليد ، حازم النفس .

ومثاله من الشعر العربى قول العباس بن عبد المطلب فى مدح المصطفى عليه السلام :

وأبيضُ يُسْتَسْقَى الغمامُ بوجهِهِ ثِمالُ اليتامى عِصمةٌ للأرامل

ويقول شاعر آخر :

بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابُهم شُمُّ الأنوفِ من الطِّرازِ الأوَّلِ

ويقول « العنصرى » بالفارسية :

شاه كيتى خسرو لشكر كش لشكر شكن سايهٔ يزدان شه كشور ده كشور ستان

ومعناه : — مَلِك العالم الذى يسوق الجيوش ويحطم الجيوش
ظلّ الله الذى يمنح البلاد ويفتح الأقطار

وله أيضاً :

ببيش آن سبه كوه صفّ بيل صفت سبهر تاختن مار زخم مور شمار

ومعناه : — أمام ذلك الجيش المتراص كالجبال ، المصطف كالأفيال
الدائر كالفلك ، الناهش كالثعبان ، الكثير كالنمل

ويقول « مسعود بن سعد » فى وصف جواد :

بيار آن باذ باى كوه پيكر زمين كوب ره انجام تكاور

ومعناه : — فاحضر إلى ذلك الجواد الجامح الذى يشبه الجبل المشمخر
والذى يدق الأرض ويقطع الطريق فى سرعة وخفة

وله أيضاً :

جها نكير شاهى عدو بند شيرى صف آراى كردى سبه كش سوارى

ومعناه : — إنك الملك النازى والأسد الذى يأسر الأعداء
وأنت البطل الذى ينظم الصفوف والفارس الذى يقود الجيوش

٢٥

اعتراض الكلام قبل التمام

أو

الحشو

« اعتراض الكلام قبل التمام » : يسميه أرباب الصناعة بـ « الحشو » . ويكون ذلك بأن يبدأ الشاعر معنى من معانيه فى بيت من أبياته ، ثم يأتى بكلام آخر قبل أن يُتِمّ هذا المعنى ، ثم يعود ثانية فيتم معناه الأول .

والحشو على ثلاثة أنواع :

١ — حشو قبيح ٢ — حشو متوسط ٣ — حشو مليح

* * *

١ — الحشو القبيح

وذلك بأن يكون اللفظ الزائد لا محل له بحيث يفسد البيت بوجوده .

ومثاله : « أورثني تكلُّمهُ صداعَ الرأس والقلقا »

فإن لفظ « الرأس » زيادة مستكرهة لأن الصُداع لا يكون إلا فى الرأس .

ومثاله من الشعر الفارسى قول « كمالى »[1] :

از بس كه بار منَّت تو بر تنم نشست در زير منَّت تو نهان ومستَّرم

ومعناه : — لكثرة ما جثمت أحمال منتك على جسدى
أصبحت مستورا خافيا تحت أحمال منتك وأفضالك

فلفظ « نهان » فى هذا البيت زيادة مستقبحة تذهب بروائه لأنها فى معناها مماثلة للفظ « مستَّر » ، فلا حاجة لهذا التكرار الذى لا داعى له .

* * *

٢ — الحشو المتوسط

وذلك بأن يتساوى ذكر اللفظة الزائدة وعدم ذكرها ، فلا تكون مستقبحة غاية القبح ولا مستحسنة غاية الاستحسان .

ومثالة من قولى بالعربية :

وأنت ، لعَمْرُ المجد ، أشرفُ من حوى على رغم آنافِ العدى ، قصب المجـــد

فعبارة « لَعَمْرُ المجد » حشو متوسط ، وكذلك عبارة « على رغم آناف العدى» .

ومثاله من قولى بالفارسية :

ز هجر روى تو اى دل رباء سيمين تن دلم نديم ندم شـــد تنم عديل عنا

ومعناه : — لهجرك — يا سالب القلوب ، يا فضى الحسد
أصبح قلبي نديما للندم وجسدى قرينا للعناء

فعبارة « اى دل رباى سيمين تن » حشو متوسط فى هذا البيت .

* * *

---

(١) المقصود به كمالى البخارى من شعراء السلطان « سنجر بن ملكشاه » . وهذا البيت من قصيدة له مروية فى لباب الألباب ج ١ ص ٨٩ ومطلعها :

زلف نگار گفت كه از قير چنبرم شب صورت وشبه صفت ومشك پيكرم

٣ — الحشو المليح

بهذا النوع من الحشو يزدان البيت ، فيحسن الكلام ويزداد رونقه . ومن أجل ذلك يسميه الناس بـ « حشو اللَوْزِينَجْ » .

ومثاله من العربية :

إن الثمانين وبُلِّغتَها قد أحوجت سمعى إلى ترجمان[1]

فلفظ « وبُلِّغتَها » حشو مليح أجلُ من قصيدة برمّتها .

ومن قول « كُثَيِّر » :

لو أنّ الباخلين وأنت منهم رأوك تعلموا منك المطالا

فقوله : « وأنت منهم » حشو مليح .

ويقول « النابغة الجعدى » :

ألاَ زعمت بنو سعد بأنّى فقد كذبوا كبيرُ السنّ فانى

ومن قولى بالفارسية :

خيالات تيغش كه برّنده باذا منازل در أرواح أعدا كرفته

ومعناه : — أن خيال سيفه — وليجعله الله نافذاً —
قد استقر فى أرواح الأعداء

ومن قولى أيضاً بالفارسية :

در محنت اين زمانهٔ بى فرياذ دور از تو جنانم كى بذ انديش تو باذ

ومعناه : — أنا لمحن الزمان المتعنت — أبعده الله عنك ووقاك شرّه
قد صرت مشرّدا كما يصير الذى يفكر فيك بالسوء

فعبارة « دور از تو » حشو مليح فى هذا البيت .

---

(١) هذا البيت من قول ابن المنهال عوف بن محلم الخزاعى . وكان من حرّان والتحق بخدمة طاهر بن الحسين بن مصعب (١٥٧ — ٢٠٧) ثم التحق بخدمة ابنه عبد الله بن طاهر (١٨٢ — ٢٣٠) فلما بلغ الثمانين استأذن عبد الله فى العودة إلى موطنه ، فلما أذن له قال قصيدة فى مدحه منها هذا البيت ومطلع هذه القصيدة :

يا ابن الذى دان له المشرقان وألبس الأمن به المغربان

وترجمته موجودة فى معجم الأدباء ج ٦ ص ٩٥ — ٩٦ .

٢٦

المُتَلَوِّن

وتكون هذه الصنعة بأن يقول الشاعر بيتاً من الشعر بحيث تمكن قراءته على وزنين أو أكثر من أوزان الشعر .

ومثاله من الشعر العربي :

إنما الدنيا فداء دارِه   وبنو الدنيا فداء أُسرته

فإذا قرأت لفظة « فدا » بفتح الفاء مقصورةً في كلا المصراعين ، كان هذا البيت من « البحر المديد » ، وكان تقطيعه هكذا : فاعلاتن فاعلن فاعلن ... أما إذا قرأت لفظة « فداء » بكسر الفاء ممدودةً فإن البيت يكون على وزن « بحر الرمل » ، ويكون تقطيعه : فاعلاتن فاعلاتن فاعلن .

ومثاله بالفارسية :

اى بت سنگين دل سيمين قفا   اى لب تو رحمت وغمزه بلا

ومعناه : — أيتها الدمية الحجرية القلب البيضاء الجبين ، يا من شفتك رحمة وغمزات عينك بلاء

فإذا قرأت السين بالتخفيف من كلمة « سنگين » وكذلك السين من كلمة « سيمين » ، والتاء من كلمة « تو » ، والغين من كلمة « غمزه » ، فإن البيت يكون من « البحر السريع » ويكون على وزن : مفتعلن مفتعلن فاعلن . أما إذا قرأت هذه الحروف الأربعة مشددةً فإن البيت يكون من « بحر الرمل » ويكون تقطيعه هكذا : فاعلاتن فاعلاتن فاعلن .

وقد كتب « أحمد المنشوري » [1] مختصراً في الشعر المتلون ؛ وشرحه فيما بعد « خورشيدى » وأسماه « كنز الغرائب » . وهذا المختصر قائم بجملته على الأبيات المتلوِّنة . وقد أورد فيه بيتاً من الشعر يمكن قراءته على أكثر من ثلاثين وزناً .

---

(١) أحمد المنشوري : هو أبو سعد أحمد بن محمد المنشوري السمرقندي . كان معاصراً للسلطان محمود الغزنوي (٣٨٨ — ٤٢١) ، وقد اعتبره صاحب « چهار مقاله » ص ٢٨ قريناً للعنصري والعسجدي والفرخي انظر أيضاً « لباب الألباب » ج ٢ ص ٤٤ .

٢٧

إرسالُ المَثَل

ويكون ذلك بأن يذكر الشاعر مثلا فى بيته .

ومثاله فى العربية قول : « أبى فراس » :

تهون علينا فى المعالى نفوسُنا ومن نكحَ الحسناء لم يُغلِها المهر

ومن قول المتنبى(١) :

وحيدٌ من الخِلاَّن فى كل بلدةٍ إذا عظم المطلوبُ قلَّ المساعدُ
تُبكِّى عليهن البطاريقُ فى الدجى وهن لدينا مُلْقَياتٌ كواسِدُ
بذا قضتِ الأيامُ ما بين أهلها مصائبُ قومٍ عند قوم فوائدُ

ومن قولى القطعة الآتية :

تُحَيِّرنى من طرفه لحظاتُهُ وهل فى الورى من لا يُحَيِّرهُ السِّحر
أرى منهُ جمراً مُضرماً فى جوانحى وكل محبٍّ فى جوانحه جَمْرُ
لقد عيل فى الأحزان صبرى كلُّه ومن خالف الأحزان خالَفَه الصبر
عشقتُ وقلبى ضاع فى العشق سِرُّه وفى أى قلبٍ يُجمعُ العشق والسِّرُّ

ومثاله فى الفارسية قول « أبى المعالى الرازى » :

نا ديده روزكارم زان كاردان نيم آرى بروزكار شوذ مرد كاردان

ومعناه : — إنى لم أجرب دهرى ، ولذا فإنى لست خبيراً بالأمور
والخبير بالأمور هو حقا من جرّب الدهور

ويقول « مسعود بن سعد »(٢) :

دردا وحسرتا كى مرا بجرخ دزد وار بى آلت وسلاح بزد راه كاروان
جون دولتى نموذ مرا محنتى فزوذ بى كردن اى شكفت نبوذست كردران

ومعنى هذين البيتين :

— يا أسفا وحسرة ، إن الفلك كاللص قطع طريق قافلتى بغير ما آلة أو سلاح
— وكلما أقام دولتى زاد فى محنتى ، وكأنما لا لحم من الفخذ بغير عظام من الرقبة(٣)

---

(١) من قصيدة له مطلعها :

عواذل ذات الخال فىّ حواسد وإن ضجيع الخود منى لماجد

(٢) هذان البيتان من قصيدة قالها « مسعود بن سعد » فى حبسه ومطلعها :

مقصور شد مصالح جهانيان بر حبس وبند اين تن رنجور ناتوان

(٣) ورد المثل هنا فى الشطرة الأخيرة من البيت الثانى وهو قوله بالفارسية : « بى كردن نبوذست كردران » ، والمقصود منه أن القصاب لا يرضى أن يبيع لحم الفخذ إلا إذا باع معه قطعة من لحم =

ومن قولى بالفارسية :

عالم از بهر تو بپايد خـــداوند هنر　　　حادثات بحر غوّاص از بى كوهر كشد

ومعناه : — إنه يتجرع العالم طولا وعرضا من أجلك يا رب الفضائل
كما يتحمل الغواص حادثات البحار من أجل الجواهر

٢٨

إرسالُ المَثَلَيْن

وتـكون هذه الصنعة بأن يذكر الشاعر مَثَلَيْن فى بيت واحد .

ومثاله من الشعر العربى قول « لبيد » :

ألا كلُّ شيء ما خلا اللهَ باطلُ　　　وكلُّ نعيمٍ لا محالة زائلُ

ويقول « الأمير أبو فراس »[1] :

ومن لم يُوَقِّ اللهُ فهوَ مُضَيَّع　　　ومن لم يُعِزِّ اللهُ فهو ذليـــل

ويقول « المتنبي »[2] :

أعزُّ مكانٍ فى الدُّنا سرجُ سابحٍ　　　وخيرُ جليسٍ فى الزمان كتاب

ومن قوله أيضاً :

وكل امرىءٍ يولى الجميلَ مُحبَّبُ　　　وكلُّ مكان يُنْبِتُ العزَّ طيِّبُ[3]

= الرقبة ، ومن أجل ذلك نشأ المثل الفارسي الذى يقول : « كرد ران با كردن است » ومعناه : لحم الفخذ مع لحم الرقبة متلازمان .

وقال « ابن يمين » مستعملا هذا المثل :

در سفر بى خطر فتوحى نيست　　　هست بهلوى كرد ران كردن

ومعناه : — لا خير فى السفر الذى لا مشقة فيه
فإن لحم الفخذ مقترن دائما بعظام الرقبة

(١) من قصـيدة له كتبها إلى والدته ، وقد وقع فى أسر الروم وثقل من الجراح التى أصابته . ومطلع القصيدة : مصابى جليل والعزاءُ جميل　　　وظنى إن الله سوف يُزيل

(انظر يتيمة الدهر ج ١ ص ٤٤)

(٢) من قصيدة للمتنبي مطلعها :

مُنى كُنّ لى أنّ البياض خضاب　　　فيخفى بتبيض القرونِ شبابُ

(انظر ص ٣٦٠ من ديوان المتنبي طبع مصر سنة ١٨٩٨ م)

(٣) من قصيدة للمتنبي قالها فى شوال سنة سبع وأربعين وثلثمائة ، مطلعها :

أغالب فيك الشوقَ والشوقُ أغلب　　　وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

(انظر ص ٣٥٢ من ديوان المتنبي)

ويقول « العُنْصرى » بالفارسية :

جنين نمـايذ شمشير خسروان آثار   جنين كننذ بزركان جو كرد بايذ كار

ومعناه : — هكذا يفعل السيف الفاتك ، وهكذا يفعل الأكابر حين يجب العمل

ويقول « أبو الفتح البستى »

نه هرك تيغى دارذ بحرب بايذ رفت   نه هركه دارذ بازهر بايذ خورد

ومعناه : — لا يجب أن يذهب للحرب كل من يتملك سيفا ،
كما لا يجب أن يشرب السم كل من يمتلك ترياقا

ومن قولى بالفارسية :

لؤلؤ جه قدر دارذ اندر ميان بحر   كوهر جه قيمت آرذ اندر صميم كان

ومعناه : — فأى قيمة للؤلؤ فى وسط البحر وأعماقه ...!!
وأى قيمة للجواهر فى صميم المنجم وتحت أطباقه ...!!

٢٩

ذو القافيَتَيْن

وتـكون هذه الصنعة بأن يقول الشاعر قصيدة أو مقطوعة ويجعل لها قافيتين متجاورتين .

ومثالها قول « مسعود بن سعد » :

يا ليـلةً أظلمت علينا   ليلاءَ قاريَّـةَ الدُجُنَّـهْ
قد ركضَتْ فى الدُجى علينا   دُهْما خُـدَاريَّـةَ الأعِنَّـهْ
فبِـتُّ أقتـاتُها فكانت   حُبلى نهـاريَّةَ الأجنَّـهْ

ففى هذه القطعة نجد أن القافية الأولى عبارة عن الـكلمات « قاريَّـة » و « خداريَّـة » و « نهاريَّـة » . أما القافية الثانية فهى الـكلمات « دُجُنَّـه » و « أعِنَّـه » و « أجنَّـه » .

ومثاله من الشعر الفارسى قولى :

اى از مكارم تو شذه در جهان خبر   افـكنده از سياست تو آسمان سپر
صاحبقران ملـكى وبر تخت خسروى   هر كز نبوذه مثـل تو صاحبقران دكر
با راى پير و بخت جوانى كرده اند   اندر پناه جاه تو پير وجوان مقر
كيتى زبان كشاذه بمدح تو وفلك   بسته ز بهر خدمت تو بر ميان كمر
با موكب سيادت تو هم كتف شرف   با موكب سعادت تو هم عنان ظفر

ومعنى هذه الأبيات :

— يا من علمتْ الدنيا بمكارمك ، وأذعنت السماء لأحكامك
— إنك الملك صاحب القران ، الجالس على عرش الأكاسرة ، ولم يعرف الزمان مثيلا لك
— وبرأيك الكبير ، وحظك النضير ، قد استقر تحت رعايتك الكبير والصغير
— وقد لهجت ألسنة العالم بمدحك ، كما عقدت الأفلاك العزم على خدمتك
— والشرف مزامل لموكب سيادتك ، والظفر مقارن لمركب سعادتك

ولى جملة من القصائد التزمت فيها هذه الصنعة ، ولكن هـذا القدر يكفى للتمثيل فى هذا الموضع .

٣٠
تَجَاهُلُ العارِف

وتكون هذه الصنعة بأن يورد الشاعر أو الكاتب شيئاً ، فى نظمه أو نثره ، ثم يقول : لا أعلم إن كان هذا الشيء هكذا أو هكذا . ؟ ! فيدّعى الجهل به وهو مع ذلك يعلم حقيقته تماماً .

وهذا الأسلوب موجود فى القرآن الكريم ومثاله :

« وإنا أو إياكم لعلىٰ هُدًى أو فى ضلال مبين »

ومثاله من النثر العربى : لا أدرى أبدرٌ زاهر أم جبينه ، وبحرٌ زاخر أم يمينه .. ؟!

ومثاله فى الفارسية : فلان آدميست يا فرشته .. ؟!

ومعناه : هل فلان آدمى أو ملاك ..؟!

ويقول « قيس المجنون » :

بالله يا ظبياتِ القاع قُلنَ لنـا ليلاى منكن أم ليلى من البَشر

ويقول « زهير » :

وما أدرِي وسوف أخالُ أدرى أقوم آل حصنٍ أم نساء

ويقول « نصر بن الحسن » :

أحُلْمٌ ما أرىٰ منهم أم الإخوانُ خُوّان

ومن قول « المتنبى »[1] :

أريقُك أم ماء الغمامة أم خمر بفىَّ برودٌ وهو فى كبدى جمر

---

(١) مطلع إحدى قصائده فى مدح عبـد الله بن يحيى البحترى . انظر ص ٤٣ من ديوان المتنبى ، طبع مصر سنة ١٨٩٨ م .

ويقول العُنْصُرى بالفارسية :

در زير امر اوست جهان وجهان خوذ اوست
يا رب خـــذايكان جهانست يا جهان

ومعناه : — إن الدنيا مطيعة لأمره ، وهو نفسه الدنيا بأسرها ..!!
فيا رب ... هل هو سيد الدنيا ، أم هو الدنيا بأسرها ..!!

ومن قولى بالفارسية :

ز ابر تيره همچون ظلمت مشك همه عالم پر از نور يقين است
زمين است اين نذانم يا سپهرست سپهرست آن نذانم يا زمين است

ومعناها : — وبالسحاب الأسود القاتم كظلمة المسك امتلأ العالم بنور اليقين
— فلم أعد أعلم أهذه هى الأرض أم الأفلاك ، وهل تلك هى السماء أم الأرضين ..!!

٣١
السؤال والجواب

تكون هذه الصنعة بأن يرد فى البيت أو البيتين سؤال وجوابه .

ومثاله ما يقوله « على بن الحسن أبو الطيب »(١) :

قد قلت لها : هجرتنى ما العلة ؟! صدت وتمايلت وقالت : قِـلّة ..!!

ومن قول القاضى يحيى(٢) :

فتـــاةٌ ليس يشبهها فتاةٌ كأنّ حديثَها مسكٌ فُتَاتُ
علقتُ بها فقالت : خلّ عنى فَرَوْضى قد أضرّ بها النّبَاتُ
فقلتُ : دعى ففرجك لى دواةٌ وهل صلحت بلا صوفٍ دواتُ

والفرس يقدرون صنعة « السؤال والجواب » حقّ قدرها ، ويستعملونها فى القصيدة من مطلعها إلى نهايتها على نسق واحد .

مثال ذلك :

كفتم : مرا سه بوسه ده اى حور دلستان كفتا : ز حور بوسه نيابى درين جهان(٣)

---

(١) هو أبو الطيب على بن حسن بن على الباخرزى مؤلف كتاب « دمية القصر » المتوفى سنة ٤٦٧ هـ

(٢) هو القاضى أبو عمرو يحيى بن صاعد بن سيار الهروى كان معاصراً لنظام الملك (٤٠٨ — ٤٨٥) وللباخرزى . وسترد له أبيات أخرى عند الحديث على صنعة الترجمة .

(٣) هذا البيت هو مطلع قصيدة قالها « فَرُخى » فى مدح الأمير محمد بن محمود بن سبكتكين ، وقد =

ومعناه : — قلت لها : يا حُوريتي الآسرة لقلبي ، هلا أعطيتني ثلاث قبلات ..!!
فأجابت : وهل تستطيع في هذا العالم أن تُقبل الحوريات ..؟!

وهذه القصيدة برمتها على هـذا النحو . وهي من بدايتها إلى نهايتها تستعمل اللفظين « گفتم » و « گفتا » للسؤال والجواب . فإذا لم يوجد هذان اللفظان فيستعمل الشاعر غيرهما بمعناها .

ويقول « أمير مُعِزِّي » :

بيـــام دادم نزديك آن بت كشمير   كى زير حلقهٔ زلفت دلم چراست اسير
جواب داد كى ديوانه شذ دل تو زعشق   بره نيارذ ديوانه را مكر زنجير

ومعناها : — أرسلتُ إلى دميتي الكشميرية أسألها لماذا أضحى قلبي أسيراً لحلقات ذؤابتك .؟!
— فأجابتني : إن العشق قد ولهه فأصابه الجنون ، والمجنون لا يُقاد إلا بالسلاسل والقيود ..!!

٣٢

المُوَشَّـــح

الوشاح في اللغة الفارسية معناه « بربند » وهو أديم عريض يرصع بالجواهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحيها(١) . و « المُوشَّح » هو الذي اتشح بالوشاح وتقلده .

وصنعة « التوشيح » تكون بأن يورد الشاعر في أول الأبيات أو وسطها حروفاً أو كلمات ، بحيث إذا جمعت بعينها أو مع تصحيفها ، خرج لنا منها بيت أو مَثَل أو اسم أو لقب من الألقاب .

= وردت جملة أبيات منها في كتاب « لباب الألباب » ج ٢ س ٤٩ وهي الآتية :

گفتم : مرا سه بوسه ده اى شمسهٔ بتان   گفتا : ز حور تو بوسه نيابى درين جهان
گفتم : ز بهر بوسه جهان دگر مخواه   گفتا : بهشت را نتوان يافت رايكان
گفتم : كه كوز كرد مرا قدت اى رفيق   گفتا : رفيق تير نباشـد مكر كمان
گفتم : همى ترا نتوان ديد ماه ماه   گفتا : ستاره كم نتوان كرد ز آسمان
گفتم : ستاره نيست نكارا سرشكهاست   گفتا : سرشك بر نتوان چيدن از رخان
گفتم : ز آب ديدهٔ من روى تازهٔ   گفتاه : ز آب تازه توان داشت بوستان
گفتم : بروى روشن تو روى بر نهم   گفتا : نه كآب را ببرد رنـگ زعفران
گفتم : مرا فراق تو اى دوست پير كرد   گفتا : شوى بخدمت شاه جهان جوان
گفتم : ملك مؤيد مسـعود كامكار   گفتا : ملك محمد محمود كامران

(١) هذا هو تعريف « القاموس المحيط » وهو قريب من النص الفارسي ولذلك آثرنا نقله .

وفروع هذه الصنعة وشعابها كثيرة ، وهى مستعملة فى بعض القصائد ، ومن أمثلتها بضعة أبيات لى بالعربية :

يا صاحبى قد [مَرّ] أيــــامُ الأما [نة] والحياء
طَـلَّ القضاءُ [دمى] فطال لســانُ [ذىّ] للقضاء
يا صــاحبى [كُنْ] وافياً بالعهد وأ [مُرْ] بالوفاء

فالألفاظ المكتوبة بين الأقواس فى هذه القطعة ، إذا أخذ بعضها بعينه وبعضها مُصَحَّفا ، وقرئت بعينها من فوق إلى تحت ، ثم بتصحيفها من تحت إلى فوق ، خرج لنا منها المصراع الآتى :

مردى كن مردى به ومعناه بالعربية : اصطنع الرجولة فالرجولة خير

ومثاله مما قلته بالفارسية موشحاً بالحروف وليس بالكلمات :

معشوقهٔ دلم بتير اندوه بخست حيران شدم وكسم نمى كيرذ دست
مسكين تن من ز باى محنت شذ پست دست غم دوست بشت من خرد شكست

ومعناها : — إن معشوقتى قد جرحت قلبى بسهام الأحزان ، فأضحيت — ولم يأخذ أحد بيدى — مولها حيرانا
— وقد وطئت قدمُ المحنة جسدى فأردته ، وحطمت يدُ الحزن ظهرى فكسرته

فإذا أخذت الحروف التى تبدأ بها المصاريع الأربعة فى هذين البيتين وجمعتها خرج لك منها اسم « محمد » .

وإذا جعل التوشيح على شكل شجرة أسموه بالـ « مشجر » ، وإذا كان على شكل حيوان أسموه بالـ « مُجسَّم » أو « المُصَوَّر » ، وإذا كان على شكل دائرة أسموه بالـ « مُدَوَّر »[1] .

٣٣
المربَّع

المربع فى الفارسية معناه « چهارسو » وهو الذى يكون له أربع نواح ، ويكون « التربيع » بأن يقول الشاعر أربعة أبيات أو أربعة مصاريع بحيث إذا قرئت طولا أو عرضاً كانت واحدة .

---

(١) انظر أمثلة هذه الأنواع فى كتاب « المعجم فى معايير أشعار العجم » ص ٣٦٢ — ٣٧٢

ومثاله من قولى ، وإن كان لم يبلغ حد الحسن والكمال ، ولكنه كاف على سبيل المثال :

فؤادى	سباه	غزال	ربيب
سباه	بقد	كغصن	رطيب
غزال	كغصن	جناه	عجيب
ربيب	رطيب	عجيب	حبيب

ومثاله من الشعر الفارسى قول الشاعر :

بجانت	نكارا	كى دارى	وفا
نكارا	وفا كن	بدل	بى جفا
كى دارى	بدل	دوستتر	مرمرا
وفا	بى جفا	مرمرا	خوشترا

ومعناه : — بحياتك يا حبيبى هلا وفيت معى ..؟!
— وهلا وفيت مخلصا يا محبوبى فى غير جفاء ..!!
— وهلا أحببتنى بقلبك من صميمه ..!!
— وما أجمل الوفاء فى غير جفاء ... !!

ويقول شاعر آخر بالفارسية :

از فرقت	آن دلبر	من دايم	بيمارم
آن دلبر	كزعشقش	با دردم	وبيدارم
من دايم	بادردم	بى مونس	وبى يارم
بيمارم	وبيدارم	وبى يارم	وغم‌خوارم

ومعناه : — بسبب فرقى لحبيبى وأنا معتل على الدوام
— حبيب قد دنفت لعشقه ، وسهدنى بعده فلا أنام
— فظللت دائما عليلا ليس لى أنيس ولا صاحب بين الأنام
— وأصبحت العليل ، الساهر ، الوحيد المبتلى بالآلام

٣٤
المُسَمَّط

ويكون « التسميط » بأن يقسم الشاعرُ بيته إلى أربعة أجزاء ، ويراعى السجع فى الأجزاء الثلاثة الأولى منها ، ويجعل القافية فى القسم الرابع والأخير من البيت . وهذا النوع من الأشعار يسمونه أيضاً بالشعر المسجع .

ومثاله قول الحريرى فى المقامات[1] :

خَلِّ ادكار الأربعِ ، والمعهدَ المُرْتبعِ والظاعن المودّع ، وعَدِّ منه ودَعِ
واندب زماناً سلفاً ، سوّدت فيه الصُحفا ولم تزل معتكفا ، على القبيح الشَّنِعِ
كم ليـلة أودعتَها ، مآثماً أبدعتَها لشهوةٍ أطعتَها ، فى مرقد ومضجعِ
وكم خُطى حثثتَها ، فى خزيةٍ أحدثتَها وتوبةٍ نكثتَهـا ، للعب ومرتعِ
وكم تجرّأت على ، ربِّ السموات العُلى وكم تراقبـه ولا صَدَقْتَ فيما تدّعى

ومثاله من الشعر الفارسي قول أمير الشعراء « معزى » :

اى ساربان منزل مكن ، جز بر ديار يار من
تا يك زمان زارى كنم ، بر ربع واطلال ودِمَن
ربع از دلم بر خون كنم ، اطلال را جيحون كنم
خاك دمن كلـكون كنم ، از آب جشم خويشتن
كز روى يار خر كهى ، ايوان همى بينم تهى
واز قدّ آن سرو سهى ، خالى همى بينم جمن
جايى كى بوذ آن دلستان ، بادوستان در بوستان
شذ كرك وروبه را مكان ، شذ بوم وكركس را وطن
بر جاى رطل وجام مى ، كوران نهـادستند بى
بر جاى جنك ونا ونى ، آواز زاغست وزغن

ومعنى هذه الأبيات بالعربية :

— أيها الحادى لا تنزل إلا بديار الحبيب ، حتى أتمكن من البكاء لحظة على الربع والأطلال والدمن
— فأملأ الربع بدماء قلبي ، وأجعلُ الأطلال نهراً جارفا ، وأحيل تراب الدمن أحمر اللون من دموع عيني
— فقد خلا الإيوان — كما أرى — من وجه حبيبي ، وخلا البستان من قدّه الفارع المديد
— وقد أصبح مكانه حيث كان يلهو مع أحبته فى البستان ، مرتعا للذئاب والثعالب ووطنا للبوم والنسور والغربان
— وبدل الأقداح المليئة بالخمر ، أصبحت ترتع حمر الوحش ؛ وبدل ألحان العود والناى ، أصبحت تعلو صيحة الغراب والعقاب

***

ويجوز أن تزيد الأقسام المسجعة على ثلاثة ، ولـكن الأشهر والمعروف هو الثلاثى .

ويقول الفرس نوعا آخر من « المُسَمَّط » يقولون فيه خمسة مصاريع على قافية

(١) من المقامة « الحسين البصرية » ص ٥٩٦ ؛ وله مسمط آخر جميل فى المقامة الثانية عشرة « الدمشقية » ص ١١٤ من طبع مصر سنة ١٣٢٦ هـ

واحدة ، ثم يجعلون القافية الأصلية فى المصراع السادس الذى يكون عليه بناء القصيدة . وهذا هو المسمط القديم الأصلى ولو أنهم لا يعلمون الآن ذلك .

ومثاله من قول الأمير « منوچهرى » :

آمد بانك خروس موذن مى خواركان   صبح نخستين نموذ روى بنظاركان
كه بكتف بر فكند جاذر بازركان   روى بمشرق نهاذ خسرو سياركان
باذه فراز آوريذ چاره بيچاركان   قوموا لشرب الصَّبوحْ يا معشرَ النائمين

ومعنى هذه الأبيات :

— أذن الديك معلنا شاربى الخمر بأن الصبح قد أسفر عن وجهه لمرتقبيه
— وألقى نقابه على كتفه ، وأطل مليك الكواكب من المشرق
— فأحضر الخمر فإنها سلوى المساكين ، وقوموا لشرب الصبوح يا معشر النائمين ...!!

٣٥

المُلَمَّع

وتكون هذه الصنعة بجعل أحد مصراعى البيت من الشعر عربيا والآخر فارسيا . كما يجوز فيها أن يكون أحد الأبيات عربيا والآخر فارسيا ؛ أو أن يكون بيتان بالعربية ثم بيتان آخران بالفارسية ؛ أو أن تجعل عشرة أبيات بالعربية ثم عشرة أخرى بالفارسية .

ومثاله من قولى :

خذاوندا ترا در كامرانى   هزاران سال باذا زندكانى
وقاك الله نائبة الليالى   وصانك من مُلمَّات الزمانِ
توآن صدرى كى از صدر تو يابند   همه أرباب دانش كامرانى
جنابُك روضةُ الإقبال تُزرِى   أطايبُها بروضاتِ الجِنَانِ

وترجمة البيتين الفارسيين فى هذه المقطوعة هكذا :

— فيا مولاى ... ، لتدم حياتك آلاف السنين موفقا مظفرا
— فإنك الصدر الذى يلقى عنده أرباب العلم توفيقهم وظفرهم

٣٦
المُقَطّع

وتكون هذه الصنعة بأن يورد الشاعر بيتاً من الشعر لا تتصل حروف كلماته فى الكتابة

ومثاله من قولى بالعربية :

وإنى يُعظِّمُنى كلُّ حر ... ويُلبِسُنى من أياديه بُردا

وأدرك أن زرتُ دارَ ودودٍ ... دَرًّا ودُرًّا ووِرْداً ووَرْدا

ومثاله من قولى بالفارسية :

تا دل من هواى جانان كرد ... شدم از لهو وشادمانى فرد

زار وزردم ز درد آن دل دار ... درد دل دار زار دارد وزرد

ومعناه : — منذ عقد القلب محبته للحبيب ، وقد ابتعدت عن البهجة والسرور — وأصبحت حزينا مصفر الوجه بسبب لوعتى على هذا الحبيب ، ولوعة الحبيب تورث الحزن وصفرة اللون والشحوب ...

٣٧
المُوَصّل

وتكون هذه الصنعة بأن يقول الشاعر بيتاً من الشعر لا تقبل كلماته التقطيع فى الكتابة والرسم ، وقد أورد الحريرى مثاله فى المقامات .

وفى البيتين التاليين صنعة أخرى أغرب وأعجب من « التوصيل » وهى أن جميع حروفها منقطة وليس بها حرف واحد عاطل . وهذان البيتان هما :

فتنتنى فجنَّنتنى تجنِّى ... بتجنٍّ يَفْتَنُّ غِبَّ تجنى

شغفتنى بجَفْنِ ظبىٍ غضيضٍ ... غَنِجٍ يقتضى تَغيُّضَ جَفْنِى[1]

ومثاله بالفارسية قول الشاعر : بسكنمعشقتصعبستبتن

ومعناه : فما أكثر تباريح عشقك على جسدى

---

(١) انظر المقامة الحلبية وهى السادسة والأربعون من طبع مصر سنة ١٣٢٦ هـ .

٣٨

الحَـــذْفُ

وتـكون هـذه الصنعة بأن يطرح الشاعر أو الـكاتب حرفاً أو أكثر من حروف المعجم من نثره أو نظمه .

ومثاله من النثر العربي ما يروونه من أن واصل بن عطاء — وكان من رؤساء العـدل والتوحيد — كان يمتاز بفصاحة عظيمة تشوبها لثغة في نطق الراء ، فاجتهد ألا ينطق بهذا الحرف ، فسألوه يوما كيف يمكنه أن يقول : «اطرح رمحك واركب فرسك» ، وكان غرضهم من ذلك أن يضطروه إلى نطق « الراء » التي تـكثر في هذه العبارة . ولـكن واصلا أجابهم بقوله : «ألقِ قناتك واعلُ جوادك» . فتعجب الجميع من إجابته ومن قدرته على حذف « الراء » بحيث استطاع أن يجعل ذلك ملـكة خاصة به .

ومن أمثلة الحذف ، الخطبة التي أوردها الحريري في مقاماته ، وقد حذف منها كلّ الحروف المنقوطة ، وهذه الخطبة هي :

الحمد لله الممدوح الأسماء المحمود الآلاء الواسع العطاء المدعو لحسم اللأواء ... الخ[١]

ومن أمثلة حذف الألف في الفارسية قولهم :

دولت قرينهٔ حضرت تست ونعمت نتيجهٔ خدمت تو هركه بصـدر رفيع وحضرت منيع تو تمسّك كند بعزّ مخـلّد وفخر مؤبد رسد .

ومعناه : الدولة قرينة لحضرتك ، والنعمة نتيجة لخدمتك ، وكل من يتمسك بصـدرك الرفيع وقربك المنيع ، يصل إلى العز المخلد والفخر المؤبد

وقد حذف الحريري جميع الحروف المنقوطة من الأبيات الآتية[٢] :

أعدْدْ لحسّادك حدّ السلاح　　واوردْ الآملَ وِرْدَ السماح

وصارِم اللهوَ ووصلَ المـَها　　واعمِـل الـكومَ وسُمْرَ الرماح

واسع لإدراك محلٍ سما　　عمادُه لا لادّراع المِراح

والله ما السؤددُ حسوُ الطلا　　ولا مراد الحمد رودٌ رَدَاح

ومثاله من الشعر الفارسي قول الشاعر[٣] وقد حذف الألف :

زلفين بر شكسته وقدّ صنوبرى　　زير دو زلف جعدش دو خطّ عنبرى

---

(١) انظر المقامة السمرقندية وهي الثامنة والعشرون من طبع مصر سنة ١٣٢٦ ﻫ ص ٢٨٧ — ٢٩١

(٢) انظر المقامة الحلبية وهي السادسة والأربعون من طبع مصر سنة ١٣٢٦ ﻫ ص ٥٢٤

(٣) صاحب مجمع الفصحاء ينسب هذه القصيدة إلى « منجيك الترمذي » انظر ج ١ ص ٥٠٨

دو لب عقيق وزير عقيقش دو رشته دُرّ نركس دو جشم وزير دو نركس كل طرى

جشم ودو زلف ودو لب هرسه مشعبدند در يكدكر كرفته همه سحر ودلبرى

خلد برين شدست نكه كن بكوه ودشت صد كونه كل شكفته ز هر سو كى بنكرى

سرخ وسبيذ وزرد وبنفش وكبوذ ولعل نوروز كرده بر كل صد برك زركرى

خيره شوذ دو جشم تو جون بنكرى بذو هر سو كى بى نهى ندهذ دل كى بكذرى

كوئى كه مشتريست بهر نركسى درون رخشنده همجو دو رخ معشوق سمترى

ومعنى هذه الأبيات بالعربية :

— طرتان ملتفتان وقامة صنوبرية مديدة ، وتحت ذؤابتيه المجعدتين خطان من العنبر
— وله شفتان من عقيق ، وتحت عقيقتيه صفان من الدرر ؛ وعيناه نرجستان ، وتحت نرجستيه زهرتان غضتان
— وعيناه ، وذؤابتاه ، وشفتاه ، جميعها ساحرة مشعوذة ، وفيها جميع أنواع السحر وأسر القلوب
— وها كما الدنيا قد أصبحت كالخلد الأعلى ، فانظر إلى الوديان والجبال لقد اكتست حيثما نظرت بشتى الأنواع من الزهور المتفتحة
— الحمراء والبيضاء والصفراء والزرقاء والبنفسجية والقرمزية ، وقد كساها النوروز بالأوراق الذهبية
— فكلما التفتّ إليها احتارت عيناك ، وحيثما حللت لا تستطيع أن تغادر المكان الذى تنزل فيه
— وكأنما الكواكب داخل كل نرجسة ، والسمر وضّاء المحيا كوجنات الحبيب

ومثال آخر من الشعر الفارسى قولى :

خسرو ملك بخش كشور كير كه ز خلقش بعدل بيست كزير

خسرو شرق كز سر تيغش هست دشمن هميشه جفت نفير

قصر مجد وشرف بدوست رفيع جشم فضل وهنر بدوست قرير

ومعناه بالعربية :

— ملك وهاب للممالك فاتح للأقطار ، لا مفر لأحد من عدله
— ملك الشرق الذى جعل حدُّ سيفه الأعداءَ يتحملون الغارة دائما
— وبه أضحى قصر المجد والشرف رفيعا ، وبه أضحت عين الفضل والنبل قريره

٣٩

الرَّقطاء

الرقطاء فى اللغة هى ما كانت سوداء وامتزجت بها نقط بيضاء[1] . وتكون هذه الصنعة بأن يورد الكاتب فى نثره أو الشاعر فى شعره كلمات يكون أحد حروفها منقوطا والآخر عاطلا

---

(١) الرقطاء حسب تعريف « القاموس المحيط » هى السوداء المشوبة بنقط بيضاء أو العكس

ومثالها من قول « الحريرى » :

أخلاقُ سيّدنا تُحَبُّ ، وبِعَقْوَتِه يلبُّ ، وقربُه تُحَف ، ونأيه تَلَف ، وخُلَّتُهُ نسب ، وقَطيعته نَصَب . . . . الخ

وهذه الرسالة إلى آخرها على هذا النسق وهى معجزة للغاية[١]

ومثالها من قولى : سيدنا ذو خُلُق وخَلْق وظَرْفٍ ونُطْق

ومثالها بالفارسية من قول العامة : ايا جان من كجايى .. ومعناه : يا روحى أين أنت .. ؟

ومثال آخر من الشعر العربى قول الحريرى[٢] :

سيّدٌ قُلَّبٌ سبوقٌ مُبرٌ فَطِنٌ مُغْرِبٌ عَزُوفٌ عيُوفُ
مُخلِفٌ مُتْلِفٌ أغرُّ فريدٌ نابِهٌ فاضلٌ ذكىٌّ أنوفُ

ومن قولى بالفارسية :

غمزهٔ شوخ آن صنم خسته بهزل جان من

ومعناه بالعربية : — إن غمزه هذه الدمية الفاتكة ، قد جرحت قلبي وروحى بعبثها

٤٠

الخَيْفَاء

الخَيَفُ فى اللغة هو أن تكون عينا الجواد إحداهما سوداء والأخرى زرقاء[٣]

وتكون هذه الصنعة بأن يجعل الكاتب فى نثره أو الشاعر فى شعره ، كلمة من عبارته منقوطة وكلمة أخرى عاطلة غير منقوطة .

ومثاله من النثر العربى قول « الحريرى » فى إحدى رسائله :

الكرمُ ثَبَّت اللهُ جيشَ سعودك يزين ، واللوم غضّ الدهرُ جفنَ حسودك يشين . الخ

وهذه الرسالة إلى آخرها على هذا النسق[٤] .

ومثاله فى الفارسية قولهم : جيش ملك بى عدّ ، بخشش ملك بى حد

ومعناه : جيش الملك لا عدّ له ، وعطاؤه لا حد له

---

(١) يقصد بذلك المقامة السادسة والعشرين المعروفة بالرقطاء ، انظر ص ٢٦٤ وما يليها من مقامات الحريرى طبع مصر سنة ١٣٢٦ هـ .

(٢) هذه الأبيات واردة أيضاً فى المقامة السادسة والعشرين ، انظر ص ٢٦٥ من مقامات الحريرى .

(٣) فى تعريف القاموس المحيط ، إن « الخيف » فى الفرس وغيره زرقة إحدى العينين وسواد الأخرى

(٤) يقصد الرسالة الواردة فى المقامة المراغية وهى السادسة من طبع مصر . وهذه الرسالة الخيفاء مذكورة فى ص ٥٥ .

ومثاله من الشعر العربي قول « الحريرى » [1] :

اسمح فبثُّ السماح زين ... ولا تُخيِبْ آملاً تضيَّف

ولا تُجزْ ردَّ ذى سؤالٍ ... فَنَّنَ أم فى السؤال خَفَّف

ومثالٌ آخر من الشعر الفارسي قول الشاعر :

زين عالم شذ او ببخشش مال ... تيغ او زينت ممالك شذ

ومعناه : أصبح بمنح المال زينا للعالم ، وأصبح سيفه زينة للمالك

٤١

المُصَحَّف

وتكون هذه الصنعة بأن يستعمل الشاعر فى شعره أو الكاتب فى نثره ، كلمات إذا حُفظت على صورتها كانت مدحا وثناء وإنْ تغير نقطها أو حركاتها أصبحت قدحا وهجاء .

والمصحَّف على نوعين : الأول : مضطرب ، والثانى : منتظم

فالمصحَّف المضطرب هو ما اتصلت حروفه ببعضها ووجب بالجهد وإعمال الفكرة تبيين مقاطع كلماته ومفاصلها حتى يظهر التصحيف واضحا .

ومثاله : التصحيف فى « قسورة بن[2] محمد » حين قالوا فيه : « فى تنور هيثم جد »

ومثاله من النثر الفارسي : برو بشرى

ومثال آخر : كهتر تست

فيجب فى جميع هذه الأمثلة تبيين المقاطع والمفاصل .

أما المصحَّف المنتظم ، فهو ما أمكن فيه قراءة كل كلمة من الكلمات مصحفة على حدة ، لأن مقاطع الكلمات مبينة ، ومفاصلها معينة ، بحيث لا تكون هنالك حاجة إلى الجهد فى استخراجها .

---

(١) انظر المقامة الحلبية وهى السادسة والأربعون من طبع مصر ... ص ٥٢٨

(٢) هو أبو طلحة قسورة بن محمد الذى استخلفه أبو أحمد بن أبى بكر بن حامد من شعراء أحمد بن اسماعيل السامانى (٢٩٥ — ٣٠١) على أعمال هراة وبوشنج وباذغيس ، ونوّه به حتى صار يعدّ من رؤساء العمال بخراسان . « وكان قسورة من أشد الناس ولعاً بالتصحيفات فقال له أبو أحمد يوما : إن أخرجتَ مُصَحَّفا أسألك عنه وصلتك بمائة دينار . قال أرجو أن لا أقصر عن إخراجه فقال أبو أحمد : « فى تنور هيثم جد » فوقف حار قسورة وتبلد طبعه . فقال إن رأى الشيخ أن يمهلنى يوما فعل ..!! فقال أمهلتك سنة ..!! فحال الحول ولم يقطع شعره ، فقال له أبو أحمد هو اسمك « قسورة بن محمد » فازداد خجله وأسفه ...!! » انظر يتيمة الدهر ج ٤ ص ٤

ومثاله في العربيـة : أنت الحبيب المحبب

ومثال آخر : أنت سر البأس

ومثاله في الفارسية : ما در ميان دولت تو مى زييم ومعناه : نحن نحيي في وسط دولتك

ومثال آخر بالفارسية . آن كوز مغز بدست از نخشب صد تير بر بست

ومثال آخر من الشعر العربي قولي :

يا حاملَ القرآن أنت الصابر أنت المحبب والغنى الفاخِرُ

ومثال آخر بالفارسية :

خواجه بلعز من اى با شرف وعز كبر در كوى تو وخانه ش بر در

ومثال آخر بالفارسية :

من كوز ترا بيارم اى خواجه بنير تو نيز ز بهر من بُزى بر سر كير

ومثال أخير من الشعر الفارسي قول الشاعر :

ندارم بتـــو جز بتيكى كمانى كى مارا تو از جمله دو ســـتانى
خطيبى جه حواهى نخست اى برادر تو بر كه رئيسى جرا من نرانى
يقينم كى امروز تو كبر كويى بترسم كى تو هم برين سان بمـانى
اكر تيز تُربست من بى كناهم سكردم من اى خواجه پالبزبانى
جو عهدى بكردم كه زشتت سكويم بباشد ترا نيز از من كرانى
ستورم ترا كر روى تا بخانه برنجت بزيم ار كنى ميهمانى
وكر تير در سنبلت خانه كردست هم از دوستى باشـــد ومهربانى
وكر نمـــل تركيده باشد ندانم جز آن حيله كز طب كتابى بخوانى
كمان نرم غرى به آيد شمـــارا جو بر بشت تـــيرى زنى تركانى
بزن تير جون كبر بينى بكويت وكرنه بذين كار همداستانى
كبر سبز خور تا نباشذ كزندت كى از سبز خوردن بوذ كم زيانى
بهنكام كفتار جون عندليبى كى بيوسته بر كوشه كلبنانى
بهنكام عشرت بغايت ظريفى جو بد طبع كردى كران قلتبانى[1]

فكل بيت من هذه الأبيات لايخلو من تصحيف أو تصحيفين . والأبيات في نفسها ليست لطيفة كل اللطف ولكنها كافية على سبيل المثال . وقد كتبتُ مختصراً في التصحيفات وأوردتُ به جملة من نظمي ونثرى فمن حصل عليه استطاع أن يعلم أكثر أمثلة التصحيف .

(١) لم نشأ أن نترجم الأبيات الفارسية لما دخلها من تصحيف يجعل كلماتها تحتمل أكثر من معنى واحد ولو فعلنا لاحتاج الأمر إلى كثير من الإيضاح والتفسير .

٤٢
الترجمــة

وتـكون هذه الصنعة بأن ينظم الشاعر بالفارسية معنى البيت العربى ، أوينظم البيت الفارسى بالعربية .

يقول « ناصر خسرو » :

كردم بسى ملامت مر دهر خويشرا ... بر فعل بذ وليك ملامت نداشت سوذ
دارذ زمانه تنــــك دل من ز دانش ... خرّم دلا كى دانشش اندر ميان نبوذ

وقد ترجمت هذين البيتين بالعربية كما يلى :

عذلت زمانى مـــدةً فى فعاله ... ولـكن زمانى ليس يردعهُ العذلُ
يُضيق صدرى الدهرُ بغضاً لفضله ... فطوبى لصدر ليس فى ضمنه فضل

ويقول القاضى « يحي بن صاعد » بالعربية :

أقول كما يقول حمارُ سوء ... وقد ساموه حملا لا يُطيقُ
سأصبرُ والأمورُ لها اتّساع ... كما أنّ الأمورَ لهـا مضيقُ
فإما أن أموتَ أو المُكارى ... وإما ينتهى هـــذا الطريقُ

وقد ترجمتُ هذه الأبيات بالفارسية هكذا :

من همان كويم كان لاشه خرك ... كفت وى كند بسختى جانى
جـــه كنم بار كشم راه برم ... كى مرا نيست جـــزين درمانى
يا بميرم من يا خربنـــده ... يا بوذ راه مرا بايانى

٤٣
المُعَمّى[١]

وتكون هذه الصنعة بأن يذكر الشاعر بطريقة خفية اسمَ معشوقه أواسم شىء من الأشياء فى بيت من أبياته بواسطة القلب أو الحساب أو التصحيف أو التشبيه أو أى وجه آخر ، بحيث لا ينبو تعبيره عن الطبع السليم ، وبحيث تـكون عبارته خالية من التطويل والألفاظ الحوشية المستقبحة .

وجديرٌ بهذه الصنعة أن تحاولها الطباع النقادة والخواطر الوقادة .

ومثال الـمُـعَـمَّى فى الشعر العربى قولى « فى البرق » :

خذ القربَ ثم اقلبْ جميعَ حروفه ... فذاك اسم من أقصى مُـنَى القلب قربُـه

ومثال آخر من قولى فى « الـكَـعْـبَـتَـيْن » :

ثلاثة أبطالٍ يغيرونَ عنوةً ... على كل مال فيه للمرء فائدة

يعينهم ستٌّ وخمسٌ وأربعٌ ... عقيبَ ثلاثٍ واثنتين وواحدة

ومن قول الشاعر فى « الدرهم » وكلمة « مرد » الفارسية[1] :

إنما المرء عقـــاربٍ اسمه ... بلسانِ الفُـرْسِ فافهم قلبَـه

فإذا لم يحفظ فاضمُـمْ مِيمَـهُ ... وقل اللهمَّ فاغفــــر ذنبَـه

ومثال آخر بالفارسية فى اسم « مِيرَكْ » :

ديدم دو هفته ماه ز ديبا برو سلب ... كردم درو نـگاه بما ندم ازو عجب

گفتم چه نامى اى بت كفتا كريم را ... بنكار با شكوبه وزو نام من طلب

ومعناه بالعربية : — رأيت بدر التم عليه ثوب من الديباج فتأملته وبقيت أتعجب من حاله
— فسألته ، « ما اسمك أيها الصنم الجميل . ؟ فأجابنى : أكتب كلمة « كريم »
مقلوبة واطلب منها اسمى

ويقول أبو العلاء الشوشترى فى اسم « على » :

تيرى وكمانى ويكى نقش نشانه ... بنكار وببيوند بسوفار يكى تير

نام بت من باز شـــــناسى بتمامى ... آن بت كه بخوبيش قرين نيست بكشمير

ومعنى هذين البيتين :

— ارسم السهم والقوس ونقطة الهدف وضع فى عين القوس سهما

— تعرف اسم صنمى الجميل بتمامه ... ذلك الصنم الذى لا قرين له فى الحسن فى كشمير

٤٤

اللُّغـــز

هــذه الصنعة هى بعينها صنعة الـمُـعَـمَّى ، إلا أنها تقال على طريق السؤال . والعجم يسمون اللغز « چيستان » .

ومثاله قول الحريرى فى « المِـرْوَد » :

وما ناكحٌ اختين جهراً وخفيةً ... وليس عليــه فى النكاح سبيلُ

---

(١) كلمة « مرد » فى الفارسية معناها الرجل أو المرء ، وكلمة « درم » معناها الدرهم .

متى يغشَ هذى ينشَ فى الحال هذه ... وإنْ مال بملٌ لم يجده يميلُ
يزيدهما عند المشيب تمهداً ... وبرًّا وهذا فى البعول قليلُ(١)

وله أيضاً فى « الشراب » :

وما شىءٌ إذا فسدا ... تحوَّل غيُّه رشدا
وإن هو راق أوصافاً ... أثار الشرَّ حيث بدا
زكىُّ العِرْقِ والدُه ... ولكن بئس ما ولدا(٢)

ويقول الأمير « مُعِزِّى » ملغزا فى القلم ولغزه جميل :

چه پيكرست ز تير سپهر يافته تير ... بشكل تير وبدو ملك را ست كشته چو تير
كجا بگريد در كالبد بخندد جان ... كجا بنالد بر آسمان بنازد تير
ز نادرات خواطر دهد نشان بسرشك ... ز مشكلات ضمائر دهد خبر بصرير
هر آنچه طبع بر انديشد او كند تأليف ... هر آنچ وهم فراز آرد او كند تفسير

ومعنى هذه الأبيات بالعربية :

— ما الشىء الذى يستمد قدرته من عطارد ، وهو شبيه بالسهم وقد استقام به حال الملك(٣)
— وحينما يبكى تضحك الروح فى قالبها ، وحينما يئن يتيه على النجم فى عليائه
— يحكى بدموعه نادرات الخواطر ، ويخبر بصريره عن مشكلات الضمائر
— يؤلف كل ما تفكر فيه الطباع ، ويفسر كل ما تتعلق به الأوهام ... ؟!

ومن قولى ملغزا فى « الخاتم » :

چيست آن شكل آسمان كردار ... آفتاب اندرو گرفته قرار
نعمت ومحنت است از آثارش ... آسمان را چنين بود آثار
گه خورد زينهار بر اعدا ... گاه احباب را دهد زنهار
ناظم كارهاست بى تدبير ... كاشف رازهاست بى گفتار
زو يكى را بشارتست بتخت ... زو يكى را اشارتست بدار
عاشق زار نى وپيكر او ... زرد وجفته بسان عاشق زار
زرد شد ناچشيده شربت عشق ... جفته شد ناكشيده فرقت يار
هست لا غرتر از ميان صنم ... هست كوچكتر از دهان نگار

---

(١) انظر المقامة الثانية والأربعين النجرانية ص ٤٦٦ طبع مصر
(٢) انظر المقامة الثانية والأربعين النجرانية ص ٤٧٠ طبع مصر
(٣) كلمة « تير » المستعملة فى هذا البيت ثلاث مرات لها معان كثيرة تزيد على الخمسة والعشرين كما أوردها صاحب قاموس « برهان قاطع » ، وقد فسرناها فى الموضع الأول من هذا البيت بمعنى « عطارد » وهو فى زعم الفرس الكوكب الذى يرعى العلماء والمشايخ والقضاة وأرباب القلم . وفسرناها فى الموضع الثانى بمعنى القوة والقدرة وفى الموضع الثالث بمعنى العامود المستقيم المستوى

بيست مار وجو مار حلقه شذست　　وندرو مهرهٔ ى حو مهرهٔ مار

ومعنى هذه الأبيات بالعربية :

— ما شكل يشبه السماء ، قد استقرت فيه الشمس العلياء ...؟!
— النقمة والمحنة من آثاره ، وأعمال السماء على منواله ...؟!
— أحياناً يتآمر على الأعداء ، وأحياناً يتضافر مع الأصدقاء ...؟!
— ناطمٌ للأمور بغير تدبير ، كاشف للأسرار بغير نطق أو تحبير ...؟!
— يبشر شخصاً بالملك والإقبال ، ويحكم على آخر بالشنق بالحبال ...؟!
— ليس بالعاشق الأسيف الحزين ، ولو أن طلعته مصفرة وقامته محنية كالعاشقين ...!!
— اصفرّ وجهه ولم يذق طعم العشق والصدّ ، وانحنت قامته ولم يتحمل ألم الفرقة والبعد ...!!
— وهو أدق وسطا من وسط الدمية النحيلة ، وأصغر فا من فم الحسناء الجميلة ...!!
— ليس ثعبانا ولكنه يتقوّس كالثعبان ، وله مفاصل مثل مفاصل الأفعوان ...!!

٤٥

التضمين

تكون هذه الصنعة بأن يُدخل الشاعر في شعره ، على سبيل التمثُّل والعارية ، لا على سبيل السرقة ، مصراعاً أو بيتاً أو بيتين من قول شاعر آخر ؛ ويجب أن يكون بيت التضمين مشهوراً ، وأن تكون هناك إشارة صريحة على التضمين بحيث تزول تهمة السرقة عن الشاعر لدى سامعيه .

ومثال التضمين ما قاله الأمير أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر[1] فى وقت شيخوخته حينما لم يبق سواه من أعيان أسرته ، فقد ضمَّن بيتين مشهورين من أشعار العرب[2] فى قصيدته التالية :

وقائلة والدمعُ سكبٌ مبادرٌ　　وقد شَرِقَتْ من مُقْلتيها المحاجرُ
وقد أبصرتْ بغـداذَ من بعد أُنسها　　بنا وهى منـا موحشاتٌ دوائرُ
«كأن لم يكن بين الحُجُون إلى الصفا　　أنيسٌ ولم يسمُرْ بمكة سامرُ»
فقلت لها والقلبُ منى كأنما　　يخالجه بين الحجابَيْن طائرُ
«بلى نحن كنا أهلها فأبادنا　　صروفُ الليالى والجدودُ العواثرُ»

---

(١) هو أخو محمد بن عبد الله بن طاهر آخر سلالة الطاهريين ، ولد سنة ٢٢٣ وتوفى سنة ٣٠٠ هـ ، وكان ينظم الشعر بالعربية وله تأليفات بها مذكورة فى كتاب الفهرست وكذلك فى وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٩٥ .

(٢) البيتان المضمنان هما الثالث والخامس من هذه القصيدة ، وهما من قول عمرو بن الحارث بن مضاض ابن عمرو الجرهمى . (انظر معجم البلدان ج ٤ ص ٦٢٣) .

ولم يبق منا « طاهرىٌّ » مُؤَمَّرٌ سواى وأعلى ساسةِ المُلكِ طاهرُ

ومثال آخر من قولى بالعربية :

ذنبي كثير وعذرى فيه مُتَّضحُ فاقبله فالعذرُ عند الحرِّ مقبولُ

« نبئتُ أنَّ رسولَ الله أوعدنى والعفوُ عند رسول الله مأمول »[1]

ومثاله من الشعر الفارسى البيت الآتى من قولى وقد ضمنته المصراع المعروف من قول « المنصرى » :

نموده تيغ توآثار فتح وكفته فلك جنين نمايد شمشير خسروان آثار

ومعناه : لقد أبدى سيفك آثار الفتح فهلل الفَلكُ قائلا هكذا يبدو سيف الملوك المظفر

٤٦

الاغراقُ فى الصفَه

تكون هذه الصنعة بالمبالغة فى صفة شيء من الأشياء بحيث تصل بها إلى أقصى الغاية ومثالها ما قالته « سُكَيْنة بنت الحسين بن على » رضى الله عنها حينما زيَّنَتْ بنتها :

« والله ما ألبستُه إياها إلا لتفضحه »

ومثال آخر مما كتبه « الصاحب بن عباد » :

« فخاطباتى ستعود إليك أقصرَ من عرقوب قطاةٍ بعد ما كانت أطولَ من ظل قناة »

ومثال آخر ، ما كتبه « نصر بن الحسن المرغينانى » :

« وصل كتابك فكان أخفَّ علىَّ من جناح البعوض وأدلَّ شيء على ودٍّ مرفوض وعهد منقوض » .

ومثاله فى الفارسية ما يقوله العامة عند القدح فى شخص :

« فلان هيج كس است وجيزى كم »

ومعناه : فلان لا فى العير ولا فى النفير وهو أنقص من لا شيء ....!!

ومثال آخر بالفارسية قولهم : « اى سك ودريغ اين نام بر تو »

ومعناه : أيها الكلب ....!! ويا ضيعة هذا الاسم عليك ....!!

ومن قول امرؤ القيس :

من القاصرات الطَّرف لو دبَّ مُحْوِل من الذَّر فوق الاتْب منها لأثرا

---

(١) من قول كعب بن زهير فى قصيدته المعروفة التى مطلعها « بانت سعاد ... »

وفى هـذا البيت إغراق فى غاية الحسن ، ويقول « الجاحظ » إن من يحاولون الإغراق فى هذا المعنى ، جميعهم عيال على امرئ القيس .

ويقول شاعر آخر فى هذا المعنى :

وإذا تـوَهّـم أن يراها ناظرٌ   ترك التوهُّمُ وجهها مكتوما

ومثال آخر من قول المتنبي :

كفى بجسمى نحولا أننى رجلٌ   لولا مخاطبتى إياك لم ترنى

ومثال آخر :

لأبى عيسى رغيفٌ فيه خمسون علامة   فعلى جانبه الواحد : لُقيتَ الـكرامه

ثم لا ذاقك من ضيف إلى يوم القيامة   وعلى الآخر سطرٌ : نسأل اللهَ السلامه

ومثال آخر :

من رأى مثلَ جُبَّتِى   يشـبه البـدر إن بدا

يدخل اليوم ثم يدخـــل أردافها غـــدا

ومثال من الشعر الفارسى قول « منجيك »(١) :

بد انـكهى كى دو صف كرد را بر انـكيزد   فراخ باز نهد كان اژدهاى قتال

بجابكى بربايذ جنسانك بازارذ   ز بوست روى مبارز بنوك بيكان خال

ومعنى هذين البيتين بالعربية :

— وحينما يتازل صفين من الأبطال يتقدم تنين القتال وتتسع خطاه

— ثم يسرع فى اختطاف « الخال » بطرف رمحه بحيث لا يؤذى وجه مبارزه

ومن قول الأمير « العنصرى » بالفارسية :

جون حلقه ربايند بنيزه تو بنيزه   خال از رخ زنـكى بربايى شب يلدا

ومعناه : — فاذا استطاعوا أن يختطفوا الحلقات برؤوس الحراب ، فإنك بحربتك تستطيع أن تختطف « الخال » من وجه الزنجى فى ليلة الشتاء القاتمة

ويقول الشاعر « غضايرى » :

صواب كرذ كه بيذا نـكرذ هر دوجهان   يكانه ايزد داذار بى نظير وهمال(٢)

---

(١) « منجيك » هو أبو الحسن على بن محمد الترمذى المتخلص بمنجيك من شعراء الصاغانيين . ويقول الأستاذ عباس إقبال فى تعليقاته الملحقة بكتاب « حدائق السحر » أن البيتين المذكورين هنا من قصيدة قالها منجيك فى مدح أبى المظفر فخر الدولة أحمد بن محمد الصاغانى ، الذى كان يقوم على مدحه أيضا الشاعران الـكبيران الدقيقى والفرخى . وقد استطاع أن يجمع لنا جملة من أبيات هذه القصيدة وردت متفرقة فى « حدائق السحر » و « فرهنك اسدى » و « المعجم فى معايير أشعار العجم » و « هفت اقليم » و « مجمع الفصحاء » (انظر ص ١٣٧ — ١٤٣ من النص الفارسى لـكتاب حدائق السحر) .

(٢) من قصيدة الغضايرى فى مدح السلطان محمود (انظر مجمع الفصحاء ج ١ ص ٣٦٨)

وكرنه هر دو ببخشيدبى بروز عطا اميذ بنده نماندى بايزد متعال

ومعنى هذين البيتين بالعربية :

— لقد أصابه الله العادل الذى لا نظير له ولا قرين حتما لم يظهر لك كلا العالمين

— وإلا لحدث بهما معاً فى يوم العطاء ، ولم يبق لى بعد ذلك أمل فى رب السماء ... !!

والرباعى التالى من قول « على الأسدى »[1] :

از زخم سر دو زلف عنبر بويت ،
آزرده شوذ همى كل خود رويت ،
ز انكشت نماء هر كسى در كويت ،
ترسم كى نشان بماند اندر رويت .. !!

ومعناه :

— من وخز أطراف ذؤابتيك اللتين تفوحان بأريج العنبر الذكى

— يتأذى ورد وجناتك النضير الجنى

— ولكثرة ما يشير إليك بالبنان أهل محلتك

— أخشى أن يبقى أثر إشارتهم على صفحة وجهك البهى ...!!

٤٧

الجمع والتفريق والتقسيم

يقع هذا الفصل فى ستة أقسام بيانها كالآتى :

١ — الجمع ٤ — الجمع من التفريق

٢ — التفريق ٥ — الجمع مع التقسيم

٣ — التقسيم ٦ — الجمع مع التفريق والتقسيم

***

---

(١) على الأسدى : هو أبو الحسن على بن أحمد الأسدى الطوسى مؤلف « فرهنك اسدى » المعروف بـ « لغت فرس » وناظم القصة المعروفة « كرشاسب نامه » التى أتمها فى سنة ٤٥٨ هـ ، وهو ابن أبى نصر أحمد بن منصور الشاعر المعاصر للفردوسى الذى ينسبون إليه جملة من القصائد فى المناظرة يذكر منها صاحب مجمع الفصحاء ج ١ ص ١٠٧ المناظرات الأربع الآتية :
١ — مناظرهٔ آسمان وزمين : الأرض والسماء ٣ — مناظرهٔ نيزه وكمان : الرمح والقوس
٢ — مناظرهٔ مغ ومسلمان : المسلم والمجوسى ٤ — مناظرهٔ شب وروز : الليل والنهار
وأضاف الدكتور « اينيه » فى كتالوج المخطوطات الفارسية مناظرة خامسة اسمها : « مناظرهٔ عرب وعجم » ويؤثر عن على بن أحمد الأسدى أنه هو الذى كتب بيده أقدم مخطوط فارسى موجود فى أيدينا ، ونقصد به النسخة المخطوطة من كتاب : « الأبنية عن حقائق الأدوية » تأليف أبى منصور موفق ابن على الهروى

١ — الجمع

تكون هذه الصنعة بأن يجمع الشاعر بين شيئين أو أكثر فى صفة واحدة ، وهذه الصفة تعرف عادة باسم « الجامع » .

ويجوز أن يكون الجامع ظاهرا أو مضمرا

ومثاله من الشعر العربى قول الشاعر :

فأحوالى وصُدْغُكَ والليالى ظلامٌ فى ظـــلامٍ فى ظلام

فنى هذا البيت نجد أن أحوال الشاعر وصُدْغ المحبوب والليالى جميعها مجموعة فى صفة الظلمة ، والظلام هو الجامع بينها جميعا وهو « جامع » ظاهر أيضا .

ومثال آخر من الشعر الفارسى قول « قَمَرى » :

آسمان بر تو عاشقست جو من لا جرم همجو مفش نيست قرار

ومعناه — إن السماء مثلى عاشقة لك ، ولأجل ذلك فهى لا تستقر على حال مثلى

فى هذا البيت جمع الشاعر بين السماء والعاشق بواسطة العشق وعدم الاستقرار . والجامع هنا ظاهر وهو عدم الاستقرار .

ومثالٌ آخر من قول « قمرى » بالفارسية :

ماه كاه جو روى يار منست كه جو من كوژ بشت وزار ونزار

ومعناه : — إن القمر فى بعض الأحيان شبيه بوجه حبيبى ، وأحيانا يصبح مثلى محدودب الظهر حزينا هزيلا

فنى المصراع الأول من هذا البيت ، جمع الشاعر بين القمر ووجه المعشوق فى صفة جامعة مضمرة هى الملاحة والحسن ولم يذكر ذلك صراحة فى بيته . أما فى المصراع الثانى ، فقد جمع الشاعر بين القمر ونفسه فى انحناء الظهر والهزال والحزن ، وكل هـذه صفات جامعة ظاهرة .

***

٢ — التفريق

وتكون هذه الصنعة بأن يفرق الشاعر بين شيئين ولا يجمع بينهما فى شىء . ومثالها من الشعر العربى قولى :

ما نوالُ الغمام وقتَ ربيعٍ كنوال الأمير يوم سخاء

فنوالُ الأمير بدرةُ عين ونوال الغمام قطرةُ ماء ...!!

فمنذ بداية البيت فرّقتُ بين نوال الغمام ونوال الأمير . ثم عُدتُ فشرحتُ هذا التفريق .

ومثال آخر من الشعر الفارسى قول « الخُسْرَوِى »[١] :

ابر جون تو كسى است نيسانى   زرّ كى بارذ ابر نيســـانا

ومعناه : — كيف يكون السحاب مشابها لك ، وكيف لسحب الربيع أن تمطر ذهبا ...!!

فقد فرق الشاعر فى بداية البيت بين السحاب والممدوح ، ثم عاد فشرح هذا التفريق .

* * *

٣ ــ التقسيم

وتــكون هذه الصنعة بأن يقسّم الشاعر فى بيت من الأبيات شيئين أو أكثر ، ثم يراعى هذا التقسيم بترتيبه على قاعدة واحدة .

ومثاله من الشــعر العربى قول « أديب ترك » فى شخصين أحدهما طويل جدا والآخر قصير للغاية :

أديبان فى بلخ لا يأكلان   إذا صحبا المرء غير الـكبد

فهــذا طويلٌ كظلّ القناة   وهــذا قصيرٌ كظلّ الوتد

ومثاله من الشعر الفارسى قول الشاعر :

رخان وعارض وزلفين آن بت دلبر   يكى كلست ودوم سوسن وسوم عنبر

ومعناه : — خد الحبيب الجميل وعارضه وذؤابته

الأول ورد ، والثانى سوسن ، والثالث عنبر

وهذه القصيدة على هذا النمط إلى نهايتها ، وشــعراء الفرس يراعون « التقسيم » دائما ويحافظون عليه فى القصيدة برمّتها .

* * *

٤ — الجمع مع التفريق

تــكون هذه الصنعة بأن يجمع الشاعر بين شيئين فى تشبيههما بشىء واحد ، ثم يعود فيفرق بينهما فى صفتين متنافرتين .

ومثاله فى الشعر العربى قولى :

فوجهك كالنار فى ضوئها   وقلبى كالنار فى حرّها

(١) الخسروى : هو أبو بكر محمد بن على الخسروى السرخسى الشاعر الذى مدح شمس المعالى قابوس بن وشمكير (٣٦٦ — ٤٠٣) وأبا الحسن محمد بن إبراهيم بن سيمجور (المتوفى سنة ٣٧٧) ، وكذلك الصاحب بن عباد (٣٢٦ — ٣٨٥) ، وقد رثاه أبو بكر الخوارزمى فى قصيدة له مذكورة فى « دمية القصر » للباخرزى ... وكان الخسروى يقول الشعر بالعربية والفارسية (انظر ج ٢ ص ١٨ من لباب الألباب) .

فني هذا البيت جمعتُ بين وجه المعشوق وقلبي في تشبيههما بالنار ، ثم عدتُ ففرقتُ بينهما في الضوء والحراره .

ومثاله من الشعر الفارسي قول الشاعر :

من وتو هر دو از كل زرديم   جه من از رنكم وتو از بوئى

ومعناه : — أنا وأنت كلانا وردة صفراء ، أنا من ناحية لوني وأنت من ناحية رائحتك ...!!

فني هذا البيت جمع الشاعر بين نفسه والمعشوق في كونهما وردة صفراء ، ثم عاد ففرق بينهما من حيث اللون والرائحة .

* * *

٥ — الجمع مع التقسيم

وتكون هذه الصنعة بأن يجمع الشاعر في البيت الأول جملة أشياء في معنى واحد ، ثم يقسمها بعد ذلك .

ومثاله من الشعر العربي قول المتنبي[1] :

حتى أقام على أرباض خَرْشَنةٍ   تشقى به الرومُ والصلبانُ والبِيَعُ

للسَّبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا   والنهب ما جمعوا والنارُ ما زرعوا

فني البيت الأول ، جمع الشاعر بين أرض الأعداء وجميع ما يوجد عليها في الشقاء ، ثم عاد في البيت الثاني فقسم هذا الشقاء على هذه الأشياء وبين كيفية كل واحد منها .

ومثاله من الشعر الفارسي قول « العُنْصُري » .

دو جيزرا حركاتش دو جيز دهد   علوم را درجات ونجوم را احكام

ومعناه : — حركاته وأفعاله تعطي شيئين لشيئين : الدرجات للعلوم ، والإحكام للنجوم

فني هذا البيت ، جمع الشاعر حركات الممدوح في شيئين من ناحية العطاء المطلق ، ثم عاد فقسّم أنواع هذا العطاء .

* * *

٦ — الجمع والتفريق والتقسيم

جمع هذه الأشياء الثلاثة مع بعضها مشكلٌ للغاية . ولم أر شعراً جمع بينها إلا بيتين من الشعر الفارسي هما الآتيان[2] :

---

(١) من قصيدة المتنبي في مدح سيف الدولة بعد ظفره على الروم ، ومطلعها :

غيري بأكثر هذا الناس ينخدع   إن قاتلوا جبنوا أو حدثوا شجعوا

والبيت الثاني من البيتين السابقين غير مروي في الديوان . (انظر ص ٢٣٧ من ديوان المتنبي ، طبع مصر سنة ١٨٩٨) .

(٢) مثلوا له في العربية بقوله تعالى : « يومَ يأتِ لا تكلمُ نفس إلا باذنه فمنهم شقي وسعيد ، فأما =

آنچ ترا بند كرد بنده ت را نيز   بندى كردست جه بذيد جه بنهان
بند تو از آهنست وبند من از غم   بند تو بر باى وبند بنده ت بر جان

ومعنى هذين البيتين :

ـــ إن الذى قيدك قيدنى أيضا ، وكانت قيوده ظاهرة وخافية

ـــ فقيدك من الحديد ، وقيدى من الغم الشديد ، وقيدك فى الأقدام وقيدى على روحى

فقد جمع الشاعر فى هــذين البيتين بين نفسه والمعشوق من حيث التقيد ، ثم عاد ففرق بين القيود من حيث ظهورها وخفائها ، ثم عاد فقسم هذه القيود من حيث توزيعها وكيفيتها

٤٨

تفسيرُ الجَلِيّ والخَفِيّ

تفسير الجلى

يكون تفسير الجلى بأن يقول الشاعر لفظة مبهمة تحتاج إلى تفسير ، ثم يأخذها فيفسرها ويبينها .

ومثاله من الشعر العربى قولى :

يُحيي ويُردي بجدواه وصارمه   يحيي العفاةَ ويُردى كلَّ من حسدا

ومثال آخر قولُ « الفياض »[1] :

يعطى ويمنعُ يعطى المالَ زائرَهُ   ويمنع الجارَ من ذلٍّ وإرهاق

= الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق ، خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء الله إن ربّك فعّال لما يريد ، وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاءً غيرَ مجذوذ » .

فالجمع فى قوله : « لا تكلم نفس » ، لأن النفس متعددة فى المعنى إذ هى نكرة فى سياق النفى تعمّ ... ؛ والتفريق فى قوله : « فمنهم شقى وسعيد » ... ؛ والتقسيم فى قوله : « فأما الذين شقوا ... وأما الذين سعدوا ... »

ومن هذا أيضاً قول ابن شرف القيروانى :

لمختلف الحاجات جمع ببابه   فهــذا له فن وهذا له فن
فللخامل العليا وللمعدم الغنى   وللمذنب العتبى وللخائف الأمن

(انظر ص ٢٢٠ من « علوم البلاغة » تأليف أحمد مصطفى المراغى طبع مصر سنة ١٩١٧)

(١) « الفياض » : هو الشيخ أبو القاسم الفياض بن على الخروكى من أوائل شعراء عهد السلاجقة ومن المعاصرين للباخرزى صاحب « دمية القصر » .

فى هذين البيتين عاد الشاعر بالكلمات « يُحيى » و « يُردى » و « يعطى » و « يمنع » ثم فسَّر كل واحدة منها .

ومثاله فى الفارسة قول « العُنْصرى » :

يا ببندذ يا كشايذ يا ستانذ يا دهذ تا جهان بر باى باشـذ شاه را اين باذ كار
آنچ بستانذ ولايت ، وآنچ بد هذ خواسته وآنچ ببندذ پاء دشمن ، وآنچ بكشايذ حصار[1]

ومعنى هذين البيتين :

— فالمليك إما يقيد ، وإما يفتح ، وإما يأخذ ، وإما يعطى
فيارب اجعل هذا دأبه ما دامت الدنيا باقية
— فالولايات هى ما يأخذها ، والرغبات هى ما يعطيها ،
وأقدام الأعداء هى ما يقيدها ، والقلاع هى ما يفتحها ... !!

* * *

تفسير الخفى

وأما تفسير الخفى فيكون إذا لم يَعْمِدْ الشاعر إلى اللفظ المبهم الذى يحتاج إلى تفسير وتركه خافياً .

ومثاله قول العنصرى :

همه فام كين وبيرخاش مرد دل جنكجوى وبسيج نبرد
همى توختنـد وهمى تاختند همى سوختند وهمى ساختند[2]

ومعنى هذين البيتين :

— جماع مظهرهم الحرب والقتال وقلوبهم وعتادهم للنزال والنضال
— فما زالوا يحصلون ويغيرون ، وما زالوا يحرقون ويصنعون

ومثال آخر قول « محمد بن عبده »[3] :

جنانك نيست نـكارى جو تو دكر نبوذ جو من صبور وجو من زار خوار[4] برنائى

---

(١) هذان البيتان من قصيدة « العنصرى » التى مطلعها :
كرنه مشك است از چه معنى شد سر زلفين يار مشك بوى ومشك رنـگ ومشك پاش ومشك بار
(٢) هذان البيتان ربما كانا من قصيدتين مختلفتين ، أو من النوع المعروف فى الشعر الفارسى بالمثنوى ؛ وهذا ظاهر من اختلافهما فى القافية .
(٣) « محمد بن عبده » : هو بحسب قول « نظامى عروضى » فى كتابه « چهار مقاله » ، معدود بين الـكتاب والشعراء الذين نشأوا فى نهاية القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجرى . وكان كاتبا لـ « بغراخان » من ملوك آل افراسياب فى تركستان . انظر ص ٢٤ من « چهار مقاله » حيث يقول المؤلف : « ... محمد بن عبـده الـكاتب دبير بغراخان بود ودر علم تعمق ودر فضل تنوق داشت ودر نظم ونثر تبحرى واز فضلا وبلغاء اسلام يكى او بود ... »
(٤) كانت فى الأصل « زار وار » ولـكن أفضل قراءتها « زار خوار » .

ترا ومن رهی وخواجه را کسی بجهان بحسن وصبر وسخاوت ندید همتائی

ومعنى هذين البيتين :

— كما أنه لا يوجد معشوق جيل مثلك ، فكذلك لا يوجد شاب صبور متألم مثلى

— ولم ير أحد فى العالم قرينا لى ولمولاى ، فى الحسن والصبر والسخاء ... !!

٤٩

المُتزلزِل

وتكون هذه الصنعة بأن يذكر الكاتب أو الشاعر لفظاً فى كلامه بحيث إذا غيّر حركة من حركات حروفه تحوّلَ الكلامُ من المدح إلى الهجو .

ومثاله فى العربية : « اللهُ معذِّب الكفار ومُحَرِّقُهم فى النار »

فإذا حركت الذال بالكسر فى كلة « معذّب » وكذلك الراء بالكسر فى كلة « محرّق » كان ذلك عين الإسلام والدين الحق ، أما إذا فتحت الذال والراء وقرأتَ الكلمتين بالفتح كان ذلك محض الكفر والعياذ بالله .

مثال آخر : « فلان در كار زار است »

فإذا نطقت الراء فى كلة « كارزار » بالسكون كان ذلك وصفا للشجاعة وكان مدحا (ويكون معناه : فلان فى الموقعة) .

وأما إذا قرأت الراء بالكسر انقلب الوصف إلى سوء الحال وأصبح ذما (ويكون معناه : فلان فى أمر محزن يؤسف له ...)

ومثاله من الشعر العربى من قولى :

رسولُ اللهِ كذّبه الأعادى فويل ثم ويل للمكذّب

فإذا نطقت « الدال » فى كلة « المكذب » بالكسر كان البيت مدحا للرسول ، أما إذا قرأتها بالفتح انقلب المعنى إلى الكفر والعياذ بالله .

ويقول الشاعر بالفارسية هذا المصراع : « سخن هر سرى را كند تاج دار »

فإذا نطقت « الجيم » فى كلة « تاج » بالسكون كان هذا المصراع مدحا (ويكون معناه : إن حديثه يجعل جميع الرؤوس متوجة) .

وأما إذا قرأت « الجيم » بالكسر كان المعنى ذما (ويكون معناه : إن حديثه يجعل كل رأس تاجا للمشانق ...)

٥٠

المُرَدَّف

هناك فرق بين « الردف » وَ « الرديف » .

فالرِدف عبارة عن الألف أو الياء أو الواو التى تأتى قبل حروف الروىّ كما فى « نار » و « نور » و « سور » و « نفير » و « أسير » .... ، ومعرفة ذلك تتعلق بعلم القافية .

أما « الرديف » فعبارة عن كلمة أو أكثر تأتى بعد حروف الروى فى الشعر الفارسى فيسميه أهل الصنعة بـ « الشعر المُرَدَّف » .

وليس للعرب « رديف » إلا ما يتكلفه المحدثون ، وقد رأيت لفخر خوارزم الزمخشرى[1] — رحمة الله عليه — قطعة من الشعر فى مدح ملك خوارزم «علاء الدولة» ، وقد جعل رديفها على منوال العجم ، لقَبَه الذى عرف به ، ومطلع هذه القطعة هكذا :

الفضل حصّله علاء الدولة   والمجد أثّله علاء الدولة

ومثاله من الشعر الفارسى قولى :

نظام حال زمانه قوام كار جهان   تمام كشت باقبال شهر يار جهان

ومعناه : — نظام حال الزمان ، وقوام أمر العالم
قد اكتملا بإقبال مَلِك العالم وإقبال حظّه

ومثال آخر من قولى :

مارا بهار عيش مهنّا كند همى   اسباب صد نشاط مهيا كند همى

ومعناه : — هو يجعل ربيع عيشنا هنيئا ، ويهيء لنا أسباب النشاط والسرور

وأكثر أشعارِ العجم مُرَدَّفة ... وثبات طبع الشاعر وقدرته على بسط الكلام يثبتان بقدرته على عقد الرديف المستحسن .

ويسمى بعض أهل الصناعة كلمة الرديف بالـ « حاجب » ويطلقون على الشعر المردف كلمة « المحجوب » .

وقال البعض : إنما المقصود بكلمة « الحاجب » هو اللفظة التى يذكرونها قبل القافية فى كل بيت بينما المقصود بالرديف الكلمة التى ترد بعد القافية .

---

(١) المقصود به جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى (٤٦٧ — ٥٣٨) الأديب والعالم المشهور وكان فى رعاية علاء الدولة خوارزمشاه أتسز بن قطب الدين محمد (٥٢٢ — ٥٥١) الذى ألف «رشيد الدين» باسمه كتاب حدائق السحر .

ومثاله من الشعر الفارسي قول « الأمير مُعزّى » :

اى شاه زمين بر آسمان دارى تخت

سستست عدو تا تو كمان دارى سخت

حمله سبك آرى وگران دارى لخت

پيرى تو بدانش وجوان دارى بخت

ومعنى هذه الرباعية :

— يا مالك الأرضين . . ، إن عرشك فوق السماء

— وقد وهن العدو منذ اشتددت فى طلبه بالرماح

— فكن خفيفا فى الحملة عليه ، وخذ من النصال ثقيلها

— فأنت كبير بعلمك ، وأما حظك فشاب ... !!

فلفظة « دارى » فى هذين البيتين هى « الحاجب » وقد ذكرت فى كل مصراع . وأما القافية فهى الكلمات : « تخت » و « سخت » و « لخت » و « بخت » . وهذان البيتان محجوبان وفقا لمن قال بهذا الرأى .

٥١
الاســـتدراك

تكون هذه الصنعة بأن يبدأ الشاعر بيته بألفاظ تُظن أنها هجاء ، ثم يستدرك ذلك ويعود إلى المدح .

ومثاله من الشعر العربى قول الشاعر(١) :

لا تَقُلْ بشرىَ ولكن بشريان ... غُرَّةُ الدّاعى ويومُ المهرجان

ومثاله من الشعر الفارسى قول الشاعر :

اثر مير نخواهم كى بماند بجهان ... مير خواهم كى بماند بجهان در اثرا

ومعناه : — لست أريد أن يبقى أثر الأمير فى العالم ، بل أريد أن يبقى الأمير نفسه فى هذا العالم

وعندى أنه من الخير ألا يسلك الشاعر هذه الطريق ، لأنه باستعماله للاستدراك يجعل ممدوحه يتطيّر من الفأل السيىء ويضيع بذلك جمال حديثه .

---

(١) الشاعر هو أبو مقاتل الضرير . قال هذه القصيدة فى مدح الحسن بن زيد العلوى صاحب طبرستان (٢٥٠ — ٢٧٠ هـ) ، ويحكى ابن الأثير فى حوادث سنة ٢٧٠ أن الحسن بن زيد حينما سمع هذا البيت التفت إلى الشاعر وقال له : « كان الواجب أن تفتتح الأبيات بغير « لا » فإن الشاعر المجيد =

٥٢

الكلامُ الجامع

تكون هذه الصنعة بأن يحاول الشاعر ألا يترك أبياته خلوا من الحكمة والموعظة وشكاية الزمان .

ومثالها من الشعر العربي قول المتنبي :

والظلم في خلق النفوس فإن تجد ذا عفَّةٍ فلعلَّةٍ لا يظلم[1]

ومن البلية عذلُ من لا يرعوى عن جهله وخطابُ من لا يفهمُ

وللمتنبي أيضاً :

ومن نكد الدنيا على الحرّ أنْ يرى عدواً له ما من صداقته بدٌّ[2]

وهو أيضاً يقول :

لولا المشقَّة سادَ الناسُ كلُّهم الجودُ يفقرُ والإقدام قتَّال

إنَّا لفي زمنٍ تركُ القبيح به من أكثرِ الناسِ إحسانٌ وإجمال[3]

وللمتنبي في هذا الباب يدٌ بيضاء وطريقة زهراء .

ومثال آخر : قول أبي سعيد الرستمي[4] :

= يتخير لأول القصيدة ما يعجب السامع ويتبرك به . ولو ابتدأت بالمصراع الثاني لكان أحسن . فقال له الشاعر : « ليس في الدنيا كلة أجلّ من قول « لا إله إلا الله » وأولها « لا » . فقال : « أصبت وأجازه ....!! »

(١) من قصيدته التي قالها في هجاء إسحق بن إبراهيم ومطلعها :

لهوى النفوس سريرة لا تعلم عَرَضاً نظرتُ وخلتُ أني أسلم

والأشهر في الرواية قوله : « والظلم من شيم النفوس فإن تجد ... الخ » (الديوان ص ٤٢٧)

(٢) من قصيدته التي مطلعها :

أقل فعالى بله أكثره مجد وذا الجَدّ فيه نلت أم لم أنل جد

(الديوان ص ١٥٤)

(٣) من قصيدته في مدح أبي شجاع فاتك حينما قدم من الفيوم إلى مصر فوصل أبا الطيب وحمل إليه هدية قيمتها ألف دينار فقال يمدحه :

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق إن لم تسعد الحال

(الديوان ص ٣٦٦)

(٤) المقصود به أبو سعيد الرستمي ، وكان شاعرا معاصرا للصاحب بن عباد (٣٢٦ — ٣٨٥) وذكره الثعالبي في يتيمة الدهر ج ٣ ص ١٢٩ فقال : « ... أبو سعيد الرستمي محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن بن على بن رستم من ثناء أصبهان وأهل بيوتاتها ومن يقول الشعر في الرتبة العليا ، ومن شعراء العصر في الطبقة الكبرى ... ومن نظر في شعره المستوفى أقسام الحسن والبراعة ، المستكمل فصاحة البداوة وحلاوة الحضارة ، أقبلت عليه الملح تتزاحم ، والفقر تتراكم ، والدرر تتناثر ، والغرر تتكاثر =

من الناس من يلقى المزيد على الغنى ويحرم ما دون الغنى فاضل مثلى[1]
كما ألحقت واو بعمرو زيادة وضويق بسم الله فى ألف الوصل

ومثال آخر قول « أديب ترك » :

إذا ما رمت طيب العيش فانظرْ إلى من بات أسوأ منك حالا
وأخفضَ رتبـــةً وأذلَّ قدرا وأنـكدَ عيشةً وأقلَّ مالا

ومثاله من الشعر الفارسى قول « أبى نصر شاذى » :

بر خرد خويش بر ستم نتوان كرد خويشتن خويش را دژم نتوان كرد
دانش وآزادگى ودين ومروّت اين همه را خادم درم نتوان كرد
قانع بنشين وآنچ يابى بپســـند كايزدى وبندگى بهم نتوان كرد

ومعنى هذه الأبيات :

— لا يمكن لأحد أن يظلمك عقلك ، ولا يمكن أن تنغضب من نفسك على نفسك
— فالعلم والفطنة والدين والمروءة ، لا يمكن جعلها جميعاً خادمة للدرهم
— فاقنع وارض بما تجده ، لأنه لا يمكن أن تجمع بين السيادة والعبودية

ومثال آخر قول كمالى :

ز بس سبيذى كين روزكار با من كرد سياه عارض من رنك روزكار كرفت
سوار بوذ وجوانى شتاب كرد وبرفت ز كرد مركب او عارضم غبار كرفت

ومعنى هذين البيتين :

— لـكثرة ما فعله الدهر بى من أذى ، أخذ عارضى الأسود لون الدهر
— وكان الشباب راكبا ، فتعجل بالذهاب ، واغبر عارضى بغبار مركبه

ومثال آخر : قول مسعود بن سعد :

تبارك الله اين بخت وزندكانى بين كى تا نميرم زندان بوذ مرا خانه
جو شانه شذ جكرم شاخ شاخ زان حسرت كى موى ديذم شاخى سبيـــذ در شانه

ومعنى هذين البيتين :

— تبارك الله ، هل رأيت هذا الحظ وهذه الحياة ، إن منزلى سيصير لى سجنا حتى أموت
— وقد أضحى كبدى — بما أنا فيه من حسرة — مقطعا كأسنان المشط ونظرت إلى شعرى فوجدته خصلا بيضاء فى المشط

= كلم هى الأمثال بين الناس إلا أنها أضحت بلا أمثال
وكان الصاحب يقول مرة : هو أشعر أهل مصره ، وتارة : هو أشعر أهل عصره ويقدمه على أكثر ندمائه وصنائعه ... الخ »

(١) هذان البيتان من قصيدة لأبى سـعيد الرستمى مروية فى يتيمة الدهر ج ٣ ص ١٤٢ — ١٤٣ ، ومطلعها :

ســـلام على رمل الحما عدد الرمل وقلّ له التسليم من عاشق مثلى

والبيت الأول مروى فى « اليتيمة » هكذا « من الناس من يعطى المزيد على الغنى ... الخ »

وأكثر كلام « مسعود بن سعد بن سلمان » من نوع الكلام الجامع وخاصة ما قاله فى الحبس ولا يكاد يرقى إليه فى هذا المعنى أحد من شعراء العجم ، لا من حيث حسن المعانى ولا من حيث لطف الألفاظ والأداء .

٥٣
الإبداع

قال أرباب البيان إن هـذه الصنعة عبارة عن نظم المعانى البديعة فى ألفاظ حسنة بعيدة عن التكلف . وفى رأيى أن ذلك لا يدخل فى جملة الصناعات لأن كلام العقلاء والفضلاء ، سواء المنظوم منه أو المنثور ، يجب أن يكون على هذا النسق ، فإن لم يكن كذلك اعتبر من أحاديث العوام . ولكنى ذاكر هنا جملة أمثلة مما ذكره القدماء فى كتبهم .

مثالٌ من الشـعر العربى قول المتنبى ، وقد جمع بين مدح كافور ومدح سيف الدولة ، فكان قوله بالغاً حدّ الحسن :

فراق ومن فارقتُ غيرُ مذمَّمِ وأمٌّ ومن يممت غيرُ ميممِ[1]

ومثال آخر من قول المتنبى أيضاً :

سِرْ حلَّ حيث تحـلُّه النُـوّار وأراد فيك مُرادَكَ المقـدارُ[2]
وإذا ارتحلتَ فشيّمتك سلامةٌ حيثُ اتجهتَ وديمةٌ مدرار

ومثاله من الشعر الفارسى قول الروذكى[3] :

همى بكشتى تا آدمى نماند شجاع همى بدادى تا آدمى نماند فقـير

ومعناه : — لقد أكثرت القتل حتى لم يبق شجاع ، وأكثرت العطاء حتى لم يبق فقير ...

ويقول « المنطق » :

بندهٔ دستم كى بروز فراق از همه تن يار دلم بوذ وبس

ومعناه : — وأنا عبدٌ لحبيبى فهو فى يوم الفراق كان عوناً لقلبى دون سائر الناس

ومن قول « العنصرى » :

تو آن شاهى كى اندر شرق ودر غرب جهود وگبر وترسا ومسلمان

---

(١) انظر الديوان ص ٣٤٦ . (٢) انظر الديوان ص ٢١٤ .

(٣) هذا البيت مروى فى المعجم ص ٣٣٠ هكذا :

همى بكشتى تادر عدو نماند شجاع همى بدادى تادر ولى نمـاند فقير

همی كويند در تسبيح وتهليل كی يا رب عاقبت محمود كردان

ومعنى هذين البيتين :

— وإنك للملك الذى يدعو له اليهود والمجوس والمسيحيون والملحدون فى مشارق الأرض ومغاربها ،
— مسبّحين مهللين قائلين : يا رب اجعل المصير « محمودا »

٥٤

التَّعَجُّب

تكون هـذه الصنعة بأن يظهر الشاعر فى أحد أبياته تعجّبه وحَيْرَتَه من شىء من الأشياء ، ومثالها قول « أديب ترك » :

أيا شمعاً يضىء بلا انطفاء   ويا بدراً يـلوح بلا محاق
فأنت البدرُ ما معنى انتقاصى   وأنت الشمعُ ما سبب احتراق

ومثالها من الشعر الفارسى قول «العنصرى» :

نيستی ديوانه بر آتش جرا غلتی همی   نيستی پروانه كرد شمع جون جولان كنی[1]

ومعناه : — لست مجنوناً فلماذا تتزلق فى النيران ، ولست فراشة فكيف تجول حول الشمع

ومثال آخر من قولى :

من جرا دارم نكوبی آب در ديده مقيم   كر تو داری جاه دائم در زنخدان ای بسر

ومعناه — ولماذا تقيم المياه الكثيرة فى عينى ، إذا كان بئرى فى غمازة ذقنك .. يا ولدى العزيز

٥٥

حسنُ التَّعْليل

تكون هـذه الصنعة بأن يذكر الشاعر فى بيت من أبياته صفتين من الصفات ويجعل الواحدة منهما علةً للأخرى . وغرضه من ذلك مجرد ذكر هاتين الصفتين ، ولكنه يذكرها بهذه الطريقة حتى يزداد بذلك جمال أسلوبه وإبداع عبارته .

ومثاله من قول فخر خوارزم الزمخشرى :

وإن غادر الغدران فى صحن وجنتى   فلا غرو منه لم يزل وابلا يهمى

---

(١) انظر ديوان العنصرى ص ١٣٤ — ١٣٥

فقد أثبت الغدران لصحن وجنته بملة أن الممدوح وابل يهمى ، والوابل الهامي علة كذلك فى الغدران .

ومثاله من الشعر الفارسى قول « المنصرى » :

ز بهر آنك همى كريذ ابر بى سببى همى بخندذ بر ابر لاله وكلزار

ومعناه : لكثرة ما يبكى السحاب بغير ما سبب ، أخذت الزهور والبساتين تضحك من فعله

فنى هذا البيت ، تجد أن الشاعر جعل بكاء السحاب بغير ما سبب ، علة لضحك الزهور والبساتين واستهزائها بفعله .

وهذا الأسلوب مستعمل كثيراً فى العربية والفارسية .

٥٦
ألفاظ ومصطلحات

فيما عدا ما ذكرناه من فصول ، نورد هنا جملة من الألفاظ التى عرضت لأهل هذه الصناعة فاستعملوها فى لغتهم وأصبحت من مصطلحاتهم .

المدح :

المدح أو المديح أو المدحة : ومعناه فى الفارسية « آفرين »

الهجو :

الهجو والهجاء : بمعنى « نفرين » فى الفارسية .

التشبيب :

عبارة عن وصف حال المعشوق وحال الشاعر فى عشقه ويسمونه أيضاً بالنسيب أو الغزل .

ولكن المشهور المستعمل بين الناس أن كل صفة أو حال يشرحونها فى بداية القصائد باستثناء مدح الممدوح تعتبر تشبيباً .

المصرّع :

عبارة عن البيت الذى يراعى فيه تقفية مصراعيه كما تكون مطالع القصائد .

الخصىّ :

يطلقونه على الرباعى (دوبيت) الذى لا يقفى المصراع الثالث منه .

الترجيع :

الترجيع فى اللغة عبارة عن إعادة النغم . وفى اصطلاح الشعراء عبارة عن الشعر الذى يكون على أقسام (خانات) ، ويكون كل قسم منه خمسة أبيات أو عشرة أو أكثر ، وتكون قافية كل قسم من الأقسام مخالفة لقافية القسم الآخر . فإذا تم قسم من الأقسام ذكروا بعده بيتاً مفرداً على حدة ، ثم ينتقلون بعد ذلك إلى القسم الآخر . وهذا البيت الغريب المفرد هو ما يسمونه بالترجيع . وهو على ثلاثة أنواع :

(ا) يكون بعينه فيرددونه فى آخر كل قسم

(ب) أو يكون أبياتاً مختلفة فى آخر كل قسم ، ويكون كل واحد منها على قافية خاصة .

(حـ) أو يكون أبياتا مختلفة فى آخر كل قسم عددها مساو لعدد أبيات القسم الواحد فى الترجيع بحيث إذا جمعت هذه الأبيات أصبحت قسما آخر من أقسام الترجيع

العكس :

العكس فى اللغة بمعنى القلب . وفى اصطلاح الشعراء يطلقونه على مثل الأبيات التى رويتها هنا وهى الآتية :

بهـــرى دارم دارم بهرى ۩ بسرى جابك جابك بسرى
نبود هركز نبـــود ۩ دكرى جون او جون او دكرى
بخطا كردم كردم بخطا ۩ سفرى بى او بى او سفرى[1]

ومعناها الحرفى :

— وفى هراة لى ، ولى فى هراة ، ولد خفيف وظريف
— لا يكون مطلقا ، ومطلقا لا يكون ، شبيه له ، وشبيه له آخر
— خطأ عملت وعملت خطأ ، سفرى بغيره ، وبغيره السفر

التدوير :

يطلق الشعراء تسمية « المدوَّر » على البيت الذى يمكن قراءته من أى ناحية بدأت بها من أنحائه . وهذا من عبث الأطفال .

ومثاله : نكارينا رخان من جرا كردى بدين زردى

فإنك إذا كتبتها فى دائرة وبدأت بها من أى جزء من أجزائها لاستقام المعنى والوزن .

---

(١) أمثلة من العكس موجودة فى المقامة السادسة عشرة من مقامات الحريرى ، وكذلك فى المقامة السابعة عشرة القهقرية . انظر ص ١٠٣ حيث أورد الأمثلة الآتية :
لم أخاً ملّ ؟ كبر رجاء أجر ربك ؟ من يَرُبُّ إذا برّ ينم ، سكت كلّ من نمّ لك تسكس

المكرر :

يطلقونه على الشعر الذى يذكرون فى أحد أبياته لفظة من الألفاظ ، ثم يذكرون هذه اللفظة بعينها فى البيت التالى له .

ومثاله من الشعر الفارسى قول الشاعر :

با ران قطره قطره همى بارم ابر وار   هر روز خيره خيره ازين جشم سيل بار[1]

زان قطره قطره قطره' با ران شذ خجل   زان خيره خيره خيره دل من ز هجر يار

ومعناه :

— إنى أبكى كالسحاب قطرة قطرة وقد أضحت الأيام حائرة معتمة فى عينى التى تفيض بالسيول

— وقد أضحت قطرة المطر خجلة من هذه الدموع التى تنهلّ قطرات ، وأضحى قلبى الموله مشردا حائرا لهجر الحبيب ...

ويقول البعض أن المكرر هو ما تذكر فيه لفظة القافية مرتين ، ومثاله من الشعر الفارسى قولى :

زهى مخالفت ملك تو خطاى خطا   زهى موافقت صدر تو صواب صوابْ

ومعناه : — ما أعجب مخالفتك أنها خطأ الخطأ ... وما أبدع موافقتك أنها صواب الصواب

المتنافر :

يطلقون هذه التسمية على الألفاظ التى تكون عسيرة النطق . ولمعرفة ذلك يمتحن الواحد منهم الآخر فى أن يقول الألفاظ المتنافرة مرتين أو ثلاث مرات على التوالى لمعرفة ما إذا أمكن النطق بها أو لم يمكن . ومثالها الألفاظ الآتية :

خواجه توجه تجارت كنى   (ومعناها — هل يشتغل السيد بالتجارة ؟)

فإن قليلا من الأشخاص يستطيعون النطق بهذه العبارة ثلاث مرات فى نفس واحد دون أن تتعثر ألسنتهم .

المتلائم :

هو عكس المتنافر ، وهو ما أمكن النطق به بسهولة وما كان سلساً طيباً .

الارتجال :

عبارة عن إنشاء الشعر أو الخطبة أو الرسالة بدون تفكير سابق وهذا ما يسمونه بالبديهة أيضاً .

---

(١) هذان البيتان من قصيدة طويلة للشاعر « عسجدى » مذكورة أبياتها متفرقة فى « المعجم » و « لباب الألباب » و « فرهنگ جهانگيرى » وكتب أخرى خطية ، وقد استطاع الأستاذ عباس إقبال أن يجمع بين أبياتها وأن ينشر القصيدة فى حواشى « حدائق السحر » . انظر ص ١٤٧ — ١٥٠ من الأصل الفارسى .

الروية :

هى والفكرة بمعنى واحد ، فيقولون فلان يقول الشعر بروية وليس على البديهة أى بإعمال الفكر بغير عجلة .

الجزالة :

بمعنى التمام والامتلاء والشعراء يصفون الشعر بالجزالة إذا كانت ألفاظه قوية محكمة .

السلاسة :

بمعنى الرقة والانقياد . والشعراء يقصدون بالشعر السلس الشعر الطيّع المتدفق المطبوع . ويقولون أن آفة الجزالة التعسف ، وآفة السلاسة الركاكة .

السهل الممتنع :

هو الشعر الذى يبدو سهلا يسيراً ، فإذا حاول أحد أن يقول مثله وجده صعباً عسيراً ، وفى العربية أشعار كثيرة من هذا النوع لأبى فراس والبحترى . وأمثلته فى الفارسية كثيرة فى شعر الأمير فرخى .

* * *

خاتمة :

وقد أتممت هذا الكتاب بلفظ « فرخى » بمعنى السعادة ، فلتدم أيام المليك سعيدة هانئة ، والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله أجمعين .

قال ناسخ الكتاب :

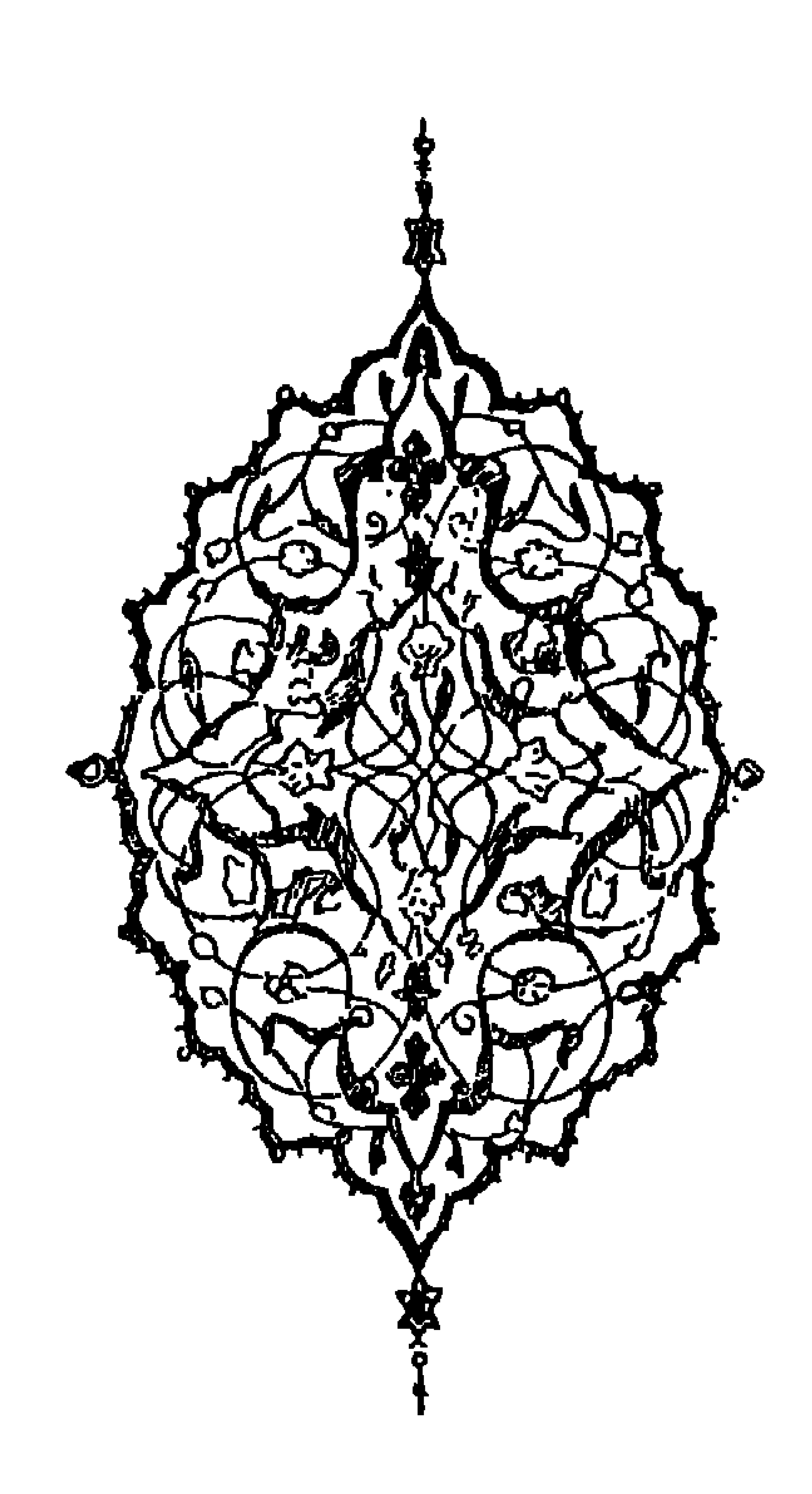
وكان الفراغ من نسخ « حدائق السحر فى دقائق الشعر » فى اليوم السابع من شعبان سنة ثمان وستين وستمائة الهجرية .

وقال مترجم الكتاب :

وكان الفراغ من ترجمته إلى العربية فى يوم الجمعة الثانى والعشرين من شعبان سنة ثلاث وستين وثلثمائة وألف الهجرية ، الموافق الحادى عشر من شهر أغسطس سنة أربع وأربعين وتسعمائة وألف الميلادية .

٢٢ شعبان سنة ١٣٦٣ هـ — ١١ أغسطس سنة ١٩٤٤ م

تم بحمد الله



أسماء الأعلام

(ا)

(غ)

(ف)

(ق)

٢
أسماء الأماكن

أسماء الكتب

(ا)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

الإشراف اللغوى : حسام عبد العزيز

الإشراف الفنـــى : حســن كامــــل





هذا الكتاب هو أكثر تصانيف رشيد الدين الوطواط ذيوعا، بل إنه لا يجانبنا الصواب إذا قلنا إنه قد ساهم فى شهرة رشيد بين المتحدثين باللغة الفارسية.

والكتاب باحتوائه الأنواع الثمانين أو ما يزيد من الصناعات البديعية المقرونة بروائع الشواهد العربية والفارسية قد حدا بستة من البلاغيين المعروفين على الأقل إلى التأثر به عبر القرون التالية، بل إن هناك من قلدوا هذا الأثر.

والمتصفح لكتاب "حدائق السحر" بدقة يتضح له أن هذا الكتاب قد جاء شاملا علوم البلاغة بعامة دون أن يختص بعلم البديع وحده، وإن كان هذا العلم قد سرى فى الأغلب بين مطالب "حدائق السحر" التى تقوم على المزايا اللفظية، وهى التى ذهب المتأخرون إلى تسميتها اصطلاحا بالصناعات البديعية.